د. سعيد مغاوري محمد

# من صور التسامح الإسلامي مع غير المسلمين

وثيقة الوقف الإسلامي على رهبان دير سانت كاترين بسيناء

دار العالم العربي

صفحات مضيئة من التاريخ الإسلامي

صفحات مضيئة من التاريخ الإسلامي

د. سيد مغاوري



# من صور التسامح الإسلامي مع غير المسلمين

وثيقة الوقف الإسلامي على رهبان دير سانت كاترين بسيناء


A S R

# من صور التسامح الإسلامي

# مع غير المسلمين







٢ شارع امتداد رمسيس (١) ـ محطة المهمات ـ مدينة نصر ـ القاهرة.

تليفاكس: ٢٠٨١٦٠٢٣ ـ ٢٠٨١٦٠٧٦

e.mail: afmadkour123@gmail.com



الطبعة الثانية: ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م

رقم الإيداع: ١٩١٢٣ / ٢٠١٢

الترقيم الدولي: ٥ - ١٢٧ - ٤٩٥ - ٩٧٧ - ٩٧٨

✿ صفحات جديدة من التاريخ الإسلامي ✿

# من صور التسامح الإسلامي مع غير المسلمين

## وثيقة الوقف الإسلامي على رهبان دير سانت كاترين بسيناء


تأليف

أ. د. سعيد مغاوري محمد

أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية




بيانات الفهرسة المكتبية
(إعداد: إدارة الشؤون الفنية بدار الكتب المصرية)

محمد، سعيد مغاوري.

من صور التسامح الإسلامي مع غير المسلمين:
وثيقة الوقف الإسلامي على رهبان دير سانت
كاترين بسيناء / تأليف سعيد مغاوري محمد . ـ

ط ٢ . ـ القاهرة: دار العالم العربي، ٢٠١٦.

٢٥٦ ص؛ ٢٤ سم . ـ

(صفحات جديدة من التاريخ الإسلامي)

تدمك: ٥ - ١٢٧ - ٤٩٥ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١. التسامح الديني الإسلامي.

٢. الإسلام والمسيحية.

أ. العنوان.

ديوي ٢١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾

(سورة الأنعام ـ آية ٥٩)


A S R

## إهداء

أهدى هذا العمل إلى مشايخنا وعلمائنا وقادتنا وسائر ولاة أمورنا، وكذلك أهديه إلى حضارتنا الإسلامية الغرَّاء، التى احتضنت أهل الذمة «يهودًا ـ نصارى» فى بلاد العرب والمسلمين، فأَمِنوا واطمأنوا على أرواحهم وحياتهم وممتلكاتهم، الأمر الذى مكَّنهم من ممارسة طقوسهم وشعائرهم بكل حرية واطمئنان.

**والله الموفق**


A S R

## المقدمة

ترددت كثيرًا فى الكتابة فى هذا الموضوع، نظرًا لصعوبة الحصول على الوثائق التاريخية التى تدعم نقاط البحث، خاصة وأن الموضوع يتعلق بنظام الوقف الإسلامى على رهبان دير سانت كاترين فى العصور الوسطى، بوصفه أحد العلامات البارزة فى تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية الغراء. وفى واقع الأمر فإن هذه الفكرة راودتنى منذ زمن طويل، ونظرًا لارتباطى وعملى فى مجال الآثار والوثائق التاريخية، ومن خلال اطلاعى وزيارتى لهذا الدير العريق، تمكنت بفضل الله تعالى فى التعريف والاطلاع على بعض النصوص الوثائقية وأوقاف هذا الدير، وشاهدت المسجد الفاطمى العريق المقام بالقرب من واجهة الكنيسة البازيليكة بالدير، وفى السنوات الأخيرة عندما اشتدت صيحات بعض متطرفى الغرب فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية؛ محاولين إلصاق تهم التطرف والإرهاب بالدين الإسلامى وأتباعه ومحاولين أيضًا تشويه صورة المسلمين ونبيه المصطفى الكريم من خلال رسم صور كاريكاتورية أو تصريحات غير مسئولة من بعض رجال الدين، أو عرض فيلم سينمائى ردئ يحاول النيل من مقدساتنا العريقة.. أو غيرها من الأفعال والتصريحات والأقوال التى تؤجج المشاعر.

رأيت أنه من الأهمية والضرورة الكتابة فى هذا المجال، وذلك لأن الدير يؤمه العديد من الزوَّار من سيَّاح ورجال دين وثقافة وفكر وصحفيين وإعلاميين من العديد من بلدان العالم، فأصبح من الضرورة إلقاء الضوء على تلك الأوقاف الخيرية التى أوقفها سلاطين وخلفاء وولاة أمور المسلمين فى العصور الوسطى على هذا الدير ورهبانه، وهى جميعها أوقاف خيرية تحقق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية الغرَّاء وذلك لتوضيح الفارق بين ما فعله المسلمون لأهل الذمة، وما يفعله الغرب الآن

بالمسلمين فى العديد من بلدان العالم الإسلامى، وأعتقد أنه أصبح من الضرورة أيضًا أن تعتنى هيئات الوقف الإسلامى ومنظماته المنتشرة فى العديد من بلداننا العربية، بكشف أهمية أوقاف المسلمين على أهل الذمة، وكيف أن هذا الوقف تم فى أزمنة اشتدت فيها وطأة الحروب الصليبية التى دمرت الأخضر واليابس فى بلاد العرب والمسلمين، ولنا أن نتخيل الفرق بين أمه تحارب الضعفاء والمساكين وتهدم بيوتهم ودور عباداتهم وتقتل وتشرد مثلما فعلت الحروب الصليبية، وبين أمة الإسلام التى حرصت على رعاية الرهبان فى أديرتهم ومدت لهم يد العون والمساعدة، بل البر والإحسان، كهدف سامٍ من مقاصد شريعتنا الإسلامية الغراء. وهذا هو القصد من إعداد هذه الدراسة.. وأرفَقت فى نهاية الدراسة فصلين (الخامس والسادس): أحدهما يتعلق بعقود بيع وشراء بين أهل الذمة، والفصل السادس يتعلق بفهرس مختصر ببعض المصطلحات الكنسية المهمة والمتداولة حتى اليوم فى أروقة الكنائس؛ رأيت أنها مهمة ومكملة لمضمون الدراسة المتعلقة بالكنائس والأديرة المسيحية.

**والله الموفق**

**١٤ رمضان ١٤٢٩هـ/ ١٤ سبتمبر ٢٠٠٨** — **سعيد مغاورى محمد**

**حدائق الزيتون – القاهرة** — **أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية – جامعة المنوفية**

# تمهيد

يعتبر نظام الوقف[1] من أبرز مظاهر الحضارة الإسلامية الغراء، لما له من مردود نفعي وخدمي وإنساني عظيم. والوقف كما هو معلوم تقديم المنفعة والمساعدة للمحتاجين دون النظر إلى أدنى مردود من منتفعي هذا الوقف... وذلك عملًا وتصديقًا لقوله تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[2].

ولقد أوقف عدد كبير من حكام وسلاطين وملوك وأمراء وتجار المسلمين أوقافًا عديدة[3] على الفقراء والمحتاجين، وشمل هذا الوقف أيضًا أبناء السبيل وأهل

---

(١) الوقف: ومنها وقفت الدار وقفًا حبستها في سبيل الله، وشيء موقوف، ووقف أيضًا تسمية بالمصدر ـ والجمع أوقاف، ومنها أيضًا.. وقفت الرجل عن الشيء وقفًا بمعنى منعته عنه، وأوقفت الدار والدابة بالألف لغة تميم وأقرها الأصمعي).

انظر: المقرئ (أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئي): المصباح المنير. طبع مكتبة لبنان سنة ١٩٨٧م، ص ٢٥٦.

أيضًا ذكرها صاحب (القاموس المحيط) بقوله: الوقف: الدار: حبسه كأوقفة، ومنها الموقوف: محل الوقوف، وقف يقف وقوفًا: دام قائمًا.

الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي) ت ٨١٧هـ: القاموس المحيط، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م، ص ١١١٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة الإنسان، آية (٩-١٢).

(٣) انظر في ذلك العديد من وثائق الوقف المتنوعة (فاطمية، أيوبية، مملوكية، عثمانية) منها على سبيل المثال:

أ ـ وثيقة رقم (١٥) محفظة (٢) محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة (مجموعة الأحوال الشخصية).

الذمة من اليهود والنصارى. وهناك أوقافًا أخرى على المرضى والخدم، بل الدواب والحيوانات، فقد أوردت بعض المصادر التاريخية أنه كان بدمشق وقف على الحيوان (الهرم) أى الطاعن فى السن كى يرعى فى الأرض الموقوفة حتى يموت وتقبض روحه، وفى مصر كان هناك من يوقف أراضى وعقارات لتعويض الخدم إذا ما كسروا أوانى أثناء خدمتهم فلا يتعرضوا لعقاب أو أذى، أيضًا هناك أوقافًا أخرى خاصة بإعطاء العروس المحتاجة ثيابًا وحليًا حتى يتم زفافها إلى زوجها ويتم سترها دون استدانة أو غرم، وفى تونس كانت هناك أوقاف متعددة لرعاية المرضى وعلاجهم، وكذلك معاونة المستشفى على القيام بمهامها حيال نزلائها، أيضًا أوردت بعض كتب الوقف الإسلامى معلومات أخرى تشير إلى وقف خاص لترتيب من يتهامسون وراء الطبيب المعالج بحيث يسمعونه وكأنهم لا يقصدون إسماعه، أما كلماتهم المهموسة فتدور حول رأى الطبيب فى قرب بُرئ المريض وذلك إيحاءًا بما يعزز العلاج ويعين على الشفاء[1].

ومن ناحية أخرى أورد الرحَّالة الاصطخرى، سماحة المسلمين فى بلاد ما وراء النهر وأوقافهم الخيرية المتعددة فذكر هذه العبارة:

(وأما سماحتهم فإن الناس فى أكثر بلاد ما وراء النهر كأنهم فى دار واحدة، وما ينزل أحد بأحد إلا كأنه دخل دار نفسه، ولا تجد فيهم صاحب ضيعة إلا همته ابتناء مقر فسيح ومنازل للأضياف، فإذا حل بينهم طارق تنافسوا فيه وتنازعوا، وترى

---

ب ـ وثيقة رقم (١٠١٠) أوقاف (قديم) محفوظة بدفتر خانة وزارة الأوقاف بالقاهرة. وأخرى تحمل رقم سجل (١٠١١) بالخزانة نفسها.

ج ـ وثيقة رقم (١٦٥٢) محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة وغيرها كثير.

انظر: د. عبد اللطيف إبراهيم: سلسلة الدراسات الوثائقية (الوثائق فى خدمة الآثار)، بحث ضمن بحوث كتاب (دراسات فى الآثار الإسلامية) طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة سنة ١٩٧٩م، ص ٣٨٩-٥٣٨.

(١) الاصطخرى (إبراهيم بن محمد الفارسى) توفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى: المسالك والممالك تحقيق محمد جابر الحسينى، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالقاهرة، سنة ١٩٦١م، ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتى الطنجى) ت ٧٧٧هـ : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، طبعة القاهرة، سنة ١٣٢٢ هـ، طبعة بيروت، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

الغالب على أهل الأموال بما وراء النهر صرف نفقاتهم إلى الرباطات وعمارة الطرق والوقوف على سبيل الجهاد ووجوه الخير... وليس من بلد ولا منهل ولا مفازة مطروقة ولا قرية أهلة إلا وبها من الرباطات ما يفضلن نزول من طرقه، إذا نزل النازل أقيم علف دابته وطعام نفسه، وقل ما رأيت خانًا أو طرف سكة أو محلة أو مجمع ناس فى الحائط بسمرقند يخلو من ماء جمد مسبل «أى هى للناس فى سبيل الله» من بين سقاية مبنية ووجبات منصوبة)[١].

جدير بالذكر أيضًا أن بعض ولاة أمور المسلمين اعتنوا بإنشاء أوقاف خيرية لعلاج المرضى؛ أطلق عليها اسم (البيمارستان)[٢].

ففى مصر أنشأ أحمد بن طولون أول البيمارستانات سنة ٢٠٩هـ/ ٨٧٣م وأوقف عليه دخل بعض الأبنية منها دورة الأساكفة والقيسارية وسوق الرقيق: «وجعل له حمامين: أحدهما للرجال والآخر للنساء، وأدخل ابن طولون فى هذا البيمارستان ضروبًا من النظام جعلته فى مستوى أرقى المستشفيات فى الوقت الحاضر، فكان إذا دخله مريض تنزع ثيابه ويودع ما معه من المال عند أمين البيمارستان، وتقدم له ثياب خاصة من البيمارستان، وكان المرضى يتناولون الأدوية والأغذية مجانًا، ويظل المريض بالبيمارستان حتى يتم شفاؤه فيقدم له فرُّوج ورغيف، فإذا أكله أذن له بمغادرة البيمارستان بعد أن ترد إليه ثيابه ونقوده....»[٣].

وفى وقفية أخرى تنسب للسلطان المنصور سيف الدين قلاوون ٦٧٨ - ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩ - ١٢٩٠م خاصة بالبيمارستان الذى أنشأه بالقاهرة (شارع المعز لدين الله الفاطمى)[٤] تحمل هذه الوقفية رقم (١٥) محفظة (٢) محفوظة بدار الوثائق القومية

---

(١) الاصطخرى: المصدر السابق، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالقاهرة، سنة ١٩٦١م.

(٢) البيمارستان: مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم، وهو لفظ فارسى مكون من كلمتين: (بيمار) بمعنى (مريض)، وكلمة (ستان) بمعنى محل أى (محل المريض) ويقال له أحيانًا (البيمرستان، المارستان)، وهو مستشفى عام لمعالجة جميع الأمراض، ولكن بمرور الزمن اقتصر الاسم على المكان الذى يعد لإقامة المجانين. انظر: د. أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات فى الإسلام، طبعة دمشق، ص٤.

(٣) القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ت ٨٢١ هـ/ ١٤٢٣م.
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩١٨، جـ٣، ص ٣٤٣.

(٤) انظر وقفية السلطان المنصور قلاوون على بيمارستانه بشارع المعز لدين الله بالقاهرة، رقم (١٥) محفظة رقم (٢) محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة (مجموعة محكمة الأحوال الشخصية). وعن مجموعة السلطان المنصور قلاوون المعمارية بالقاهرة.

بالقاهرة (مجموعة محكمة الأحوال الشخصية)[1] وردت بها العبارة التى تقدم معلومات مهمة عن عناية ولاة أمور المسلمين بعلاج المرضى.

وهى فى واقع الأمر تعتبر تطبيقًا عمليا وملموسًا فى تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ـ فنقرأ فى هذه الوقفية هذه العبارات: «... وهذا البيمارستان... لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء الموثرين والفقراء المحتاجين بالقاهرة، ومصر وضواحيها، من المقيمين بهما، والواردين إليها من البلاد والأمصار على اختلاف أجناسهم وأوصافهم وتباين أمراضهم وأوصابهم من أمراض الأجسام قلت أو كثرت، اتفقت أو اختلفت، وأمراض الحواس، خفيت أو ظهرت، واختلال العقول التى حفظها أعظم المقاصد والأغراض، وأول ما يجب الإقبال عليه دون الانحراف عنه والأعـراض، وغير ذلك مما تدعو حاجة الإنسان إلى صلاحه وإصلاحه بالأدوية والعقاقير المتعارفة عند أهل صناعة الطب، والاشتغال فيه بعلم الطب، والاشتغال به، يدخلونه جموعًا ووجدانا، شيوخًا وشبابًا، وبلغًا وصبيانًا، وحرمًا وولدانًا، يقيم به المرضى الفقراء من الرجال والنساء لمداواتهم إلى حين برؤهم وشفائهم، ويصرف ما هو معد فيه للمداواة، ويفرق للبعيد والقريب، والأهلى والغريب، والقوى والضعيف، والدنيء والشريف، والعلى والحقير، والغنى والفقير، والمأمور والأمير، والأعمى والبصير، والمفضول والفاضل، والمشهور والخامل، والرفيع والوضيع، والمترف والصعلوك، والمليك والمملوك، من غير اشتراط لعوض من الأعواض، ولا تعريض بإنكار على ذلك ولا اعتراض، بل لمحض فضل الله العظيم...»[2].

ومن هذا المنطلق فإن العديد من ولاة أمور المسلمين فى العصور الوسطى تركوا

---

انظر: د. محمد حمزة الحداد: السلطان المنصور قلاوون، طبعة مكتبة مدبولى بالقاهرة سنة ٤١٨ هـ ١٩٩٨م.

(١) انظر فى ذلك: د. محمد محمد أمين: تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه: الجزء الأول، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، سنة ١٩٧٦م.

(٢) انظر فى ذلك نص هذه الوثيقة التى تحمل رقمًا سجلًا (١٥/ ٢) محكمة الأحوال الشخصية مع مقابلتها الوثيقة رقم (١٠١٠) أوقاف (قديم)، السطور الواردة بالدراسة (من السطر رقم ٢١٥ حتى السطر رقم ٢٢٦).

انظر فى ذلك أيضًا دراسة: د. محمد محمد أمين: المرجع السابق، ص ٣٥٨، ٣٥٩.

أوقافًا خيرية عديدة على دور عبادة أهل الذمة، ومنها دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء[١] وهو يعتبر من الأماكن المقدسة فى هذه الديار يقصده الزوَّار من جميع أنحاء العالم، كما يلجأ إليه أيضًا العديد من الرهبان للإقامة والتعبد به، كما يرتاده أيضًا الدارسون للاطلاع على الكتب والمخطوطات والوثائق والأوقاف بمكتبته العامرة بأمهات الكتب ونفائس المخطوطات. جدير بالذكر أيضًا أن لهذا الدير عددًا كبيرًا من الفروع الأخرى المنتشرة فى عدد من الدول. مثل إثيوبيا وسوريا ولبنان وقبرص وكريت واليونان... وغيرها. كما تجدر الإشارة أيضًا إلى أن هذا الدير كان منذ إنشائه قبلة رؤساء الكنائس فى العالم المسيحى كله، وكان الأباطرة والملوك والأمراء يولونه عنايتهم ورعايتهم. ومن أبرز من اعتنى برعاية رهبان هذا الدير خلفاء الفاطميين وسلاطين آل أيوب والمماليك البحرية والبرجية وكذلك أمراء المماليك فى العصور الوسطى. ولقد تمثل ذلك فى ظهور العديد من المناشير والتواقيع والمراسيم العربية[٢] الصادرة عن هؤلاء الحكام والولاة والأمراء، جميعها تكشف عن مدى عناية ورعاية ولاة أمور المسلمين بهذا الدير ورهبانه وزواره من أهل الذمة وغيرهم، خاصة أنه يقع فى منطقة منعزلة عن العمران، ويجاوره العديد من العربان الذين كانوا يغيرون على الدير بين الحين والآخر فيسلبون ممتلكاته ومزروعاته المنتشرة فى وادى الأربعين ووادى فاران حيث مخازن القمح والشعير والنخيل والتين والزيتون والكروم... وغيرها[٣].

---

(١) يقع هذا الدير العريق فى شبه جزيرة سيناء فى موضوع يعرف باسم (العليقة) وهو المكان الذى يقال إن الله تعالى كلم فيه سيدنا موسى عليه السلام، وهو من أقدم الأديرة فى العالم ـ والدير يعتبر رمزًا لحماية المضطهدين والفارين من ظلم الجبابرة فى العالم، ولقد مر على إنشائه (١٤) قرنًا من الزمان. والدير يقع فى وادى يسمى (وادى شعيب) فى قلب جزيرة سيناء على ارتفاع (٤٨٥٤) قدمًا فوق سطح البحر، وتحف به الجبال الشاهقة مثل جبل كاترين الذى يبلغ ارتفاعه (٨٥٣٦ قدمًا)، وجبل موسى أو جبل المناداة حيث صعد موسى عليه السلام، وناجى ربه خلاله ويبلغ ارتفاع هذا الجبل حوالى (٧٣٧٥ قدمًا).

Atiya. A. the Arabic treasures of the convent of mount Sinai (proceedings of the Egyptian society of historical studies) Vol. 11. 1952 – P. 12-14

(٢) انظر فى ذلك دراسة الأستاذ الدكتور عبد اللطيف إبراهيم فى مجال (ديوان الإنشاء والوثائق العامة) ـ فى الدراسة التى تحمل عنوان: دراسة فى الوثائق العامة فى العصور الوسطى، مجلة جامعة أم درمان ـ السودان، العدد الأول، سنة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م، ص ٢٥٠-٢٦٠.

(٣) د. عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٧٥.

وفى واقع الأمر إن المتأمل فى نصوص الأوقاف التى أوقفها المسلمون على هذا الدير وعلى كل المقيمين به من رهبان ورجال دين وزوار وطلاب ودارسين: شبابًا وشيوخًا، رجالًا ونساءً - يلاحظ أن هذا الوقف الخيرى من قبل ولاة أمور المسلمين فى العصور الوسطى كان عاملًا رئيسيًا فى تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية الغرَّاء. التى أوصت بحفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال والعرض[1] وهى شريعة غرَّاء تعاليمها مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى فهذا قرآننا الكريم يحثنا على حسن معاملة من خالفنا فى العقيدة فى قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾[2] أيضًا نقرأ قوله تعالى مخاطبًا المسلمين بالتعامل بالحسنى وبكلمة سواء بيننا وبين من خالفنا فى العقيدة فنقرأ قوله تعالى﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3] أيضًا هناك أحاديث نبوية شريفة تحض المسلمين على التعامل بالحسنى مع أهل الذمة والرفق بهم، بل الإحسان إليهم منها وثيقة هامة ونادرة أوردها «ابن هشام» فى كتابه «السيرة النبوية» تكشف هذه الوثيقة عن حقائق مهمة عن رعاية أهل الذمة وردت منها هذه العبارة: «بسم الله الرحمن الرحيم - هذا كتاب من محمد النبى الأمى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على بعتهم حالهم - التى أتى الإسلام وهم عليها يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم - أسيرهم - بالمعروف والقسط. إلى أن يقول: وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وإثم فإنه لا يولغ - يهلك - إلا نفسه وأهل بيته....»[4].

---

(١) الإمام محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، طبعة، بيروت. لبنان (دون تاريخ) ص ٣٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة الممتحنة، آية رقم (٨).

(٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم (٦٤).

(٤) ابن هشام (أبو محمد بن عبد الملك): كتاب سيرة النبى.
تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى، طبعة القاهرة، سنة ١٩٣٦-١٩٥٥م، جـ ٢، ص ٣٢٠-٣٢٣.

ومن ناحية أخرى فإن رسولنا الكريم ﷺ أوصى المسلمين بفعل الخير والبر حتى مع الأجناس الأخرى من حيوانات وطيور فروى عنه ﷺ قوله: «من زرع زرعًا أو غرس غرسًا فأكل منه إنسان أو سبع أو طائر فهو صدقة...»[١].

وكان ﷺ إذا بعث سرية أو جيشًا تقدم إليه بالوصية والنصيحة والتعليمات بعدم البطش والتمثيل بجثث الأعداء والنهى عن قتل النساء والأطفال والصبية، فروى عنه ﷺ فى الحديث الشريف الذى أورده ابن القيم الجوزية قوله ﷺ: «أغزو باسم الله، وفى سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا امرأة ولا وليدها...»[٢].

ولقد توعد رسولنا الكريم ﷺ قساة القلوب وغلاظ الطباع فى سبى الحروب ومن يحاول التفريق بين الأم وولدها ـ فقال ﷺ: «من فرّق بين والده وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة...»[٣].

ولقد بلغ من حرص رسول الله على أهل الذمة ورعايته إياهم حتى بعد وفاتهم، ما أورده الإمام البخارى فى كتاب (الجنائز) ـ عندما وقف ﷺ عندما مرت جنازة بين يديه، فقيل له إنها جنازة يهودى، فقال لصحابه «أليست نفسًا».

فقد روى عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: كان سهل بن حنيف وقيس بن سعيد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة، فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض (أى من أهل الذمة) فقالا: إن النبى ﷺ ـ وفى رواية عنه قال كنت مع قيس وسهل رضى الله عنهما فقالا: كنا مع النبيﷺ ـ مرت به جنازة فقام، فقيل له إنها جنازة يهودى فقال أليست نفسًا...[٤].

مما سبق ذكره من آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة وهما المصدران الأساسيان لمقاصد الشريعة الإسلامية الغراء، يتبين لنا أهمية عناية ورعاية حكام

---

(١) يحيى بن آدم: كتاب الخراج. طبعة. ت . و. جوينبل ـ ليدن بهولندا سنة ١٨٩٦م ص ٧٧-٧٨.

(٢) ابن القيم الجوزية: زاد المعاد فى هدى خير العباد. طبعة مكتبة صبيح بالقاهرة ـ جـ ٢ ص ٩٠.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد ـ تحقيق أحمد أمين وآخرون، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، سنة ١٩٤٠-١٩٥٣م، جـ ١، ص، ١٥٥.

(٤) محمد ناصر الدين الألبانى: مختصر صحيح الإمام البخارى. الطبعة الأولى، المكتب الإسلامى، بيروت ـ لبنان، سنة ١٣٩٩ هـ، ص ٣١٠ «باب الجنائز».

وولاة أمور المسلمين بأهل الذمة (يهودًا ونصارى)، وذلك اقتداء بتعاليم وتوجيهات رسولنا الكريم ﷺ ولذلك حرص بعض الحكام والولاة على تخصيص جزء من نفقاتهم بتخصيص أوقاف خيرية على أهل الذمة، مثلما خصصوا جزءًا منها أيضًا للإنفاق الخيرى على فقراء المسلمين وأهل السبيل واليتامى والمرضى وأصحاب الحاجات كما أشرت من قبل. والدراسة التى نحن بصددها خاصة بالأوقاف الإسلامية على رهبان دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء لحمايتهم ورعايتهم فى ظل شريعة الإسلام باعتبار ذلك مقصدًا عام من مقاصد هذه الشريعة الغراء.

ولقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول هى على النحو التالى:

الفصل الأول: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية.

الفصل الثانى: دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء.

الفصل الثالث: الأوقاف الإسلامية ودورها فى تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية على رهبان دير سانت كاترين.

الفصل الرابع: أوقاف العصور الوسطى على الدير ورهبانه مقصد من مقاصد شريعة الإسلام.

الفصل الخامس: وثائق نادرة محفوظة بمكتبة الدير تنسب للعهد المملوكى.

الفصل السادس: فهرس المصطلحات الكنسية الـواردة فى بعض المراجع المسيحية.

ثم أعقبت ذلك خاتمة وأهم النتائج، ثم اللوحات المرفقة بالدراسة تضمنت لوحة تمثل مأذنة المسجد الفاطمى بالقرب من برج كنيسة البازيليكا بالدير، ولوحة تمثل وثيقة عهد الأمن والأمان الذى يعتقد رهبان الدير بأن الرسولﷺ قد أعطاها للرهبان بالدير، بالإضافة إلى عدد أربع لوحات هى بمثابة وثائق تاريخية تتعلق بالوقف الإسلامى خلال العهود الفاطمية والأيوبية والمملوكية والخاصة بالدير، وأخيرًا لوحة تمثل وقف أحد النصارى على الدير، وهى عبارة عن وثيقة وقف منزل بمدينة الطور على الدير والرهبان.

**والله ولى التوفيق**

## الفصل الأول

## المقاصد العامة للشريعة الإسلامية

يعرف علماء الشريعة الإسلامية[1] التشريع الإسلامى، كناحية من النواحى الهامة التى انتظمتها رسالة الإسلام والتى تمثل الناحية العملية من هذه الرسالة، ولم يكن التشريع الدينى المحض ـ كأحكام العبادات ـ يصدر إلا عن وحى الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ من كتاب أو سنة، أو بما يقره عليه من اجتهاد، وكانت مهمة الرسول ﷺ لا تتجاوز دائرة التبليغ والتبيين ـ وذلك عملًا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[2].

أما التشريع الذى يتصل بالأمور الدنيوية، من قضائية وسياسية وحربية، فقد أمر الرسول ﷺ بالمشاورة فيها، وكان يرى الرأى فيرجع عنه لرأى أصحابه، كما وقع فى غزوتى بدر وأحد، كما كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين يرجعون إليه يسألونه عما لم يعلموه، ويستفسرون منه ﷺ فيما خفى عليهم من معانى النصوص، ومن ثم يعرضون عليه ما فهموه منها أيضًا، فكان ﷺ يقرهم أحيانًا على فهمهم، وأحيانًا أخرى يبين لهم موضع الخطأ فيما ذهبوا إليه.

### أولًا: القواعد العامة للتشريع الإسلامى:

هناك قواعد عامة اتفق عليها فقهاء الشريعة الإسلامية[3] ليسير على ضوئها المسلمون فى حياتهم اليومية وهى:

---

(١) الشيخ سيد سابق: فقه السنة. الطبعة الثانية، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان سنة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م، جـ ٢، ص ١١.

(٢) القرآن الكريم: سورة النجم، آية رقم (٣-٤).

(٣) الشيخ سيد سابق: المرجع السابق، ص ١٢.

١ ـ النهى عن البحث فيما لم يقع من الحوادث حتى يقع، قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾[1] وفى الحديث النبوى الشريف: أن النبى ﷺ نهى عن الأغلوطات، وهى المسائل التى لم تقع[2].

٢ ـ تجنب كثرة السؤال وعضل المسائل، ففى الحديث: (إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال) وعنه أيضًا ﷺ قوله: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنهم». كما روى عنه ﷺ قوله: «أعظم الناس جُرمًا، من سأل عن شيء لم يحرم فحرم ممن أجل مسألته»[3].

٣ ـ البُعد عن الاختلاف والتفرق فى الدين ـ عملًا بقوله تعالى فى محكم التنزيل ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾[6] وأيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾[7] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[8].

٤ ـ وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة التى تحث المسلمين عن البعد عن الاختلاف الذى يؤدى بدوره إلى الفرقة والشقاق، وبالتالى إلى زوال أواصر المحبة والقوة والمنعة والاتحاد الذى أمرنا الله تعالى به، وحثنا عليه رسولنا الكريم ﷺ فى أحاديثه النبوية الشريفة.

---

(١) القرآن الكريم: سورة المائدة ـ آية رقم (١٠١).
(٢) الشيخ سيد سابق: المرجع السابق ص ١٢.
(٣) الشيخ سيد سابق: المرجع السابق ص ١٢.
(٤) القرآن الكريم، سورة المؤمنون، آية رقم (٥٢).
(٥) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم (١٠٣).
(٦) القرآن الكريم، سورة الأنفال، آية رقم (٤٦).
(٧) القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية رقم (١٥٩).
(٨) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم (١٠٥).

٥ ـ رد المسائل المتنازع فيها إلى الكتاب والسنة المطهرة، وذلك تطبيقًا لقوله تعالى فى محكم التنزيل: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1]. وأيضًا فى قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى الله﴾[2]وذلك لأن شريعة هذا الدين القويم قد فصلتها آيات الذكر الحكيم. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[3]- أيضًا نقرأ فى هذا الخصوص قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾[4].

ومن ناحية أخرى كان للسنة النبوية دورها أيضًا فى تبيين ما انغلق وتعذر فهمه على المسلمين، وذلك عملًا بقوله تعالى فى محكم التنزيل: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [5]. وأيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[6].

وعلى ذلك يمكن القول إن شريعة الإسلام الغرَّاء مستمدة من مصدرين أساسيين هما كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ، وعلى ضوء هذه التعاليم وتلك المبادئ السامية والقواعد الراسخة سار صحابة رسول الله ﷺ من بعده ثم سار عليها التابعون وتابعوهم، وكذلك المسلمون فى القرون التى تلت ذلك ولم يقع بينهم اختلاف، إلا فى مسائل معدودة، كان مرجعه التفاوت فى فهم النصوص فلما جاء أئمة المذاهب الأربعة تبعوا سنن من قبلهم، إلا أن بعضهم كان أقرب للسنة كالحجازيين الذين كثر فيهم حملة السنة ورواة الآثار، والبعض الآخر كان أقرب إلى الرأى كالعراقيين الذين قل فيهم حفظة الحديث، لبعد ديارهم عن منزل الوحي[7] ولقد بذل الفقهاء والأئمة جهودهم من أجل تعريف المسلمون بدينهم ومن ثم هدايتهم إلى طريق الحق

---

(١) القرآن الكريم، سورة النساء، آية رقم (٥٩).
(٢) القرآن الكريم، سورة الشورى، آية رقم (١٠٠).
(٣) القرآن الكريم، سورة النحل، آية رقم (٨٩).
(٤) القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية رقم (٣٨).
(٥) القرآن الكريم، سورة النحل، آية رقم (٤٤).
(٦) القرآن الكريم، سورة النساء، آية رقم (١٠٥).
(٧) الشيخ سيد سابق: المرجع السابق ص ١٣.

والصواب، وكان هؤلاء الفقهاء والأئمة ينهون عن التقليد ويقولون: لا يجوز لأحد أن يقول قولنا من غير أن يعرف دليلنا، ولكن مما يحز فى النفس ما حدث للمسلمين فى وقتنا الحاضر إقبال بعضهم على التقليد والتعصب للمذاهب، وهو ما حذر منه الفقهاء والأئمة أنفسهم كما سبق وأشرت، ففقدت الأمة الهداية بالكتاب والسنة، وحدث القول بانسداد باب الاجتهاد، وصارت الشريعة هى أقوال الفقهاء، وأقوال الفقهاء هى الشريعة[1] ومن ناحية أخرى اعتبر كل من يخرج عن أقوال الفقهاء مبتدعًا لا يوثق بأقواله، ولا يعتد بفتاويه. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفى حقيقة الأمر إن المتأمل فى شريعة الإسلام ومقاصدها الغراء يلاحظ حرصها على إسعاد البشر أيًا كانت ديانتهم ومعتقداتهم، كما أنها تحض أبنائها المسلمون على حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال والعرض، كما أنها تحث أتباعها على حسن التعامل مع من خالفهم فى العقيدة، عملًا بقوله تعالى فى محكم التنزيل: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾[2] وقوله ﷺ فى الحديث الذى رواه البزار فى مسنده عن أنس رضى الله عنه: «الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» ومن هذا المنطلق حرص ولاة أمور المسلمين على العناية بأهل الذمة وأوقفوا لهم الأوقاف الخيرية.

**ثانيًا: السماحة من أكبر مقاصد الشريعة الإسلامية:**

تعتبر السماحة من أبرز أوصاف شريعة الإسلام وأكبر مقاصدها، فالسماحة وسط بين التضييق والتساهل، وهى راجعة أيضًا إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط، وعلى ذلك يمكن القول أن التوسط بين طرفى الإفراط والتفريط هو منبع الكمالات، ولعل خير دليل على ذلك قوله تعالى فى محكم التنزيل فى وصف أمة الإسلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[3] وفى معنى هذه الآية الكريمة روى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أن الوسط هو «العدل»، أى بين طرفى الإفراط والتفريط، وبه أيضًا

---

(١) الشيخ سيد سابق: المرجع السابق، ص ١٤.
(٢) القرآن الكريم، سورة الممتحنة، آية رقم (٨).
(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم (١٤٣).

فسر قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[1] - أى أعدلهم وأعلمهم، ومن ناحية أخرى قال مطرف بن عبد الله بن الشخير التابعى: (خير الأمور أوساطها) وبعض العلماء يرويه حديثًا، وهو أيضًا مشهور على الألسنة ولكنه ضعيف الإسناد، ولكن يمكن الاستشهاد به على سبيل فضل التوسط والوسطية، وعلى ذلك يمكن القول إن السماحة هى السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه، ومعنى كونها محمود أنها لا تفضى إلى ضر أو فساد.

وفى هذا الخصوص أيضًا يحضرنى قول رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه جابر بن عبد الله: (رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى)[2] جدير بالذكر أيضًا أن العديد من آيات القرآن الكريم تحث على السماحة وتجعلها من سمات هذه الشريعة الإسلامية الغراء منها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[3]، وأيضا قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[4]، والآيات القرآنية الكريمة فى هذا الخصوص كثيرة وعديدة، وفى مجال السماحة أيضًا وردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التى تحث المسلمين على السماحة بصفتها سمة وميزة من سمات شريعة الإسلام منها قوله ﷺ: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»[5] وهذا الحديث الشريف يثبت أن أحب الأديان إلى الله دين الإسلام الذى هو الحنيفية السمحة، وقد أفاد الحديث أيضًا أن السماحة هى وصف شريعة هذا الدين الخاتم.

ويحضرنى أيضًا فى هذا المقام الحديث الشريف الذى رواه الإمام البخارى أن النبى الكريم ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدًا إلا غلبه»، أى كان الدين غالبًا،

---

(١) القرآن الكريم، سورة القلم، آية رقم (٢٨).

(٢) روى الصحابى الجليل أبو هريرة رواية أخرى قريبة من رواية جابر بن عبد الله لهذا الحديث النبوى الشريف.

(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم (١٨٥).\

(٤) القرآن الكريم، سورة الحج، آية رقم (٧٨).

(٥) جدير بالإشارة أن هذا الحديث - ذكرته بعض المصادر بأنه حديث ضعيف السند بهذا اللفظ، ولكنه ربما يأتى فى معنى الحديث الذى رواه ابن أبى شيبة عن ابن عباس عن رسول الله، وأخرجه البخارى فى صحيحة، كما أشرت من قبل.

وهناك أيضًا قوله ﷺ «بعثت بالحنيفية السمحة»[1] ولقد دلت هذه الآيات والأحاديث النبوية الشريفة على أن السماحة واليسر من أبرز مقاصد شريعة الإسلام.

ويؤكد هذا القول أيضًا أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا. والمراد بالإثم ما دلت الشريعة على تحريمه.

وخلاصة القول فى السماحة أنها من طبيعة وسمات هذا الدين، وهو دين الفطرة، ومن الفطرة أيضًا النفور من الشدة والإعنات وقد اقتضت شريعة الإسلام أن تكون شريعة عامة ودائمة، فاستلزم ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمة سهلًا، ولا يتم ذلك إلا إذا انتفى عنها الإعنات فكانت بسماحتها أشد ملائمة للنفوس وذلك لأن فيها إراحة النفوس والضمائر، وبالتالى إسعاد البشرية، وقد أثبتت الأيام أثر هذه السماحة فى انتشار هذا الدين وشيوعه بين الناس والشعوب فى أقطار بعيدة فى قارات العالم، فأدرك الناس سماحة الإسلام ويسره، خاصة وأنه دين الفطرة عليها فأقبلوا عليه فاعتنقوه.

**ثالثًا: المقصد العام من التشريع:**

لعل المتأمل فى شريعة الإسلام يلاحظ أن المقصد العام منها يتمثل فى حفظ نظام الأمة وحفظ الإنسان الذى يحيا فى هذه الأمة، ويشمل الحفظ صيانة عقله وبدنه ومن ثم صلاح عمله واستقراره ليحيا حياة كريمة، تؤدى جميعها بالتالى إلى استقامة الحياة واستقرارها.

ويلاحظ أن شريعة الإسلام شريعة هادفة لإصلاح أحوال الناس جميعًا، وليست هادفة لإصلاح العقيدة فحسب، كما قد يعتقد البعض بل إن الإصلاح يشمل الإصلاح الشامل من عقيدة وأمور حياتية يومية للبشرية، ندرك ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيفسد فيها ويهلك الحث والنسل والله لا يحب الفساد﴾[2].

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث، ذكرته بعض المصادر بأنه حديث ضعيف السند بهذا اللفظ، ولكنه ربما يأتى فى معنى الحديث الذى رواه ابن أبى شيبة عن ابن عباس عن رسول الله، وأخرجه البخارى فى صحيحة، كما أشرت من قبل.

(٢) القرآن الكريم، سورة النور، آية رقم (٢٠٥).

والفساد المحذر منه هو إفساد المخلوقات جميعها من إنسان وحيوان وطيور ونباتات ومناخ وسائر الموجودات المحيطة بالإنسان، وذلك لأن الإنسان لا يحيا بمفرده فى هذا الكون الفسيح، فاقتضت شريعة الإسلام أن تعتنى بكل الموجودات وبأن الإنسان المفسد محاسب على كل ما اقترفته يداه، وفى ذلك نقرأ قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾[١].

ولقد تناولت شريعة الإسلام إنزال العقوبة بالمخالفين، الذين يحاولون تدمير الكون وإفساده، فشرع القصاص على إتلاف الأرواح بقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأيضاً بإنزال عقوبة القصاص فى القتلى، عملًا بقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢].

وعلى ذلك يمكن القول إن المقصد العام من شريعة الإسلام تهدف فى مجملها إلى جلب المصالح ودرء المفاسد، وهى كما هو معلوم قاعدة كلية فى شريعة ديننا الحنيف، ولا تخالف الحقيقة إذا قلنا أن الإسلام عالج صلاح الإنسان بصلاح أفراده الذين هم أجزاء نوعه، وبصلاح مجموعة وهو النوع كله، فابتدأ بإصلاح الاعتقاد الذى هو ركيزة إصلاح مبدأ التفكير الإنسانى الذى يسوقه، بالتالى إلى التفكير الحق فى أحوال هذا العالم، ثم شرع فى علاج الإنسان بتزكية نفسه وتصفية باطنه، وذلك لأن الباطن محرك الإنسان إلى الأعمال الصالحة، كما ورد فى الحديث النبوى الشريف «ألا، إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب..»[٣] وفى هذا الخصوص أيضًا قال بعض الحكماء: «الإنسان عقل تخدمه الأعضاء».

وربما من هذا المنطلق سعى العديد من حكم وولاة أمور المسلمين ورجال البر والخير منهم إلى الإقدام على تنفيذ «نظام الوقف» بصفته من أعمال البر والخير والإحسان فى الأرض فعمدوا إلى إنشاء المدارس والمستشفيات وسائر العطاءات

---

(١) القرآن الكريم، سورة المؤمنون، آية رقم (١٥٥، ١١٦).

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم (١٧٩).

(٣) الإمام محمد الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ص ٦٢.

للفقراء والمرضى وعابرى السبيل، ومنها كذلك تلك الأوقاف التى أوقفت من قبل خلفاء الفاطميين وسلاطين المماليك وآل عثمان على رهبان دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء لحمايتهم وتأمينهم من بطش وغدر العربان المجاورين للدير فى سيناء، جميع هذه الأعمال كما أشرت من قبل مستمدة من تعاليم ديننا وشرع نبينا الكريم ﷺ لرعاية أهل الذمة وحمايتهم وذلك من باب البر والقسط[1].

**رابعًا: مقاصد الشريعة الإسلامية:**

من أبرز مقاصد شريعة الإسلام حفظ أمور وعناصر مهمة فى حياة الأمم والشعوب، الإخلال بها يؤدى إلى تدمير وزوال هذه الأمم والشعوب، المتأمل فيها يلاحظ أنها تتعلق بحفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال والعرض، ولقد حرصت شريعة الإسلام على العناية بهذه العناصر المهمة لما لها من دور فى استقرار المجتمع والنهوض به وذلك على النحو التالى:

**١ ـ حفظ الدين:**

معنى حفظ الدين ـ حمايته وصيانته من أن يدخل عليه ما يسد اعتقاده وعمله اللاحق بالدين، أيضًا فإن معنى حفظ الدين بالنسبة لعموم الأمة، أى دفع كل ما من شأنه أن ينقض أصول الذين القطعية فحفظ الدين مطلب رئيسى ومبتغى أساسى يحرص عليه المسلم الحق. وذلك عملًا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[2].

**٢ ـ حفظ النفس:**

المقصود بحفظ النفس صيانتها ورعايتها من التلف، بل من العوامل التى قد تؤدى إلى تدميرها وإيذائها أفرادًا وجماعات، وذلك لأن العالم مركب من أفراد الإنسان، وفى كل نفس خصائصها التى بها بعض قوام العالم، وليس المراد بحفظها بالقصاص

---

(١) انظر فى ذلك قوله تعالى: ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يُحب المقسطين)
سورة الممتحنة، آية (٨)

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم (١٩).

فقط، كما مثل بها بعض الفقهاء، بل نجد أن القصاص هو أضعف أنواع حفظ النفوس، وذلك لأنه تدارك بعد فوات الآوان.

بل إن حفظ النفس أهم من الوقوع فى الخطر الذى قد يؤدى إلى إهلاكها بالقصاص، ومن ذلك ما روى عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عندما منع جيش المسلمين من دخول أرض الشام لأجل انتشار طاعون عمواس، فخشى على المسلمين تعرضهم لخطر الإصابة بهذا الطاعون، فعمد إلى حفظ نفوسهم قبل تعرضها للهلاك[1].

**٣ ـ حفظ العقل:**

العقل كما هو معلوم مناط التكليف، وهو كما يُقال: السيد الذى يتحكم فى تصرفات الإنسان، وتدميره يؤدى إلى خلل فى سلوك الإنسان، ومن ثم عدم انضباط التصرف، وقد يؤدى به الأمر إلى الخروج عن المألوف والإتيان بأشياء من شأنها إحلال اضطراب فى المجتمع، لذلك حرصت شريعة الإسلام على حفظ العقل فحرمت عليه كل مسكر يؤدى إلى زوال العقل من جراء تعاطى أنواع المسكرات والمخدرات بشتى ألوانها[2]، كما حرصت أيضًا شريعة الإسلام، على حفظ العقول من المعتقدات الخاطئة والأفكار الهدامة والوساوس الباطلة التى يزين لها الشيطان ويغوى أتباعه على اعتناقها.

**٤ ـ حفظ المال:**

المقصود بالمال هو الثروات التى أنعم الله تعالى بها على خلقه على صعيد الفرد والمجتمع، ومعنى حفظ المال صيانته من الإتلاف لأنه عصب الحياة، وبه تنهض الأمم والشعوب وتُرقى المجتمعات إذا أحسنت استخدامه وإنفاقه فى أوجه البر والخير والمنفعة، ولذلك حرص بعض أولى الأمر على تخصيص مبالغ مالية وإنفاقها فى أعمال خيرية مثل «الأوقاف» ليعود نفعها على الفقراء والمحتاجين، وكذلك تخصيص وقف خيرى ينفق منه على أبناء السبيل والمرضى وأهل الذمة وخاصة الرهبان كما هو حادث فى أوقات العصور الوسطى من قبل خلفاء الفاطميين وسلاطين المماليك وغيرهم، الذين أوقفوا أوقافًا خيرية خصصوا لها العديد من

---

(١) الإمام محمد الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ص ٧٨.

(٢) نقرأ فى تحريم الخمر والمسكرات، قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون...) سورة النساء، آية رقم (٤٣).

الأموال والعطايا لرهبان دير سانت كاترين، كوجه من أوجه الإنفاق فى سبيل الله، وذلك إلى جانب أوقافًا أخرى خصصت لمرضى وفقراء المسلمين مثل: إنشاء الأسبلة والكتاتيب والبيمارستانات والمدارس والوكالات والخانات والقيساريات والأربطة والخانقاوات ... وغيرها.

ومن ناحية أخرى فإن شريعة الإسلام حرمت البخل[1]، كما حرمت أوجه الإسراف فى إنفاق الأموال، وذلك لأن شريعة هذا الدين شريعة وسطية كما أسلفت من قبل.

**٥ ـ حفظ النسب:**

حفظ الأنساب المقصود به حفظ النسل، ولقد أطلقه العلماء ولم يبينوا المقصود منه، وذلك لأن النسل هو خلفة أفراد النوع فلو تعطل يؤول تعطيله إلى اضمحلال النوع وانتقاصه، ولعل المقصود كذلك من حفظ الأنساب، عدم ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وعدم اختلاط الأنساب بارتكاب جرائم الزنى بل عدم الاقتراب منها عملًا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[2]، وحفظ الأنساب وصيانتها علامة بارزة على صيانة وحماية قيم المجتمع وضمان سلامته وأمنه ومن ثم النهوض به وتقدمه.

**٦ ـ حفظ العرض:**

هو صيانته من الخوض فى خصوصيات الناس، ونهش أعراضهم ولقد أشار تاج الدين السبكى فى مصنفه «جمع الجوامع» على أن من يتعرض لهتك أعراض الناس والخوض فيها من الأمور الجسيمة فى حياة الأمم والشعوب، مستندًا فى ذلك لورود حد القذف فيمن يقترف هذا الإثم، منها قوله تعالى فى محكم التنزيل ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3].

---

(١) انظر فى ذلك قوله تعالى: (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) سورة النساء، آية رقم (٣٧).

(٢) القرآن الكريم، سورة الإسراء، أية رقم (٣٢).

(٣) القرآن الكريم، سورة النور، آية رقم (٤).

وحفظ العرض كمقصد سامى من مقاصد شريعة الإسلام، يُعد علامة بارزة على سعى هذا الدين على استقرار وأمن المجتمع وترابط أفراده ومن ثم النهوض به، ووضعه فى مصاف الدول المتقدمة التى يحترم أفرادها بعضهم بعضًا ويجعلهم مترابطين لا يعتدى أحدهم على الآخر بالفعل أو بالقول أو بالطعن فى النسب أو العرض، ويلاحظ أن أى خلل فى هذا الشأن يؤدى إلى فساد المجتمع واختلال بنيانه وتهديد كيانه واستقراره، ومن ثم تدميره وتشريد أفراده وغيرها من الأمور التى لا يرضى عنها الشرع الحنيف، وعلى سبيل الإجمال فإن العناصر السابق ذكرها من أنواع مقاصد الشرع الإسلامى الحنيف، والتى تهدف إلى حفظ الثوابت السابق ذكرها مثل «حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسب والعرض»، جميعها عوامل أساسية فى حياة الأمم والشعوب، ولذلك حرصت شريعة الإسلام على جعلها فى أسمى مقاصدها حماية ورعاية وصيانة لأمن المجتمع وعدم الإخلال بنظمه وقواعده، وهى أيضًا لافتة لغير المسلمين من أهل ذمة وغيرهم بأن هذه الشريعة مستمدة من تعاليم الخالق العظيم الذى لا يرضى لعباده الكفر.

**خامسا: الأوقاف أحد النظم الإسلامية الراقية:**

تعتبر الأوقاف من أبرز النظم المالية فى العهد الإسلامى، وكما هو معلوم فإن النظام المالى فى الإسلام واضح المعالم، كما أن أكثر مبادئ هذا النظام الراقى له قواعد كلية كبرى أقرها القرآن الكريم وأوضحتها كذلك تعاليم السنة النبوية الشريفة، لذلك فإن النظام المالى فى الإسلام مستقل كل الاستقلال عن جميع النظم المالية العالمية الأخرى، ولقد جرى العمل بهذا النظام المالى زمن الرسول الكريم ﷺ.

وعلى هذه القواعد الكبرى يمكن أن تقاس جميع الفروع الجزئية الصغرى المستجدة وذلك تبعًا لتطور الظروف والأحداث، وعلى كل الأحوال فإنه من مميزات هذا النظام مراعاة تحقيق التوازن الاجتماعى من خلال كل قاعدة كبرى، وكذلك كل مسألة فرعية قد تبدو فى الأفق.

وتجدر الإشارة إلى أن أهم ما يميز النظام الإسلامى المالى، هو الضرائب التى ازدادت وتنوعت وذلك بتنوع الاحتياجات والالتزامات الاجتماعية فى الدولة الإسلامية، ولقد أحيطت هذه الموارد بعدد من التقاليد والنظم لتحديد ومعرفة مدى

موارد الدولة، كذلك أوجه الإنفاق والمصارف التى يتم إخراج الأموال قبلها، وكما هو معلوم فإن أهم واردات الدولة الإسلامية المالية ممثلة فى الآتى:

١ - الزكاة[١] ٢ - الخراج[٢] ٣ - الجزية[٣]

٤ - الغنيمة[٤] ٥ - الفيء[٥] ٦ - العشور[٦].

وجميعها موارد رئيسة، بعضها يتم جمعه بوصفه ضريبة عن الأرض والبعض الآخر يتم استخراجه من أهل الذمة نظير خدمات تقدم لهم فى الدولة الإسلامية، من حيث إنشاء الطرق والجسور والمعابر، وكذلك الإنفاق على حراستهم وحراسة ممتلكاتهم ومصالحهم بتخصيص عسس وجنود يكونون فى خدمتهم.

**الأوقاف:**

تعتبر الأوقاف من أبرز النظم المالية فى الإسلام، والوقف لغة هو «الحبس» فى

---

(١) الزكاة تسمى أيضًا (الصادقة)، وهى أول ضريبة إسلامية فرضت على الأغنياء والقادرين ومقاديرها حددتها السنة النبوية وهى مستمدة من قوله تعالى فى سورة التوبة: ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتكم سكن لهم والله سميع عليم)، سورة التوبة - آية (١٠٣).

(٢) الخراج: ضريبة تفرض على الأرض التى صولح عيها المشركون وذلك بمقدار معين من حاصلاتهم الزراعية أو من أموالهم، وهذا المقدار المفروض يسمى خراجًا، وكلمة (خراج) وردت فى قوله تعالى: ( فخراج ربك خير وهو خير الرازقين ) سورة المؤمنون، آية رقم (٧٢).

(٣) الجزية: ثبتت هذه الضريبة بنص كتاب الله تعالى فى قوله: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون). سورة التوبة، آية رقم (٢٩) والجزية مبلغ معين من المال، يوضع على الرءوس، لا على الأرض مثل الخراج، جدير بالذكر أيضًا أن الجزية تسقط باعتناق الذمى الدين الإسلامى، بينما لا يسقط الخراج باعتناق الإسلام.

(٤) الغنيمة: مال من أموال غير المسلمين الذين يقاتلون المسلمين، يناله المؤمنون على وجه الانتصار فى الحروب بينهم، ومعنا الاصطلاح مأخوذ من المعنى اللغوى (الفوز بالشىء) ولقد ورد هذا اللفظ فى قوله تعالى: (واعملوا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل). سورة الأنفال، آية رقم (٤١).

(٥) الفيء: مأخوذ من فاء، يفيء، بمعنى إذا رجع إلى الشيء وهو اصطلاحًا المال الذى أصابه المسلمون عفوا دون قتال ودون إيجاف بخيل ولا ركاب.

(٦) العشور: كانت العشور تؤخذ فى الإسلام على أنها ضرائب على بضائع التجار فيؤخذ العشر من بضائع التجار من غير المسلمين، إذا قدموا بها من دار الحرب إلى دار الإسلام، ورخص لهم بذلك.

سبيل الله، وجمعها «أوقاف»[1]، ولقد قسم علماء الشريعة الأوقاف إلى قسمين:

١ ـ أوقاف ذرية . ٢ ـ أوقاف خيرية.

١ ـ الأوقاف الذرية: سميت بهذا الاسم نسبة إلى الذرية «ذرية الإنسان» وذلك لأنها تهدف إلى ضمان التكافل الاجتماعى لذرية الواقف وذوى قرباه مع انتهائها فى جميع الصور إلى علم من أعمال البر، أو جهة من جهات الخير، كإعانة الفقراء أو طلبة العلم.

٢ ـ الأوقاف الخيرية: المقصود بها تخصيص الواقف جزءًا من أمواله وقفًا على أعمال الخير والبر، وذلك ابتغاء رضوان الله تعالى وطلب مغفرته وعفوه، كما أن الواقف أراد بإنفاق هذا المال إحداث توازن فى المجتمع ليصبح فيما بعد مجتمعًا مترابطًا متحابًا رحيمًا فيما بين أفراده، خاصة إذا جاءت هذه الأوقاف من ذوى السلطات فى الدولة من الخلفاء والسلاطين والأمراء وأصحاب النفوذ وغيرهم.

ومن أبرز هذه الأوقاف ما نحن بصدد الحديث عنه فى هذه الدراسة، وهو ذلك الوقف الخيرى الذى خصصه خلفاء الفاطميين وسلاطين المماليك فى العصور الوسطى على رهبان دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء بمصر، والذى سنتناوله بالتفصيل لاحقًا، وذلك من خلال استعراض عدد من وثائق الوقف على رهبان هذا الدير التاريخى العريق.

جدير بالذكر أيضًا أن الوقف الخيرى متعدد ومتنوع، لا يقف إطلاقًا على عمل خير معين بل هناك أوقافًا خاصة بعمارة المساجد والزوايا والمدارس والمقابر وإصلاح الجسور والطرقات العامة، بل هناك أوقافًا خصصت لإقامة فنادق للمسافرين، مزودة بالمياه والطعام والحراسة، ومداواة المريض من المسافرين أو عابرى السبيل، كما أن هناك أوقافًا أخرى خصصت للرباطات التى يسكنها المرابطون (المجاهدون فى سبيل الله) على الثغور وحدود الدولة الإسلامية، للحراسة فى سبيل الله، وحماية حدود الدولة من بطش الأعداء والمغيرين عليها، ومنها أيضًا وقف البزار مجانًا للمزارعين

---

(١) أحمد بن محمد بن على الفيومى المقرئ: المصباح المنير. طبعة مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٨٧م، ص ٢٥٦.

والفلاحين[1]، أيضًا منها القروض الحسنة للتجار بغرض تنشيط أعمالهم وتجارتهم، ومنها كذلك الأوقاف الخاصة بالعميان والمقعدين، وذوى الاحتياجات الخاصة، واليتامى واللقطاء، وهناك أوقاف خصصت لتزويج الشباب من الجنسين، وتجهيز العروس، وأوقاف خاصة لعلاج الحيوان، ويذكر فى هذا المقام وجود (وقف المرج الأخضر) بمدينة دمشق بسوريا، وكان وقفًا على الحيوانات المريضة العاجزة حيث تظل ترعى فى مزارع هذا المرج حتى تموت، أيضًا كان هناك (وقف للقطط) فى سوق (ساروجة) خاص بإيواء الحيوانات الأليفة فى أحد المنازل، ومما هو جدير بالذكر أيضًا ذلك الوقف العجيب الذى أوقفه الناصر صلاح الدين الأيوبى فى قلعة دمشق وأطلق عليه (نقطة الحليب)، كان مخصصًا لإمداد الأمهات بالحليب والسكر لتغذية أطفالهن، ولقد تمثل هذا الوقف بتخصيص صلاح الدين الأيوبى، فى أحد أبوابه قلعة دمشق «ميزابًا»[2] يسيل منه الحليب، وميزابًا آخر بجواره يسيل منه ماء مذاب بالسكر، ولقد خصص صلاح الدين الأيوبى يومين فى الأسبوع للنساء ليأخذن خلالهما من الوقف حاجتهن من الحليب والسكر.

جدير بالذكر أيضًا أن بعض الباحثين ذكر وجود أوقاف خصصها بعض الخيرين منها حدائق وقفت جميعها وما تحتويه من أشجار مثمرة وقفًا لله تعالى يأكل منها ويستظل بظلها كل فقير وعابر سبيل[3].

وفى واقع الأمر إن شريعة الإسلام حرصت على توزيع الموارد المالية توزيعًا عادلًا على جميع طبقات المجتمع، لا فضل فيه لأحد على آخر إلا بالعمل والجهد، وبمقدار ما يبذله الأفراد من أنشطة وأعمال هادفة، حرصت كذلك على عدم احتكار الثروة فى قطر أو إقليم أو طبقة معينة، وسند ذلك قوله تعالى فى محكم التنزيل: ﴿مَّآ

---

(١) د. صبحى الصالح: النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها. طبعة دار العلم للملايين، بيروت، لبنان سنة ١٩٨٢م، الطبعة السادسة، ص ٣٦٩.

(٢) ميزاب، جمعها. ميازيب ومآزيب، وربما قيل أيضًا موازيب، وهى كلمة فارسية، تعنى القناة التى يجرى فيها الماء، محمود خاطر: مختار الصحاح، المطبعة الأميرة بالقاهرة سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٦٦م، ص ٧١٨. قاموس المنجد فى اللغة والإعلام، طبعة بيروت، لبنان سنة ١٩٨٦، ص ٨٩٨.

(٣) د. مصطفى السباعى: اشتراكية الإسلام. مطبعة جامعة دمشق، سوريا سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م، ص ١٤٥-١٤٧.

أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

أيضًا لم تغفل شريعة الإسلام العناية بأهل الذمة وكل من خالف المسلمين فى العقيدة، فسعت شريعة الإسلام إلى العناية بتوزيع الثروات التى مَنَّ الله تعالى بها على خلقه، وحارب الشح والبخل وحب الذات ـ ومن ذلك نقرأ قوله تعالى ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[2].

وفى الحديث الشريف نقرأ قوله ﷺ فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه قوله: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: أللهم أعط منفقًا خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[3].

وعلى ذلك يمكن القول إن شريعة الإسلام اعترفت وأقرت للإنسان أيًا كانت ديانته أو جنسه أ وعقيدته بالحقوق التالية:

حق المساواة الكاملة بين طوائف الناس ومللهم وأجناسهم، مع القضاء على التمييز العنصرى، وكذلك تحطيم الفوارق بين الطبقات.

* حق الحرية للإنسان منذ أن تتفتح عيناه على نور الوجود فى هذه الحياة الدنيا، ونقرأ فى ذلك القول المأثور عن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب قوله: «متى استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا». وكما هو معلوم فإن أهم أنواع الحرية فى نظر الإسلام «حرية الفكر والعقيدة» وذلك عملًا بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾[4]، وأيضًا قوله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[5].

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحشر، آية رقم (٧).

(٢) القرآن الكريم، سورة الليل، آية رقم (٥-٧).

(٣) الألبانى (محمد بن ناصر الدين الألبانى): مختصر صحيح الإمام البخارى. طبعة المكتب الإسلامى الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ١٣٩٤هـ، ص ٣٣٨.

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم (٢٥٦).

(٥) القرآن الكريم، سورة الكافرون، آية رقم (٦).

حق الكرامة لبنى آدم جميعًا، وقد حرصت شريعة الإسلام على خدش كرامة الإنسان أيًا كانت ديانته أو معتقده أو لونه أو جنسه وكذلك عدم الاستهزاء به أو قذفه أو إهانته وتحقيره، وغيرها من الأمور الخارجة على حدود الكرامة، ونقرأ فى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]

وفى تفسير هذه الآية القرآنية الكريمة يذكر العلامة (الألوسى) فى تفسيره «روح المعاني» قوله: «أى جعلناهم قاطبة برهم وفاجرهم ذوى كرم: أى ذى شرف ومحاسن»[2].

* حق العلم ونشر التعليم بين الجميع: مسلمين وأهل ذمة فى المجتمع الإسلامى على حد سواء، ولقد صعدها الإسلام لتكون فى مرتبة الفريضة عملًا بقوله ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[3]، ومن هذا المنطلق فقد قرر فقهاء شريعة الإسلام أن نفقة طالب العلم الفقير تجب على ولى أمره، حتى إن بعض الفقهاء قرر أن كتب العلم ومصادره الأصيلة تعتبر من الحاجات الضرورية الأصلية، لا زكاة عليها مهما ارتفع ثمنها[4]، وربما من هذا المنطلق شرع العديد من ولاة أمور المسلمين بإنفاق الأموال ووقف الأوقاف على طلاب العلم فأنشأوا المدارس والكتاتيب والزوايا والخانقاوات .. وغيرها.

* حق الملكية الفردية للأفراد فى المتجمع، دون النظر للجنس أو اللون والعقيدة، شريطة أن تكون هذه الملكية هادفة ونافعة ووسيلة لقضاء حوائج الناس وتيسير مصالحهم وتبادل المنفعة بينهم، لا لأن تكون مقصورة على فئة معينة من الناس بهدف التمتع بمباهج الحياة وزينتها، بينما تعيش طوائف أخرى من المجتمع فى حالات بؤس وشقاء وفقر مدقع، قد يؤدى بالتالى لمزيد من الاحتقان والأحقاد اللذين يؤديان إلى حدوث خلل فى بنية ونسيج المجتمع.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية رقم (٧٠).

(٢) الألوسى: روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع الثانى. المطبعة المنيرية بالقاهرة، جـ ١٥، ص ١١٧.

(٣) هذا الحديث رواه البيهقى والطبرانى.

(٤) ابن عابدين: رد المختار على الدر المختار، شرح تنوير الأبصار. المطبعة الأميرية بالقاهرة، الطبعة الثانية، جـ ٢، ص ٦.

وعلى هذا الأساس فقد حارب الإسلام الفقر، على اعتبار أنه مرض اجتماعى خطير، وفى الحديث الشريف الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحة «كاد الفقر أن يكون كفرًا»، لذلك حبذت شريعة الإسلام العمل والكد فى سبيل الأرزاق والحياة الكريمة، وذلك لكى يعيش أفراد المجتمع مسلمين وأهل ذمة فى حياة سوية ونقرأ فى سبيل ذلك قوله ﷺ «الخلق عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله»[1].

**سادسًا: عناية شريعة الإسلام بأهل الذمة:**

**١ - الجزية والعدل:**

اعتنت شريعة الإسلام بأهل الذمة (يهودًا نصارى)، وعاملتهم معاملة حسنة وتلطفت بهم عند أخذ الجزية منهم، وكما هو معلوم فإن المسلمين والذميين فى نظر شريعة الإسلام رعية لدولة واحدة، ويتمتعون جميعًا بحقوق وعليهم واجبات واحدة، حيث إنهم ينتفعون بمصالح الدولة بنسبة واحدة، ومن أجل ذلك شرعت الزكاة على المسلمين بوصفها فريضة دينية ثابتة، وشرعت كذلك الجزية على من خالف المسلمين فى العقيدة من يهود ونصارى، فالزكاة المفروضة على المسلمين تؤدى بوصفها فريضة فرضها الله تعالى على المسلمين، بينما الجزية المفروضة على أهل الذمة لها معنى قانونى دولى خاص يدخل فى إطار ما يسمى حاليًا «حقوق الدولة الخاصة»[2]، وذلك نظير خدمات تقوم بها الدولة للرعية «مسلمين وأهل ذمة» فهى تنشئ الجسور والمعابر وتطهر قنوات الرى، وتقوم بإعداد جنود يسهرون على حماية الدولة داخليًا وكذلك حماية حدودها الخارجية، وقد أشار إلى ذلك القرطبى بقوله: «الجزية وزنها فعله من جزئ يجزى إذا كافًا عما أسدى إليه...»[3].

والجزية كما هو معلوم ثبتت بنص كتاب الله تعالى فى قوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ

(١) هذا الحديث الشريف رواه البزاز وأبو يعلى.
(٢) د. صبحى الصالح: المرجع السابق، ص ٣٦٣.
(٣) القرطبى: أحكام أبو يعلى، ص ١٣٧.

﴿ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾[1].

كما أن هذه الجزية مبلغ معين من المال يؤخذ من الذمى الذى يؤدى عملًا، ولا تؤخذ من الشيخ الكبير أو المريض أو الراهب فى صومعته وديره (لاحظ هنا أنه لم يرد مطلقًا أنه تم أخذ جزية من راهب يتعبد ومنقطع للعبادة، كما أنها لم تؤخذ من الفقير أو الطفل أو المعاق أو النساء وذوى العاهات)[2].

ولقد حدد فقهاء شريعة الإسلام حدود الجزية المفروضة على أهل الذمة وقسموها إلى ثلاث أصناف على النحو التالى:[3].

أ ـ الأغنياء وقيمة ما يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهمًا.

ب ـ المتوسطون ويؤخذ منهم أربعة وعشرون درهمًا.

ج ـ الفقراء بشرط أن يكونوا ذوى حرفة يتكسبون منها، فيؤخذ منهم اثنان وعشرون درهمًا، ولا تؤخذ هذه الجزية من العجزة أو الصبية أو الأطفال أو النساء أو الشيوخ أو الرهبان أو القساوسة المنقطعين للعبادة فى الأديرة والصوامع، ولقد عبَّر عنهم ابن القيم الجوزية بقوله: «فلا جزية على مسكين يتصدق عليه، ولا على الزمن الذى يمنعه مرضه المزمن من العمل، ولا على المقعد، ولا على المجنون، ولا على الأعمى، ولا على ذى العاهة، ولا على الرهبان فى الأديرة، ولا على المرأة، ولا على الصبى، ولا على العبد المملوك»[4]، وذلك لأن هؤلاء جميعًا لا يؤدون أعمالاً ولا يتكسبون الرزق، لذلك لم تفرض عليهم الجزية رحمة بهم وإشفاقًا عليهم، وفى ذلك يحدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتابه «الأموال»: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر على باب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أى أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودى. قال: فما ألجأك إلى ما أري؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله، وضخ له بشىء من

---

(١) القرآن الكريم، سورة التوبة، آية رقم (٢٩).

(٢) ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة. طبعة جامعة دمشق، سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦١م. ص ٢٢.

(٣) يحيى بن آدم القرشى: الخراج ت تحقيق أحد محمد شاكر. المطبعة السلفية بالقاهرة، سنة ١٣٤٧ هـ ص ٢٣.

(٤) ابن القيم الجوزية: المصدر السابق، ص ٤٩.

المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وضرباءه، فو الله ما أنصفناه أن كلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم»[1]، واستشهد بقوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين...﴾ ثم قال: ﴿والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب﴾ ووضع الجزية عنه وعن أمثاله من أهل الذمة.

وفى مجال التسامح والعطف أيضًا مع أهل الذمة اعتبر الإمام أبو حنيفة: «أن حياة الذمى تعادل حياة المسلم، وأن ديته عند حصول القتل تساوى دية المسلمين كما فعل النبى ﷺ، وأخذ بذلك أيضًا الإمام أحمد صاحب المذهب الحنبلى[2].

**تقلدهم المناصب فى الدولة:**

جدير بالذكر أيضًا الإشارة إلى أن العديد من أهل الذمة زمن الأمويين شغلوا العديد من المناصب الإدارية والمالية فى الدولة الإسلامية، نذكر على سبيل المثال ظهور العديد من المحافظين على أقاليم مصر العليا (الصعيد) من أهل الذمة، ورد منهم اسم (بسيل) صاحب (كوم إشقاو) بمحافظة سوهاج بصعيد مصر، حيث ورد ذكر اسمه فى العديد من نصوص البرديات العربية فى العصر الأموى خاصة عهد الوالى (قرة بن شريك العبسى) ٩٠-٩٦ هـ ٧٠٩ - ٧١٥م[3].

كما ورد اسم (مينا) بوصفه محافظ قبطى بمنطقة أهناسيا، إحدى أكبر محافظات صعيد مصر، وذلك ضمن نصوص بردية عربية تنسب أيضًا للعهد الأموى مؤرخة بشهر ذى الحجة سنة ٩٠ هـ/ ٧٠٩ م ـ محفوظة فى المكتبة الوطنية بالنمسا[4].

---

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، تحقيق محمد حامد الفقى. طبعة القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ، ص ٤٥، رقم الحديث (١١٩).

(٢) د. صبحى الصالح: المرجع السابق، ص ٣٦٥.

(٣) انظر فى ذلك البرديات الأموية المحفوظة فى عدد من المتاحف والمكتبات والجامعات العالمية، منها المتحف البريطانى بلندن ومتحف اللوفر بباريس... وغيرها إحداها برقم سجل (المتحف البريطانى): (British. Mus. Or. 6231-A)

وأخرى أيضًا المتحف نفسه برقم سجل (British. Mus. Or. 6231-B)

(٤)هذه البردية محفوظة فى المكتبة الوطنية بالنمسا برقم سجل (PERF. Ar. Inv. 392)

انظر فى ذلك ما نشره المستشرق .

.Becker. C. H:. Arabische papyri des Aphrodito fundes (PAF) ZA. 20-1902-1903

وفى العهد العباسى عرف عن الخليفة العباسى المقتدر بالله (٩٠٨ ـ ٩٣٢م) أنه جعل أعمال الطب والجهبذة فى أيدى أهل الذمة (يهودًا ونصارى) حتى أن وزيره (أبوا الحسن على بن الفرات) قرب إليه النصارى، وفى هذا الخصوص ذكر هلال الصابئ فى كتابه (تاريخ الوزراء): «أنه من جملة الذين كانوا يدعون كل يوم إلى طعام ابن الفرات أربعة كتاب نصارى هم: أبو بشر عبد الله بن الفرخان وأخوه أبو عمرو سعيد، وأبو الحسين سعيد بن إبراهيم التُسترى وأبو منصور عبد الله بن جبير»[1].

**٢- أهل الذمة زمن العباسيين:**

جدير بالذكر أيضًا أن العباسيين قد قلدوا ديوان الجيوش ثلاث مرات لكتاب نصرانى فى القرن ٣ هـ/ ٩م، حتى وجه اللوم إلى الوزير (أبى الحسن بن الفرات) لأن بتقليده الديوان رجلًا من أهل الذمة (مسيحيًا): «جعل أنصار الدين وحماة البيضة يقبلون يده ويمتثلون أمره»[2]. أيضًا عرف عن أبى العلاء صاعد بن ثابت الكاتب النصرانى أنه خلف الوزير المهلبى سنة ٩٧٧م، على سبيل الإجمال فإن أهل الذمة

---

(١) هلال الصابئ: تاريخ الوزراء، طبعة بيروت، لبنان سنة ١٩٠٤، ص ١٦١، ص ٢٠٥.

(٢) روى هذه الواقعة (هلال الصابئ) بقوله: (...إن على بن عيسى قال لأبى الحسن ابن الفرات) لما عقد له مجلس لمحاكمته بعد وزارته الثانية: «... ما اتقيت الله فى تقليدك ديوان جيش المسلمين رجلًا نصرانيًا، وجعلت أنصار الدين وحماة البيضة يقبلون يده ويمتثلون أمره...» فقال ابن الفرات: «... ما هذا شىء ابتدأته ولا ابتدعته، وقد كان الناصر لدين الله قلد الجيش إسرائيل النصرانى كاتبه، وقلد المعتضد بالله ملك بن الوليد النصرانى، كاتب بدر ذلك...» فقال على بن عيسى «... ما فعلا صوابًا» قال: «حسبى الأسوة بهما وإن أخطأ على زعمك. لعمرى أنك لا ترى أمانتهما ولا تعتقد طاعتهما، فلذلك لا تقتدى بآرائهما ولا ترتضى بأفعالهما. ومع هذا فما وجدت لى روحين، إذا مضى أحدهما بقى الآخر...» قال: «ما أردت بهذا القول؟» قال: «وجدت العباس بن الحسن قد قلد محمد بن داوود ابن الجراح ديوان الجيش فطمع فى الوزارة، وسعى على العباس حتى قتله، وخلع أمير المؤمنين أعزه الله وأجلس عبد الله بن المعتز فخفت أن يتم على وعلى الدولة ما تم منه...». لويس شيخو: وزراء النصرانية وكتابها فى الإسلام (٦٢٢-١٥١٧م). بيروت، لبنان سنة ١٩٨٧م، ص ١٣٠.

جدير بالذكر أن الأب لويس شيخو ذكر عن أحد المستشرقين ويدعى (فتال) أن الرسول ﷺ قد حذر الصحابة من اليهود والنصارى بقوله (اليهود والنصارى هم قوم خائنون) وهذا الكلام يرد عليه من خلال هذا البحث وفصوله أربعة. انظر ما ذكره المستشرق فتال فى بحثه

Ftal:. les legal des non- mus mans en pagys d'idam. beyrouth. 1958. P. 236

انظر لويس شيخو: المرجع السابق، ص ١٦.

في العهد العباسى احتلوا مكانة خاصة ومتميزة، وكان الكتاب المسيحيون منتشرين انتشارًا واسعًا بحيث توجب على كثير من طالبى الوزارة التودد إليهم لتقلد هذا المنصب كما جرى للحسين بن القاسم[١].

**٣- أهل الذمة فى العهد الفاطمى:**

قصدت التحدث فى هذا الجزء بشىء من التفصيل، وذلك لأن أهل الذمة (يهودًا، نصارى) قد خصوا بعناية ورعاية خاصة من قِبل حكام وولاة أمور المسلمين فى هذا العهد، فقد نعموا فى ظل خلفاء الفاطميين بجو من التسامح لافت للأنظار، وفى هذا الخصوص يذكر الأب (لويس شيخو) فى دراسته «وزراء النصرانية وكتابها فى الإسلام» هذه العبارة عن أحوال أهل الذمة قبل العهد الفاطمى بقوله: «كانت للأقباط قبل عهد الدولة الفاطمية علاقات متوترة مع المسلمين، فقد تصدوا للفتح الإسلامى بشدة إذا كانت لهم لغة خاصة وعرق خاص أمام العرب، وكانت لهم كنيسة متحدة بخلاف ما فى بلاد المشرق، وكان عددهم مرتفعًا بحيث أحصى منهم فى القرن الثانى الهجرى خمسة ملايين يدفعون الجزية، وهو ما يشير إلى أن تعدادهم الإجمالى كان حوالى خمسة عشر مليونًا[٢]، وقاموا بعدة ثورات فى القرنين الأولين للهجرة ١-٣ هـ/ ٧-٨ حتى أخمدت آخرها سنة ٢١٦ هـ/ ٨٣١م»[٣].

أما فى العهد الفاطمى فقد نال أهل الذمة عناية خلفاء الفاطميين حتى أن الخليفة الفاطمى العزيز بالله ٩٧٥ - ٩٩٦م، كانت بينه وبينهم صلة نسب فقد تزوج مسيحية وعمل على تعيين أخيها (أرستس) بطريركيًا على بيت المقدس، ولأخيها (أرسانيوس) بطريركيا على الإسكندرية وذلك سنة ٩٨٦م[٤].

ومن ناحية أخرى شغل عدد من أهل الذمة مناصب إدارية عليا فى دولة ا لفاطميين فى مصر ومنهم: عيسى بن نسطورس، الذى تولى الوزارة من سنة ٣٨٣ حتى سنة ٣٨٦ هـ/ ٩٩٦م، وكذلك فهد بن إبراهيم الذى (تولى الوزارة من سنة ٣٩٠ هـ إلى

---

(١) لويس شيخو: المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) ربما نقل الأب لويس شيخو هذه المعلومة من المستشرق المعروف (آدم ميتز) من كتابه «الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجري» طبعة القاهرة سنة ١٩٤٠م، جـ١، ص ٦٣.

(٣) لويس شيخو: المرجع السابق، ص ١٩.

(٤) يحيى بن سعيد: تاريخ الذيل، تحقيق الأب لويس شيخو.

سنة ٣٩٣هـ)، ومنصور بن عبدون (تولى الوزارة من سنة ٤٠٠ إلى سنة ٤٠١ هـ)، وصاعد بن عيسى بن نسطورس (تولى الوزارة نحو ثلاثة أشهر وذلك سنة ٤٠٩ هـ)، وأبو سعد منصور بن مكراوه بن زنبور (تولى الوزارة لبضعة أيام سنة ٤٥٨ هـ)، أيضًا تولى بدر الجمالى وزارة السيف والقلم لأكثر من ٢٠ سنة (٤٦٦ هـ/ ١٠٧٣م ـ ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م) ثم ابنه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه الذى وزر حوالى ثمانية وعشرين سنة حتى سنة ١١٢١م ـ ثم يانس الأرمنى الذى تولى الوزارة سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١، وبهرام الأرمنى الذى تولى الوزارة بين أعوام ٥٢٩-٥٣١ هـ/ ١١٣٤-١١٣٦م)[١].

أما من ناحية أهل الذمة (اليهود) فقد نالوا أيضًا عناية ورعاية خلفاء الفاطميين فى مصر، فقد استعان الفاطميون ببعض أطباء اليهود وكتابهم فى أعمال التدوين فى الدولة، حتى وصل بعضهم لدرجة وزير ومنهم (يعقوب بن كلس) الذى اعتنق الإسلام وأصبح وزيرًا للخليفة الفاطمى العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م).

وعلى الرغم من اعتناقه الإسلام، فقد ظل على تحيزه وتعاطفه مع أهله وعشيرته اليهود، الأمر الذى جعل عددًا من المسلمين مستائين من هذا التصرف المشين، وهذا الإكرام والتدليل الكبير من قبل الخليفة لأهل الذمة اليهود، الذين أصبحوا يتحكمون فى أمور البلاد فكانت ردود البعض منهم لاذعة، خاصة الشاعر العربى الملقب (بالرضى)، ولعله الشاعر «الرضى بن البواب». فقال هذه الأبيات:[٢].

«يـهـودُ هـذا الـزمـان قد بلغوا ... غـايـة آمـالـهـم وقـد ملكوا
الـعـز فيهم والـمـال عندهمُ ... ومنهـم المستشـار والمـلكُ
يا أهل مصر إنى قد نصحت لكم ... تـهـودوا قـد تـهـود الـفـك»

أما من ناحية (أهل الذمة ـ النصارى) فقد نظم الشاعر «الحسن بن بشر» الدمشقى هذه الأبيات، الدالة على وصولهم مراكز مرموقة ومناصب عليا فى الدولة الإسلامية، نذكر منها:

«تنصر فالتنصر دينُ حق ... عـلـيـه زمـانـا هـذا يُـدلُ

---

(١) انظر فى ذلك: الأب لويس شيخو: المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) حسن إبراهيم حس: الفاطميون فى مصر. طبعة القاهرة، سنة ١٩٣٢م، ص ٢١١-٢١٢.

وقـل بـثـلاثـة عــزوا وجـلـوا وعطل ما سواهم فهو عطل
فيعقوب الـوزيـر أب وهـذا العزيز ابن وروح القدس فضلُ»

ونظرًا لتجرؤ هذا الشاعر على مكانة الخليفة وبتحريض من الوزير الفضل (وكان وزيرًا للخليفة العزيز بالله) فقد طلب معاقبته على هذا التجرؤ والتطاول، فاستجاب الخليفة على مضض، ثم ما لبث أن عفى عنه حسب رواية المؤرخ ابن الأثير[1].

**٤ ـ أهل الذمة زمن الأيوبيين والمماليك:**

**أ ـ زمن الأيوبيين:**

فى البداية لم يتساهل السلطان صلاح الدين الأيوبى (٥٦٧-٥٨٩ هـ/ ١١٧١-١١٩٣م) من أهل الذمة كما تساهل الفاطميون، فقد حرم صلاح الدين على المسيحيين العمل فى دواوين الدولة، ولكن كما يشير الأب «لويس شيخو» فى كتابه «وزراء النصرانية وكتابها فى الإسلام» أن هذا القرار لم يستمر طويلًا، وبقى حبرًا على ورق، وذلك لأن الكتَّاب النصارى كانوا على مستوى من الكفاءة، جعل الاستغناء عنهم أمرًا بالغ الصعوبة، ومن أجل ذلك كثر عددهم فى مصر والشام، ولم يمض وقتًا طويل حتى تولى بعضهم الوزارة، ومن بين الذين برز منهم (ابن الكرم ابن زنبور) الذى رافق الملك الكامل الأول الأيوبى ٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨ -١٢٣٨م فى حملته على الروم وتوفى خلالها وبالتحديد سنة ١٢٣٤م، أيضًا ظهر من كبار رجال أهل الذمة فى العهد الأيوبى (العميد أبو ياسر سنة ١٢٣٨م) الذى كتب فى ديوان الجيش، ثم جاء بعده ابنه (أبو جرجس المكين بن العميد) الذى ولى ديوان الجيش فى «مصر والشام»، ومن أثاره العلمية البارزة كتابة «تاريخ الملة الإسلامية»، توفى سنة ١٢٧٣م[2].

أيضًا من كبار رجال الذمة زمن الأيوبيين (مرفق الدين يعقوب ابن القف)، وكان صديقًا (لابن أبى أصيبعه) كاتب تراجم الأطباء المعروف[3]، جدير بالذكر أن (ابن

---

(١) ابن الأثير (عز الدين): تاريخ الكامل، تحقيق آدم ميتز. طبعة بولاق بالقاهرة، سنة ١٢٩ هـ، جـ١، ص ٩١.

(٢) بن خلكان (أبو العباس): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

(٣) ذكر ابن أبو أصيبعه فى كتابه: «عيون الأنباء، حـ ١، ص ٢٧٣-٢٧٤» عن علاقته بابن القف قوله: (كان موفق الدين صديقًا لى مستمرًا فى تأكيد مودته، حافظًا لها طول أيامه ومدته، تستجلى نفائس

القُف) ـ هو والد الطبيب الذمى المعروف (أمين الدولة أبى الفرج ابن القُف). أيضًا ظهر من كبار رجال أهل الذمة (المكين بن سمعان بن كليل) الذى خدم فى ديوان الجيش زمن صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م وكان كاتبًا حاذقًا، واستمر عاملًا بديوان الجيش ثلاث سنوات، وترك الخدمة فى الدولة العادلية، وترهب فى دير (أبو يحنس)[١] لقصير ببرية الأسقيط بوادى حبيب، وحبس نفسه فى موضعه (صومعته) التى بناها فى وسط الدير مدة تزيد على ٣٠ سنة، وكانت سيرته فاضلة وأمره مشهورًا». ولقد ذكر ابن العميد أن أبا المكارم بن أبى الطيب تزوج أخت ابن كليل[٢]، كذلك من أبرز كتَّاب أهل الذمة المسيحيين فى زمن الأيوبيين (شرف الدين الأسعد ابن مماتى) ووالده (أبو سعيد المهذب الملقب بالخطير)، ولقد أسلم أبو سعيد ليظل فى منصبه، ثم تقدم فى أعمال الديوان حتى تولى الوزارة فى عهد صلاح الدين، ولقد أسلمت معه جماعة من أقرانه منهم ابنه (الأسعد) المعروف بكتابه الشهير (قوانين الدواوين) الذى تحدث فيه بشىء من التفصيل عن دواوين مصر ورسومها وأحوالها وله أيضًا كتاب آخر يحمل عنوان: «نظم سيرة السلطان صلاح الدين»[٣].

**ب ـ زمن المماليك:**

استمر أهل الذمة يشغلون مناصب عدة ومرموقة زمن المماليك فقد ذكر المؤرخ المقريزى فى كتابه (الخطط)؛ مكانة الوزير (أبى الفرج بن سعيد الدولة) عند السلطان، فذكر هذه العبارة: «ومنهم ـ أى نصارى القبط ـ رجل يعرف بالتاج بن سعيد الدولة يعانى الكتابة، وهو يومئذ فى خدمة الأمير بيبرس سنة ٧٠٢ هـ، وقد احتوى على عقله

---

مجالسته وتستجلى عرائس مؤانسته، ألمعى أوانه، وأصمعى زمانه جيد الحفظ للأشجار، علَّامة فى نقل التواريخ والأخبار، متميزًا فى علمه بالعربية فاضلًا فى الفنون الأدبية، قد اشتغل فى الكتابة على أصولها وفروعها، وبلغ الغاية من بعيدها وبديعها، وله الخط المنسوب الذى هو نزهة الأبصار، ولا يلحقه كاتب فى سائر الأقطار و الأمصار، كان أيام الملك الناصر يوسف بن محمد كاتبًا بصلخد عاملًا فى ديوان البر، ثم انتقل إلى دمشق المحروسة، وخدم فى الديوان السامى...».

Nasrallah. J:. History du movement litter. dans I'eglise melchite du ve au xx. Vol. 111.2 PP. .99-100

(١) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق ص ٣٦٥ «اللغة».

(٢) جورج شحاته فنواتى: المسيحية والحضارة العربية. طبعة بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٣م، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٣) الأب لويس شيخو: المرجع السابق، ص ٢٢.

واستولى على جميع أموره كما هى عادة ملوك مصر وأمرائها من الأتراك فى الانقياد لكتابهم من القبط سواء منهم من أسر الكفر أو جهر به..»[١].

أيضًا من الوزراء المسيحيين زمن المماليك الوزير «عبد الله بن الصنيعة المعروف بغبريال سنة ٧٣٤ هـ/ ١٣٣٤ م، ذكرته العديد من المصادر العربية، فهذا أبو المحاسن يذكره باسمه كاملًا بقوله: «عبد الله بن الصنعية الصاحب الوزير شمس الدين المصرى القبطى المعروف بغبريال كان أولًا كاتبًا عند قراسنقر، ثم تنقلت به المباشرات إلى أن انتمى إلى الأمير تنكز نائب الشام فجعله وزيرًا بدمشق، وطالت أيامه ونالته السعادة فى مباشرته، وكانت أيامه كالأحلام لأمنها وكثرة خيرها، ثم نقل إلى القاهرة وولى نظر الدولة مع مغلطاى الجمالى.. ثم أنه عاد إلى دمشق وأقام بها إلى سنة ٧٣٢ هـ فتنكر الملك الناصر محمد بن قلاوون عليه... فأمسك بدمشق وأخذ منه مالًا ... مات سنة ٧٣٤ هـ»[٢]، ولقد أثار ابن حجر العسقلانى فى كتابه «الدرر الكامنة» أن هذا الوزير (ابن الصنيعة) أسلم سنة ٧٠١ هـ، ولكن بعض بناته لم يسلمن، أيضًا أشار إلى أن هذا الوزير كانت فيه مداراة ورفق وخبث ومودة فى النصارى[٣].

أيضًا من وزراء أهل الذمة زمن المماليك ـ الوزير «عبد الله ماجد بن موسى المعروف بابن تاج الدين القبطى المصرى كان أولًا يتعانى الخدم الديوانية فى بيوت الأمراء، إلى أن صار صاحب ديوان الأتابك يلبغا العمرى الخاصكى، فظهر له فى مباشرته.. عنده حذق ومعرفة تامة بأمور ديوانه، فلما أمسك يلبغا وقتل فى ليلة الأحد ١٠ من شهر ربيع الآخر سنة ٧٦٨ هـ، خلع عليه الملك الأشرف بن حسين بالوزارة، ونظر الخاص بعد إمساك الصاحب علم الدين بن قرونية، ثم عزل ثم ولى إلى أن باشر الوزير بديار مصر ثلاث مرات وتوفى يوم الجمعة ١٠ من ذى القعدة سنة ٧٧٦ هـ. وكان أبوه إذ ذاك حيًا». حسب ما رواه الزركلى فى كتابه «الأعلام»[٤].

---

(١) المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٧ م. طبعة الخطط دار صادر، بيروت، لبنان جـ ١، ص ١١٠-١١١.

(٢) أبو المحاسن ابن تغرى بردى: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى. طبعة باريس، Ms. De. Paris 750

(٣) ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة. نسخة بالمتحف البريطانى بلندن، مطبعة حيدر آباد، سنة ١٣٥٠هـ أيضًا انظر: Wiet:. les biographies. P. 188. No. 1315.

(٤) خير الدين الزركلى: الأعلام. الطبعة الخامسة، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٠ م، جـ ٥، ص ٢٥١.

ومن وزراء الأقباط كذلك الوزير «تاج الدين شاكر ابن الريشة سنة ١٣٦٤م» وكان ماهرًا فى الآداب ينظم الشعر [١].

ومن وزراء الأقباط الذين ذكرهم المؤرخ المقريزى الوزير الصاحب سعد الدين سعد الله (أبو نصر الله) ابن البقرى سنة ١٣٩٧م، ذكره المؤرخ المقريزى بقوله: «أحد كتاب الدنيا الذى انتهت إليه السيادة فى كتابة الرسوم الديوانية مع عفة الفرج وجودة الرأى وحسن التدبير». وكان يظهر الإسلام ويكتب بخطه كتب الحديث ونحوه ويُتهم فى باطن الأمر التشدد فى النصرانية[٢].

ومنهم أيضًا الوزير تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله الذى وصفه ابن تغرى بردى بقوله: «نشأ على دين النصرانية وبرع فى قلم الديوان والمباشرة وخدم فى عدة جهات ثم أكره حتى أظهر الإسلام وامتحن فى أيامه ثم ترك ... لذميم خُلقه وقلة دينه»[٣].

ولقد اتصل بخدمة الأشرف برسباى.. فجعله ناظر الإسطبل السلطانى.. ثم فوض إليه خلعة الوزير، وظهر منه قلة معرفة وعجز، وفهم السلطان منه ذلك فعُزل ولزم داره وتخول وتخومل إلى أن مات الأشراف، ولما صار الملك للظاهر جقمق قبض عليه وصادره وامتحن فى أيامه ثم ترك بطالًا مخمولًا منعوسًا مبعودًا لبغض الناس له لذميم خلقه وقلة دينه ولكثرة ميله إلى النصرانية، يعلم ذلك بمجرد رؤية وجهه وصفته شيخ قصير أصفر الوجه تعلوه ظلمة وعمامته كعمامة النصارى، وهو إلى الآن فى جملة الأحياء..»[٤].

ومن وزراء الأقباط كذلك الذين نالوا رضا السلاطين وعامة المسلمين الرئيس «شمس الدين شاكر بن البقري» الذى شهد له المؤرخ المقريزى بقوله: «لم يزل على حال السيادة إلى أن مرض مرض موته فأبعد عنه من تلوه من النصارى»[٥]. وكان ذلك سنة ١٣٧٧م، أيضًا هناك الوزير «تقى الدين عبد الوهاب بن فخر الدين عبد

---

(١) الأب لويس شيخو: المرجع السابق، ص ٢٤.

(٢) نفسه.

(٣) أبو المحاسن (بن تغرى بردى): المنهل الصافى. طبعة باريس، MS. De Paris. 750-98.

(٤) انظر فى ذلك: Wiet.: les Biographies. P. 219-No. 1498. P.221

(٥) المقريزى: الخطط، طبعة ١٣٢٧ هـ، جـ ٤، ص ٢٣٦.

الله» الذى ترحم عليه ابن تغرى بردى فكتب عنه فى تاريخ عام ٨١٩ هـ/ ١٤١٦ م قوله: «أنه كان مشكور السيرة يتنصل من صحبة الأقباط أبناء جنسه ويتدين ويصحب الصلحاء من المسلمين ولا يُدخل فى بيته أحدًا من نسوة النصارى البتة.. رحمه الله تعالى..»[١].

وعلى سبيل الإجمال يمكن القول إن العديد من سلاطين المماليك قد وثق فى خبرة وحنكة ومهارة بعض أهل الذمة، حتى أن المؤرخ أبى المحاسن بن تغرى بردى قد أورد هذه العبارة الدالة على مهارة وحذق الوزير القبطى الأرمنى الأصل «عبد الغنى بن عبد الرازق»: «كان عنده جبروت الأرمن، ودهاء النصارى، وشيطنة الأقباط، وظلم المكسة، فإن أصله من الأرمن، وربى مع النصارى، وتدرب بالأقباط، ونشأ من المكسة»[٢].

وبمثل هذا الوصف والمديح أيضًا ذكر ابن تغرى بردى الوزير الصاحب «فخر الدين القبطى الأسلمي» وكان أولًا من جملة الكتَّاب، وخدم فى عدة جهات إلى أن ولاه الأتابك «يلبغا العمري» الوزارة، ثم أضاف إليه نظر الخاص، فلما وليها أظهر النهضة والسداد، وقام بما عجز عنه غيره حتى قيل: لم يل الوزارة فى الدولة التركية مثله، لأنه عمَّر بيوت الأموال... ولما قتل يلبغا أُمسك الصاحب وتوفى تحت العقوبة سنة ٧٦٨ هـ[٣].

**٥ ـ مكانة أهل الذمة فى الدولة الإسلامية:**

فى هذا الخصوص لفتت نظرى عبارة جديرة بالذكر أوردها الأب لويس شيخو فى دراسته «وزراء النصرانية وكتابها فى الإسلام» قوله: «أن الشرع الإسلامى يحرم من حيث المبدأ توليه المسيحى على المسلم، ولكن الواقع فرض على الدولة اللجوء إلى العديد من الكتاب والوزراء النصارى، وقد أحصينا فى كتابنا هذا وحده (٧٥) خمسة وسبعين وزيرًا و(٣٠٠) ثلاثمائة كاتب و(٣١) واحد وثلاثين متنفذًا آخر». مثل القائد وصاحب الشرطة والوالى والسفير وما شابه ذلك[٤].

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة. تحقيق popper جامعة كاليفورنيا، سنة ١٩٠٩م، جـ٦، ص ٤٥٦.

(٢) بن تغرى بردى: المصدر السابق، جـ ٦، ص ٤٦٣. أرشاج البويجيان: الأرمن فى الإقليم المصرى، طبعة القاهرة، سنة ١٩٦٠م، ص ٣٤، ٤٥، ٤٦.

(٣) ابن تغزى بردى: المصدر السابق Ms de paris – 751. 59.

(٤) الأب لويس شيخو: المرجع السابق، ص ٢٦.

**٦ ـ ثقة حكام وولاة أمور المسلمين فى عدد من أسر أهل الذمة فتوارثت فيهم أعمال الكتابة والتدوين فى الدولة:**

مما هو جدير بالذكر أن العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة، لم تكن على الإطلاق علاقة توتر وانتفاضات وصراعات، كما يشاع بين عدد من المستشرقين، وعلى الرغم من وجود بعض الاحتقانات فى فترات زمنية معينة لظروف ربما اقتصاديًا ومالية نظرًا لارتفاع نسبة الجزية والخراج التى كان يفرضها بين الحين والآخر بعض الولاة والعمل ورجال الجزية والخراج، مثلما حدث زمن الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز وعامله على خراج مصر «حيان بن شريح» ٩٩-١٠١ هـ/ ٧١٧ ـ ٧٢٠م الذى رغب فى إبقاء الجزية على من أسلم من القبط، فكتب إليه الخليفة عمر بن العزيز يوبخه بقوله: «... فضع الجزية عن من أسلم قبح الله رأيك فإن الله إنما بعث محمد ﷺ هاديًا ولم يبعثه جابيًا»[١].

تجدر الإشارة كذلك إلى الشدة التى حلت بمصر فى تحصيل الخراج زمن الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بن مروان، وكان عامله على خراج مصر آنذاك «أسامة بن زيد التنوخى» ٩٦-٩٩ هـ/ ٧١٤ ـ ٧١٧ م كانت عاملًا أيضًا على حدوث انتفاضات.

ولقد روى المؤرخ الكندى وبن تغرى بردى رسالة الخلفية الأموى «سليمان بن عبد الملك» لعامل الخراج «أسامة بن زيد» قائلًا له: «إحلب الدر حتى ينقطع واحلب الدم حتى ينصرم»[٢]. وقد سعى أسامة بن زيد التنوخى إلى تنفيذ هذه السياسة الصارمة على أهل الذمة الأمر الذى أدى إلى شحن نفوس الأقباط تجاه الدولة والمسلمين وأدى إلى حدوث سخط وتذمر ثم انتفاضات وقلاقل فيما بعد.

وعلى الرغم من حدوث هذه القلاقل والاضطرابات من قبل بعض أهل الذمة، لكنها فى واقع الأمر كانت انتفاضات وثورات مؤقتة تحدث عادة بين الحين والآخر، نتيجة سوء تقدير من بعض عمال الخراج، ولكنها سرعان من تخمد عندما يتدخل الحكام وولاة الأمور، فتعود الأمور إلى الاستقرار وسابق عهدها المعتاد، وعلى كل الأحوال فإن العديد من المصادر التاريخية تحدثنا عن استعمال عدد كبير من أسر وعائلات

---

(١) الأب لويس شيخو: المرجع السابق، ص ٢٦.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١، ص ٢٣١-٢٣٢.

أهل الذمة فى العديد من أعمال التدوين والكتابة والوزارة فى الدولة الإسلامية على مر العصور، نظرًا لخبراتهم الطويلة ومهاراتهم المعهودة فى أعمال التسجيل والتدوين والحسابات.. وغيرها. نذكر من أبرز هذه الأسر التى توارث أفرادها هذه الأعمال فى الدولة الإسلامية وأصبحوا محل ثقة وتقدير حكام وولاة أمور المسلمين:

«بنو القبرى، بنو زنبور، بنو زطينا، بنو سرجون، بنو العسال، بنو مماتى، بنو الموصلايا، بنو مكانس، بنو الهيصم، وآل النشو، أسرة ابن العميد، الإخوة إبراهيم وبشر وجبر أبناء هارون، ابنا باطا، أيوب بن إبراهيم ابن الجنيد وأخوه سليمان، ابن الأشقر وولده، عبد الرازق الأرمنى وابنه عبد الغنى، كاتب المناخ وابنه، هبة الله بن السديد وولداه... وغيرهم كثير»[1].

جميع هذه الأسر وغيرها كانت محل ثقة العمال والحكام وولاة أمور المسلمين فى إدارة بعض شئون الدولة الإدارية والمالية الحسابية وغيرها، مما يكشف عن عدالة المسلمين مع أهل الذمة والاستفادة من خبراتهم.

**٧ ـ الدوافع التى مكَّنت أهل الذمة من شغل مناصب عليا فى الدولة:**

أ ـ المتأمل فى سيرة العديد من أسر أهل الذمة التى توارث أفرادها أعمال الكتابة والتدوين والوزارة فى الدولة الإسلامية، يلاحظ أن أبرز عوامل تقلدهم هذه الوظائف المهمة فى الدولة كانت راجعة إلى توارث أفرادها الخبرات الطويلة زمن الإدارة البيزنطية، هذا بالإضافة لمعرفتهم الجيدة باللغات المختلفة الضرورية فى أعمال التدوين والاتصال بالأمم الأخرى مثل: اللغات الرومية والسريانية والفارسية والأرمينية هذا بالإضافة لمهارتهم فى اللغات القبطية والعربية ... وغيرها، ولقد أشار إلى ذلك الرحَّالة والجغرافى المقدسى بقوله: «معظم الجهابذة والصيارفة والقصارين والدباغين هم يهود، أما الأطباء والكتاب فهم فى الغالب من النصارى...»[2].

---

(١) الصابئ (هلال بن المحسن): تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، تحقيق أميدروز Amedroz. H.F ـ بيروت، لبنان، ١٩٠٤م.

الجهشيارى (أبو المحاسن إبراهيم): كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبيارى، عبد الحفيظ شلبى طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

ابن الأثير (عز الدين): تاريخ الكامل (١٢ جزءًا ـ طبعة بولاق، ١٢٩٠هـ .

(٢) المقديسى (محمد بن أحمد): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. طبعة ليدن بهولندا سنة ١٨٧٧م، ص ١٤٧-١٤٨.

ب ـ رغبة بعض السلاطين فى إسناد عدد من المهام الإدارية المالية فى الدولة لبعض أهل لذمة، لسهولة محاسبتهم ومعاقبتهم إذا شاءوا، بينما المسلم الذى سيتولى مثل هذه الأمور فربما يصعب على الحكام والولاة والسلاطين محاسبتهم نظرًا لاعتماد بعض العمال المسلمين على آراء فقهية يمكن استخدامها فى تسمية الخزينة «ببيت مال المسلمين»[١] مبررًا الاستفادة من ثروات المسلمين على أنها مباحة مستندًا فى ذلك لآراء بعض الفقهاء المسلمين، فيما لا يمكن أن يتجاسر أحد أفراد أهل الذمة الذين يشغلون هذه المناصب على الإقدام لمثل هذا العمل والاستعانة ببعض آراء الفقهاء، كما أن المسلم لا يتورع من التدخل فى شئون الحكم، بل الطمع فى السلطة، على عكس الذمى خاصة المسيحى الذى يحرم عليه الاشتغال بالسياسة فى الدولة الإسلامية، ويؤيد هذا القول ما أورده أحد الكتاب من أهل الذمة فى دراسته التى تحمل عنوان: «أخبار فطاركة كرسى المشرق»، فذكر هذه العبارة «يقول عبيد الله بن سليمان بن وهب للخليفة المعتضد معتذرا: ما وليت نصرانيًا سوى عمر بن يوسف للأنبار... واعتمدت عليهم لثقتهم لا ميلًا إليهم، ولكن لثقتى بهم. فقال المعتضد: إذا وجدت نصرانيًا يصلح لك فاستخدمه فهو آمن من اليهود، لأن اليهود يتوقعون عود الملك إليهم، وآمن من المسلم لأنه بموافقته لك فى الدين يروم الاحتيال على منزلتك وموضعك، وآمن من المجوس لأن المملكة كانت فيهم. ووصاه بالإحسان إليهم ورج مسرورًا..»[٢].

ج ـ نسب بعض المستشرقين رغبة ولاة أمور المسلمين من السلاطين والخلفاء والولاة والعمال، إسناد بعض الأعمال لأهل الذمة، لتطبيقهم تعاليم الرسول الكريم ﷺ فى الأحاديث الشريفة التى روتها كتب الصحاح منها قوله ﷺ «هم الأقباط» ـ أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم، قالوا: كيف يكونون أعوانًا على ديننا يا رسول الله؟ قال: يكفونكم أعمال الدنيا وتتفرغون للعبادة..»[٣].

---

(١) انظر فى ذلك: Lammanes. H. Etudes sur le regne du calife amaiyade ma'awiya I. Extrait des MFO. 1908. P. 11-12.

(٢) انظر فى ذلك الفرد بتلر: فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد. طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، سنة ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٣م.

(٣) لإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم. طبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ، جـ ٢، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥، ابن عبد الحكم: فتوح مصر، باب ذكر الأحادى، ص ٢٨٥.

د ـ اعتماد الخلفاء والسلاطين على أهل الذمة فى أعمال الدولة استنادًا إلى فتاوى المشايخ أو إرادة سلطانية مطلقة للحاكم، ومن ذلك ما روى عن الخليفة العباسى المأمون الذى ولى على مدينة (بوره) بمصر عاملًا مسيحيًا: «فكان إذا جاء يوم الجمعة تقلد الخليفة السيف ولبس السواد وركب برذونة حتى إذا وافى المسجد وقف العامل الذمى على باب المسجد ودخل نائبه المسلم يصلى بالناس، ويدعو للخليفة المأمون العباسى، ثم يخرج للعامل الذمى بعد ذلك». أيضًا روى المؤرخ «ابن الميسر» هذه الرواية عن الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله ٥٢٥- ٥٤٤ هـ / ١١٣١ـ ١١٤٩م عندما أراد أن يولى «بهرام الأرمني» الوزارة سنة ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤م ـ فذكر هذه الرواية: فأخذ يستشير من يثق به فى ذلك فلم يُشر به أحد عليه، وقيل: أولًا: هو نصرانى فلا يرضاه المسلمون، والثانى: من شرط الوزير أن يرقى مع الإمام المنبر فى الأعياد ليزرر عليه المزرة الحاجزة بينه وبين الناس، والثالث: أن القضاة نواب الوزراء من زمن أمير الجيوش (بدر الجمالى) ويذكرون النيابة عنهم فى الكتب الحكمية... فقال الخليفة الحافظ: إذا رضيناه نحن فمن يخالفنا؟ وهو وزير السيف، وأما صعود المنبر فيستنيب عنه قاضى القضاة. وأما ذكره فى الكتب الحكمية فلا حاجة إلى ذلك. فاستوزره، والناس ينكرون عليه ذلك»[1].

هـ ـ دفع بعض الحكام والسلاطين وولاة أمور المسلمين لبعض أهل الذمة المتميزين فى أعمال التدوين، اعتناق الإسلام لتحاشى انتقاد الرعية فى تعيينهم بوظائف فى الدولة. وقد نفذ هذه السياسة بعض أهل الذمة فحسن إسلامهم، وبعضهم أجبر على الإسلام مثل «الفخر محمد بن فضل الله» والذى قال عنه المقريزى: «كان فى نصرانيته متألها ثم أكره على الإسلام فامتنع وهم بقتل نفسه وتغيب أيامًا، ثم أسلم، وحسن إسلامه وأبعد النصارى..»، ولقد روى المؤرخ المقريزى أيضًا هذه الأبيات عن إسلام بعض أهل الذمة إما رغبة فى الحصول على منصب أو قهرًا من السلطان فقال:

أسلم الكافرون بالسيف قهرًا ... وإذا ما خلوا فهم مجرمونا

(١) ابن الميسر (محمد بن على): أخبار مصر ـ تحقيق هنرى ماسيه H. Masse ـ طبعة القاهرة، سنة ١٩١٩م، ص ٧٩.

سلموا من رواح مـال وروح        فهم سالمونا لا مسلمونا[1]

مما سبق ذكره يتبين لنا حرص شريعة الإسلام على العناية بأهل الذمة وبعدم البطش بهم، بل بالإحسان والبر إليهم عملًا بقوله تعالى فى محكم التنزيل: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2].

لذلك حرص العديد من حكام وولاة أمور المسلمين على الاستعانة بخبرات ومهارات بعض أهل الذمة فى العديد من أعمال الدول الإدارية والمالية والكتابية ومنهم من وصل لدرجة وزير، كما أستعرضنا من قبل، أيضًا حرصت الشريعة الإسلامية فى مقاصدها العامة على إنفاق الأموال واستخدام الأوقاف لحماية ورعاية العديد من أهل الذمة خاصة الرهبان ورجال الدين منهم المنقطعين للعبادة، فلم تجبى عليهم الضرائب من جزية أو خراج، ولكن حدث العكس وهو الإنفاق عليهم، والسهر على راحتهم، ولعل إقبال حكم وولادة أمور المسلمين خوض هذا المسلك الشرعى الإسلامى العريق جاء استنادًا للعمل الإنسانى البارز والمسلك البشرى القويم الذى سلكه رسولنا الكريم مع العديد من أهل الذمة، كما سبق وأشرت، ثم ما فعله الخلفاء الراشدون من بعده، ومنها ما روته كتب السير والتراجم والتاريخ والأخبار، عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب مع الكهل اليهودى الذى شاهده الخليفة يتسول فى الطرقات فأحسن إليه وخصص له عطاء من بيت مال المسلمين هو وكل من هو على شاكلته، وربما من هذا المنطلق حرص العديد من حكام وسلاطين وولاة أمور المسلمين فى العصور الوسطى على سلك هذا المسلك الحضارى العريق فخصصوا جانبًا من نفقاتهم وأموالهم وأوقفوها على أهل الذمة ومنهم رهبان دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء، كما سيرد لاحقًا.

---

(١) المقريزى: الخطط المقريزية، ٤ أجزاء. طبعة مطبعة النيل بالقاهرة، سنة ١٩٤٧م، جـ ٤ ص ٤٠٤.
ماري بن سليمان: أخبار فطاركة كرسى المشرق، تحقيق جسمندى H. Gismandi طبعة روما، سنة ١٨٩٩م، ص ٨٤.

(٢) القرآن الكريم، سورة الممتحنة، آية رقم (٨).

## الفصل الثاني
## دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء

تقع شبه جزيرة سيناء بين زراعى البحر الأحمر، يحدها خليج العقبة شرقًا وخليج السويس غربًا، وهى تعتبر حلقة الاتصال بين قارتى آسيا وأفريقيا، وتعتبر هذه البقعة من أرض مصر، من أبرز مناطق مصر حضارة وتاريخًا فهى تعج بالعديد من المواقع الأثرية عبر عصور التاريخ من: مصرية قديمة ويونانية وبيزنطية وقبطية وعربية، كما أنها منطقة حيوية فى قلب الوطن العربى، تربط بين جناحيه الكبيرين الجناح الإفريقى والجناح الآسيوى، ومن المعروف أن العديد من القوافل التجارية والرحلات الوافدة إلى مصر من الجزيرة العربية، وكذلك الفتح العربى لمصر تم من خلال عبور صحراء وجبال ووديان شبه جزيرة سيناء[1]، وبهذه البقاع يوجد جبل الطور «بالضم»[2] الذى ورد ذكره فى كتاب الله تعالى فى قوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[3]، ولقد أشارت بعض المعاجم اللغوية إلى هذا الجبل الذى يقع فى شبه جزيرة سيناء، فقال الأخفش: سنين شجر واحدتها سينينة، قال: وقُرى «كور سيناء» وسيناء بالفتح والكسر، والفتح أجود فى النحو، وقال أبو على: إنما لم يصرف لأنه جعل اسمًا للبقعة[4].

---

(١) ألفرد تبلر: فتح العرب لمصر. طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، سنة ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٣م.

(٢) المقرئ: المصباح المنير، ص ١٤٤، محمود خاطر: مختار الصحاح، ص ٣٩٩.

(٣) القرآن الكريم، سورة التين، آية رقم (١-٣).

(٤) محمود خاطر: المرجع السابق، ص ٣٢٦.

**أولًا: المسيحية والاضطهاد الدينى وفرار الرهبان للأديرة:**

نظرًا لطبيعة هذا المكان وبُعده عن عوامل الحضارة والبنيان، وما تميزت به أراضيه وجباله ووديانه من فضاء شاسع ومناظر طبيعية تساعد على التأمل والنظر فى الكون الفسيح، فقد تسربت المسيحية إلى هذا المكان فى وقت مبكر، ربما يرجع إلى القرن (٣م)، وذلك عندما اشتدت حركة الاضطهاد الدينى عند المسيحيين فى العالم الرومانى، فكما هو معلوم فإن هذا الاضطهاد، قد بلغ ذروته عندما أصبحت مصر ولاية رومانية (٣١ق.م – ٢٨٤م) فأصبحت تدين بالولاء للدولة الرومانية، وذلك منذ انتصار مؤسسها أغسطس قيصر على كليوباترا فى موقعة أكتيوم الشهيرة سنة (٣١ق.م) [(١)].

وكان بموت هذه السيدة منتحرة سقوط عرش البطالمة (٣ ق. م ـ ٣٠ق.م)[(٢)]، ومن ثم انضمام مصر لجسم الإمبراطورية الرومانية، والتى لم تدخر وسعًا فى سبيل استغلال كل موارد مصر الزراعية، فقد اعتبرت أراضى مصر مستودعًا يمد الإمبراطورية الرومانية بالغلال والمؤن، لدرجة أن الإصلاحات التى قام بها الرومانيون فى مصر فيما بعد لم تكن إلا لإيجاد أفضل السبل لاستغلال أنسب لموارد مصر[(٣)].

وكان من جراء ذلك بالطبع اضطراب أحوال المصريين، فتدهورت أوضاعهم الاقتصادية وانتشر الفقر بين ربوع البلاد، حتى أغلقت أمامهم وفى وجوههم أبواب المناصب العالية وذلك نتيجة الأعباء المالية التى فرضت عليهم بشكل كبير، حتى شملت هذه الأعباء جميع نواحى الحياة فكانت تجبى الضرائب على الرءوس والصناعات والماشية والأراضى ولم تقتصر الضرائب على الأحياء فقط، بل تعدتها للموتى، فكان لا يسمح بدفن القبطى الميت إلا بعد أن يسدد أهله عنه ضريبة معينة قبل دفنه[(٤)].

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر فى فجر الإسلام. الطبعة الثانية، دار النهضة العربية بالقاهرة، سنة ١٩٧٠، ص ٣.

(٢) د. سيد أحمد على الناصرى: مصر فى عهد الرومان. طبعة القاهرة، سنة ١٩٨٣م، ص ٢٠.

(٣) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى. طبعة القاهرة، سنة ١٩٧٤م، جـ١، ص ٢٣٦.

(٤) انظر فى ذلك ما كتبه المستشرق

.Milne. J. G:. History of Egypt under Roman rule London. 1989. P. 115

جدير بالذكر أيضًا أن العهد البيزنطى (٢٨٤ ـ ٦٤٠م) لم يختلف كثيرًا عن سابقه العهد الرومانى فى سياسته المجحفة تجاه الأقباط فى مصر، بل ازداد الوضع سوءًا من جراء الزيادة المضطردة فى الضرائب والتعسف والتشدد فى تحصيلها من قبل رجال الدولة البيزنطيين، هذا الإضافة للاضطهاد الدينى الذى مارسه البيزنطيون على قبط مصر عندما جعل الإمبراطور تيودوسيوس (٣٧٨ ـ ٣٩٥م) المسيحية الدين الرسمى للدولة سنة (٣٨١م).

فحدث خلاف مذهبى كبير بين كنيستى روما والإسكندرية، وذلك عندما أصبح مرقيانوس (٤٥٠ ـ ٤٥٧م) امبراطورًا لروما[١] ولقد تسبب هذا الاضطهاد الدينى والخلافات المذهبية بالإضافة للأعباء المالية والضرائب الباهظة، كل هذا أدى إلى ضعف الدولة وانهيارها، الأمر الذى أدى بالتالى إلى تمكن الفرس من غزو مصر والاستيلاء على مدينة الإسكندرية سنة (٦١٨-٦١٩م) ومكثوا بها فترة طويلة من الزمن هى وبعض الأقاليم المصرية[٢]، وفى سنة (٦٢٧م) تمكن هرقل من إنزال هزيمة ساحقة بالفرس أدت إلى مغادرتهم أراضى مصر، والتى تركوا فيها ذكرى طيبة مع أهلها الأقباط، فلم يفرضوا عليهم ضريبة مجحفة أو مارسوا عليهم اضطهادًا دينيًا مثلما حدث مع البيزنطيين، الأمر الذى جعل المستشرق المعروف «أفرد بتلر» يذكر أن الشعب السكندرى رحب بقدوم الفرس أرض مصر آملًا منهم فى إنقاذهم من بطش وعسف وجور البيزنطيين وكذلك أملًا منهم فى دعم مذهبهم تجاه مذهب كنيسة روما[٣].

ولكن بعد انتصار هرقل على الفرس سنة (٦٢٧م) عادت الأمور إلى سابق عهدها مرة أخرى فازداد سخط الشعب المصرى على البيزنطيين، وحاول هرقل إيجاد صورة توفيق بين المذهبين الأرثوذكسى (مذهب المصريين) والكاثوليكى

---

(١) تمثل هذا الاضطهاد فى ظهور اختلافات مذهبية بين كنيستى روما والإسكندرية، وأصبح لكل كنيسة أتباع ومؤيدون، أحدهما أرثوذكس (وهم المستقيمو الرأى والمتمسكون بالدين القويم) وهم أتباع كنيسة الإسكندرية، والثانية كاثوليك (هم أتباع كنيسة روما) د. حسن إبراهيم حسن: المرجع المسابق، ص ٢٣٦.

(٢) د. السيد الباز العرينى: مصر البيزنطية، طبعة دار النهضة العربية بالقاهرة، ص ٣٩٥.

(٣) ألفرد بتلر: المرجع السابق، ص ٦٦.

(مذهب كنيسة روما) عرف باسم مذهب (Mono Thelma) والذى يقضى بأن يمتنع الناس عن الكلام فى طبيعة السيد المسيح، وأشار إلى أتباع كلا المذهبين بأن يعترفوا جميعًا بأن للسيد المسيح إرادة واحدة، وعهد إلى تنفيذ هذه السياسة لشخصية كرهها المصريون كثيرًا وهى «كيرس» أو «المقوقس» وأسند إليه تنفيذ السلطتين الدينية والسياسية[١].

ولقد تعسف (كيرس) هذا فى تنفيذ سياسته مع الأقباط فى مصر، الأمر الذى أدى إلى زيادة سخط الشعب المصرى على سياسة البيزنطيين فانقسم هذا الشعب إلى عدة فئات: فئة صبرت على هذا البلاء ومنهم رجل الدين القبطى (ميناس) شقيق البطريرك (بنيامين) بطريرك الإسكندرية منذ سنة ٦٢٣م، ومنهم أيضًا (صمويل القلمونى) وكلاهما من رجال الدين المسيحى فى مصر[٢].

أما الفئة الثانية فلم تتحمل هذا الاضطهاد والتنكيل فاعتنق بعضهم هذا المذهب؛ (مذهب هرقل (Mono Thelma) ومنهم أسقف نقيوس وفيكتور أسقف الفيوم[٣]، والفئة الثالثة لم تتحمل هذا الاضطهاد والعذاب والفقر وكذلك لم تعتنق المذهب الذى دعا إليه هرقل، وإنما فرت وهربت إلى الصحراء تاركة قراها وأهلها وعشيرتها وكنائسها، وأقامت فى الصحراء وأنشأت الأديرة للتعبد والتنسُّك[٤]، والذهد والبُعد عن زخارف الدنيا ومباهجها، ومن هذا المنطلق نشأت فكرة الرهينة أو الرهانية والديرية، ومنذ القرن (٤م) اتخذ بعض الرهبان شبه جزيرة سيناء مقرًا لهم، يعيشون فى أوديتها وبين مرتفعاتها[٥]، ولما كان من الصعب على هؤلاء الرهبان أن يعيشوا منفردين دون أنيس فى هذا المكان القفر، الذى يعج بالعديد من الوحوش الضارية، بالإضافة لغارات البدو الساكنين فى هذه البقاع منذ القدم، أصبح من الضرورة المعيشة فى جماعات وسط بناء حصين أطلق عليه الدير، وهو عبارة عن مكان فسيح منعزل به جميع مقومات الحياة يعيش فيه الرهبان لأداء نسكهم وعبادتهم كما سيرد ذكره.

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف: المرجع السابق، ص ٨.
(٢) ساويرس بن المقفع: سير الآباء والبطاركه، طبعة بيروت، سنة ١٩٠٤م، ص ٢٢٦.
(٣) السيد الباز العرينى: المرجع السابق، ص ٤٠٥.
(٤) د. إبراهيم العدوى: مصر الإسلامية: مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٥م.
(٥) الموسوعة المصرية: تاريخ مصر القديمة وآثارها.

**ثانيًا: أبرز الأديرة فى مصر وإقامة الرهبان بها:**

الأديرة مؤسسات دينية تقيم بين جدرانها مجموعات من الرهبان الذين رغبوا فى الانقطاع عن الدنيا وزينتها ومباهجها وسائر زخارفها للعبادة والتأمل فى الكون الفسيح، ولقد نتج عن هذا الانقطاع ما يعرف بالترهب؛ من رهب بمعنى خاف ومنها أيضًا، الراهب، مصدرها الرهبة والرهبانية بفتح الراء فيهما و(الترهُّب)[1] بمعنى التعبد، ولقد ورد هذا اللفظ فى كتاب الله تعالى فى قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2] وقوله تعالى أيضًا فى سوره المائدة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[3].

ولقد اتخذ الرهبان حياة التقشف والزهد فى الدنيا، فعاشوا فى أديرة منعزلة عن العمران فى الصحراء، وما لبث أن انتشرت هذه الأديرة فى العديد من البقاع الصحراوية فى مصر نتيجة البطش والتنكيل البيزنطى لرجال الدين المسيحى، الذين لم يرغبوا فى اعتناق المذهب الكاثوليكى أو حتى المذهب التوفيقى الذى دعا إليه الإمبراطور هرقل كما سبق وأسلفت، ولنا أن نتخيل هذا الاضطهاد والبطش من قبل البيزنطيين، فى مقابل العطف والبر والإحسان من قبل ولاة أمور المسلمين لأهل الذمة كما سيرد ذكره لاحقًا.

ولقد عدَّد المؤرخ المقريزى من أديرة مصر فى العصور الوسطى «ستة وثمانين» ديرًا معظمها لليعاقبة[4]، حيث إنهم يمثلون غالبية أقباط مصر، فى حين لم يكن لطائفة «الملكانية أو الملكية» سوى عدد ضئيل من هذه الأديرة، أما رهبان «السريان والأحباش اليعاقبة» فكان لكل منهم دير مستقل فى منطقة وادى النطرون.

---

(١) محمود خاطر: مختار الصحاح، ص ٢٥٩.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحديد، آية رقم (٢٧).

(٣) القرآن الكريم، سورة المائدة، آية رقم (٨٢).

(٤) انظر ذلك بالتفصيل ما ذكره المؤرخ المقريزى عن (أديرة مصر) تحت عنوان: ذكر ديارات مصر:

وفى واقع الأمر إن أديرة وادى النطرون، مازالت تعد من أشهر أديرة مصرفى العصور الوسطى، وقد زارها عدد من سلاطين المماليك منهم السلطان الظاهر بيبرس ٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م، والناصر محمد بن قلاوون ٦٩٣-٦٩٤ هـ / ١٢٩٤-١٢٩٥م، والأشرف قايتباى ٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٦-١٤٩٦م وقد وصف بعض هذه الأديرة ابن فضل الله العمرى الذى زارها بصحبة السلطان الناصر محمد بن قلاوون[1].

جدير بالذكر أن أديرة وادى النطرون قد أطلق عليها أيضًا أديرة «جبل شيهات أو برية شيهات»، وبالإضافة لأديرة وادى النطرون، هناك أيضًا أديرة أخرى بعضها فى صحراء مصر الشرقية، فهناك دير القديس نبا أنطونيوس، ودير القديس أنبا بولا، وفى صعيد مصر برز أيضًا دير المحرق فى أسيوط ودير القلمون فى محافظة المنيا وغيرها من الأديرة المنتشرة فى العديد من صحراء مصر الشرقية أو الغربية.

**وصف الدير:**

رُوعى فى بناء الدير أن يكون منعزلًا عن الناس، وفى مكان بعيد ناء عن العمران، واشترط أن يكون كحصن دفاعى، له سور محكم البناء سميك الجدران بغرض الحماية من اعتداء المغيرين من العربان الذين يعيشون عادة فى الأماكن الصحراوية، وفى هذا السور كان يُخصص باب ضيق صغير يحنى الداخل فيه رأسه، ويتم غلق هذا الباب من الخارج بحجرين عظيمين مثبتين بخوابير فى السور، كما جرت العادة أن يتم تعليق جرس بحجم متوسط يتدلى منه خارج السور حبل يصل إلى الأرض، فإذا وفد وافد أو زائر للدير فإنه يشد هذا الحبل ليدق الجرس، وعندئذ يسمع الرهبان صوت الجرس فيفتحوا الباب للزائر. إذا رغبوا فى ذلك، وكان هذا النظام هو السائد عادة فى أديرة وادى النطرون، أما أديرة الصحراء الشرقية فكانت أشد تحصينًا وحماية عن أديرة وادى النطرون، وذلك لكون أديرة الصحراء منعزلة تمامًا عن البشر، هذا بالإضافة لغدر وقساوة وبطش العربان الذين يجوبون هذه الصحراء، لذا لزم أن تكون أديرة الصحراء أشد تحصينًا فكانت الأسوار أشد ارتفاعًا والجدران أكبر سمكًا وتحصينًا ولم تكن هناك أبوابًا كما كان موجودًا فى أديرة وادى النطرون، وإنما صنعت ساقية

لرفع الأشخاص الذين يُرغب فى دخولهم الدير من زوار ورهبان ونسَّاك وغيرهم، ولرفع شخص أو ضيف أو زائر داخل الدير، كان يُمد له حبل ملفوف على اسطوانة بأعلى السور، فيمسك الشخص الحبل بكلتا يديه وتدار الأسطوانة وبذلك يتم رفع الشخص إلى أعلى السور ومنه يدخل الدير من فوق السور[1].

ويبدو أن هذا التحصين لم يكن كافيًا، فقد استطاع عدد من البدو والعربان اقتحام أسوار الدير بعد هدمه وتدميره، لذلك روعى أيضًا فى تحصين هذه الأديرة وجود ملاجئ وأنفاق أخرى محصنة داخل الدير للاحتماء بها فى حالة اقتحام أسوار الدير. أيضًا رُوعى إنشاء عدد من القلايات داخل هذه الأديرة، والقلاية عبارة عن صومعة يعيش فيها الراهب المنقطع للعبادة، وهى غالبًا ما تكون معتمة وخالية من النوافذ ولكنها كانت تزود بالضروريات للحياة، والتى يحتاج إليها الراهب مثل: الفراش والغطاء وبعض الأوانى، ورُوعى كذلك أن يُخصص لكل دير مخزون من الوقود، ولأجل تخزين هذا الوقود كان عدد من الرهبان يخرجون فى أوقات معينة من السنة، بعد أن يأمنوا مكر وغدر وبطش العربان والبدو فيخرجوا من الدير ومعهم الجمال لحمل القش والحطب والأخشاب اللازمة للوقود بالدير، أما بالنسبة لمخزن الغلال فعادة ما يكون هذا المخزن أو المستودع قريبًا من باب الدير أو تحت الساقية التى ترفع الأشياء لداخل الدير، وذلك لعدم إرهاق الرهبان فى نقل هذه الغلال لمسافات بعيدة داخل الدير، حيث تكون المخازن قريبة من السور الخارجى فيسهل بعد ذلك نقلها للمخابز فى وسط الدير. جدير بالذكر أيضًا أنه لا بد من تخصيص طاحونة للدير وعادة ما تكون طاحونة من الحجر (رحى) تدار بواسطة الخيول، ويطحن الرهبان مقادير كبيرة من الحبوب والغلال تكفى حاجتهم، وحاجة من يتردد عليهم من زوَّار ونسَّاك أو حتى من الفقراء والمحتاجين، كما خُصص للدير مخبزًا لصناعة الخبز، ولقد اعتاد الرهبان تجهيز خبزهم بأنفسهم فى فرن الدير، حيث يتم تقسيم العمل بينهم: بعضهم ينقل الحبوب، والآخر يوقد الأفران، والبعض الآخر يتولى إعداد العجين والآخر يقوم بإعداد الخبز ويعمل عمل الفران، كل حسب مقدرته واستطاعته وخبرته التى يتقنها.

ولقد جرت العادة أن يعد الرهبان خبزهم فى الدير مرتين أسبوعيًا، وغالبًا ما يتناول الرهبان طعامهم فى قلاياتهم منفردين، إلا فى أيام الصوم الكبير، فإنهم عادة ما يشتركون فى تناول طعامهم سويًا فى قاعة فسيحة داخل الدير[1].

جدير بالذكر أيضًا أنه كان من الضرورى، إنشاء كنيسة أو أكثر دخل الدير يجتمع فيها الرهبان للصلاة المشتركة بينهم، كذلك كان من الضرورى أن يكون بكل دير أو قريبًا منه عين ماء أو أكثر، يعتمد عليها الرهبان فى الحصول على الماء لمعيشتهم وحياتهم الضرورية، فكانوا يرفعون الماء بالسواقى، كما جرت العادة كذلك أن يستفيد الرهبان من مياه هذه الآبار خاصة المياه المتخلفة عن استعمالهم اليومى فى زراعة بعض المساحات من نخيل وكروم وأشجار موالح... وغيرها، وكانوا يعصرون العنب ويستخلصون منه النبيذ الجيد اللازم لإقامة بعض الشعائر الدينية والمناسبات لديهم، وكان الرهبان يعصرون محصول الزيتون فى معصرة الدير ويستخلصون منه زيت الزيتون الجيد، الذى يستخدمونه فى معيشتهم اليومية والمتبقى من استخدامهم يوزعونه على زوار الدير.

**أديرة النساء:**

بالإضافة للأديرة التى كانت منتشرة فى العديد من بقاع وأراضى مصر الصحراوية والجبلية المقفرة، ظهرت كذلك أديرة أخرى خاصة بالنساء، حيث لم يكن منتظرًا منهن أن يقتحمن الصعاب ويعيشون فى فيافى الصحراء الشاسعة القاحلة والموحشة، فأنشئت لهن أديرة خاصة، وسط المدن، محاطة بالعمران وحركة الحياة خشية تعرضهن للاعتداء من قبل ضعاف النفوس، ولقد أورد المؤرخ المقريزى عددًا من أديرة النساء منها[2].

«.. دير البنات فى حارة الروم وكان عامرًا بالراهبات، ودير الراهبات بحارة زويلة وهو دير عامر بالإبكار المترهبات وغيرهن من نساء النصارى، ودير المعلقة» (الكنيسة المعلقة) بمنطقة مصر القديمة بالقرب من مدينة الفسطاط، وهى أول مدينة عربية فى مصر وإفر يقيا أنشأ بها عمرو بن العاص مسجده الجامع المعروف، وبالقرب من

---

(١) الموسوعة المصرية: المرجع السابق، ص ٩١٣.

(٢) المقريزى: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٠٩.

دير المعلقة وجد أيضًا (دير بربارة) بمصر القديمة، وبربارة كانت راهبة قديسة زمن دقلديانوس، فعذبها لترجع عن ديانتها وتسجد للأصنام، فثبتت على دينها وصبرت على العذاب الشديد، وهى بكر لم يمسسها رجل، فلما يئس منها ضرب عنقها وأعناق عدد من النساء معها فسمى هذا الدير باسمها، ومازال قائمًا حتى اليوم.

**ثالثًا: دير سانت كاترين:**

يقع هذا الدير فى وادى يعرف باسم الدير أو وادى شعيب، تحيط به أكثر جبال طور سيناء، وهذا الطور يعرف أيضًا باسم «جبل حوريب» ويتميز بقمته المرتفعة (حيث يبلغ ارتفاع هذه الجبل حوالى ٢٤٤٦ مترًا)، ودير سانت كاترين سُمى بهذا الاسم نسبة للقديسة كاترينا، من الإسكندرية، لها تاريخ مشرف فى الدفاع عن المسيحية دفاعًا مجيدًا، حتى استشهدت فى سبيل عقيدتها على يد الوثنيين سنة ٣١٠م، وعندما أقيم الدير بأمر الإمبراطور البيزينطى «جستنيان» نقلوا رفاتها إلى الدير فى القرن (٨م)، ومن ثم نسب هذا الدير إليها، ومازال الاسم يُستخدم حتى اليوم، كما أن تفاصيل عمارة وبناء وزخارف الدير قائمة حتى اليوم بتصميمه المعمارى البيزنطى نفسه، ولقد تم دفن رفات القديسة كاترينا فى بازيليكية الدير[1] التى تشغل وسط الدير تقريبًا، وتحتوى على ثلاثة أفنية أكبرها الفناء الأوسط، والدير يعتبر من أقدم الأديرة فى العالم، أنشئ ليكون خاصًا بعبادة الطائفة الملكانية أو أتباع المذهب الملكانى[2].
حيث أمر الإمبراطور البيزنطى «جستنيان» بالشروع فى بناء هذا الدير سنة ٥٤٢م، وذلك لحماية الرهبان المنقطعين للعبادة فى هذا المكان، من بطش وغدر واعتداء البدو والعربان الذين اعتادوا السطو على ممتلكات الرهبان وسلب المؤن والأطعمة والحيوانات والمواشى التى يمتلكونها ويقتاتون منها أثناء إقامتهم فى هذا المكان القفر، وقد أختار «جستنيان» موقعًا يُقال له (العليقة) وهو الموضوع الذى يقال أن سيدنا موسى عليه السلام قد ناجى فيه ربه، لبناء هذا الدير وقد تم بناء أسوار الدير سنة ٥٥٧م أى فى عام (٣٠) من حكم الإمبراطور البيزنطى (جستنيان)، ولقد حظى بناء الدير وعمارته بعدة إصلاحات وترميمات على مر العصور اللاحقة، إلا أن عناصره

---

(١) أبو صالح الأرمنى: كنائس وأديرة مصر، ص ٩٨.
(٢) الموسوعة المصرية: المرجع السابق، ص ٩١٢.

الفنية والمعمارية وتخطيطه الهندسى ظل كما كان فى عهد الإمبراطور جستنيان حتى اليوم.

**تخطيط الدير وملحقاته الداخلية:**

والدير عبارة عن بناء مستطيل الشكل غير منتظم الأضلاع، يبلغ طول الجهة الشمالية الشرقية منه حوالى ٨٧ مترًا، والجهة الشمالية الغربية طولها حوالى ٧٥ مترًا والجانب الجنوبى الغربى يصل طوله إلى حوالى ٨٤ مترًا، وأخيرًا فإن طول ضلعه الجنوبى الشرقى يصل إلى ٧٠ مترًا، وعلى ذلك فإن أطول أضلاعه هو الضلع «الشمالى الشرقي».

أما من الداخل، فالدير يحتوى على العديد من المنشآت والمرافق والأبنية منها:

١ ـ مخازن الغلال ٢ ـ مطاحن ٣ ـ معاصر
٤ ـ غرف للنزلاء ٥ ـ غرف للرهبان ٦ ـ مطابخ
٧ ـ صالات وقاعات ٨ ـ مكتبة ٩ ـ بستان ومزارع
١٠ ـ مسجد ينسب للعصر الفاطمى ١١ ـ كنيسة التجلى
١٢ ـ بعض المصليات والقلايات وصوامع الرهبان ١٣ ـ آبار للمياه .. وغيرها من المنشآت.

ولقد بنى الدير باستخدام حجارة صخرية قائمة الزوايا من الجرانيت الصلد المنتشر فى جبال هذه المنطقة، أما بالنسبة لارتفاعات الجدران، فهى متدرجة حتى ٢٥ مترًا فى الجوانب الشمالية، ويتراوح سمك السور الجرانيتى بين مترين وثلاثة أمتار، وذلك وفقًا للتخطيط الهندسى لتشييد الأبراج والمخابئ والحواصل وغيرها، جدير بالذكر أن السور الجنوبى للدير يعتبر من أقوى وأبرز الأسوار، حيث يطل على جبال سيناء، وهو مزين من الخارج بزخارف الصلبان، أما السور الشمالى فقد تحمل العبء الأكبر من غارات المعتدين من البدو والعربان على مر العصور، ولذلك فقد تعرض هذا السور للعديد من الأشرار والتخريب، الأمر الذى استلزم الترميم والصيانة لفترات زمنية طويلة، لعل أبرز ما يميز ترميم وصيانة هذا الدير ما قام به قائد الحملة الفرنسية نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م[1].

---

(١) أثناسيوس باليوراس: دير سيناء المقدس. طبعة شركة تزافيرس للطباعة، اليونانية سنة ١٩٨٦، ص ١٠-١١.

ويقع المدخل القديم للدير على الجانب الغربى، ويبدو هذا المدخل بشرفاته وهيئته المنفذة بدقة وإحكام للحفاظ على أمن الدير والرهبان بداخله، جدير بالذكر أن هذا المدخل القديم مغلق حاليًا، ويُستخدم الآن عوضًا عنه مدخل آخر قديمًا أيضًا، يقوم حراس الدير بإغلاقه كل مساء ببوابات جديدة بثلاثة مصاريع، أما بالنسبة لصوامع الرهبان وغيرها من المنشآت والمبانى فتقع على طول الواجهة الداخلية للدير.

**كنيسة الدير:**

أنشئ بداخل الدير عدة كنائس، أكبرها كنيسة التجلى أو العلقية المقدسة وهى الكنيسة الرئيسة للدير حيث يصل أطوال أضلاعها ٢٥× ١٢ مترًا، وتنقسم الأروقة فيما بينها بصفوف من الأعمدة، كل صف يتكون من ستة أعمدة، وكل عمود مصنوع من حجر واحد من الجرانيت، وقد دعمت برؤوس (تيجان) متنوعة مزخرفة بالصلبان والحملان والفاكهة والأطعمة، وسقف هذه الكنيسة مصنوع من الخشب، وقد تم تركيبه فى القرن (١٨م) فى عهد كيرلس الثانى، رئيس أساقفة جزيرة كريت، وقد تم طلاء السقف باللون الأزرق، كما أن بوابات الكنيسة الرئيسة مصنوعة من خشب الأرز اللبنانى المنقوش والمزخرف بعدة زخارف فنية بديعة، وبالكنيسة عدد من الأيقونات (اللوحات الزيتية المصورة) لعدد من القديسين، وهى أيقونات نادرة تنسب لفترات زمنية متعددة[١].

وبالإضافة لهذه الكنيسة هناك أيضًا كنائس أخرى بالدير، أقل مساحة من الكنيسة الكبيرة، منها كنيسة القديس يعقوب، وكنيسة الآباء المقدسيين وغيرها. جدير بالذكر أيضًا أن كنيسة الدير الرئيسة كانت بين عناصرها الزخرفية تأثيرات فنية عربية وإسلامية تتمثل فى الزخارف المنفذة على الأبواب الخشبية، ومنها أيضًا تأثيرات فنية فى شكل العقدين بالجدار الأيسر من مصلى (سان جاك) وكذلك وجود شمعدانين من الطراز الإسلامى محفوظين حاليًا فى مصلى (سان آتيتن)[٢].

---

(١) نفسه.

(٢) د. محمد عبد المنعم الجمل: دراسات فى حضارة وآثار مصر الإسلامية. طبعة دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية سنة ٢٠٠١ م، ص ٢٣٤.

## المسجد الفاطمى داخل الدير:

يقع هذا المسجد الصغير داخل بناء دير سانت كاترين، ويرتفع بناء المسجد إلى ما يقرب من سبعة أمتار عن الجدار الشمالى الغربى من السور الدائر حول الدير، كما أن هذا المسجد يبعد حوالى ستة أمتار عن واجهة الكنيسة البازيليكة بالدير، والمسجد بناؤه بسيط مستطيل الشكل يبلغ طول ضلعه حوالى (١٠ أمتار) بينما يبلغ الضلع الآخر حوالى (٧ أمتار)، ويقع مدخل المسجد فى مواجهة المحراب أى أن المدخل الوحيد للمسجد يقع فى محور بناء المسجد، وأرضية المسجد مفروشة بحجارة متراصة عبارة عن عدد من اللوحات الحجرية المستجلبة من محاجر جبال سيناء، كما أن جدرانه بما فيها المأذنة مغطاة ومكسوة بطبقة من الجير الأبيض، أما عن تخطيط المسجد من الداخل فيتكون من ستة أساطين (دعامات) موزعة على هيئة صفين موازيين لجدار القبلة، تحمل هذه الأساطين عددًا من العقود النصف الدائرية، منها أربعة عقود عمودية على جدار القبلة، يخترقها فى المنتصف ثلاثة عقود موازية لجدار القبلة، وعلى ذلك فإن المسجد ينقسم إلى ثلاث بلاطات (أروقة)، ومحراب المسجد بسيط منفذ بأسلوب المحاريب الفاطمية، حيث يستند عقد هذا المحراب على إفريز خشبى ممتد على طول جدار القبلة، ويلاحظ أن هذا العقد غير قائم على دعائم أو أعمدة مثلما هو متبع عادة فى المساجد بشكل عام، جدير بالذكر أن هذا المسجد العريق شيد فى عهد الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٥هـ/ ١١٠١ - ١١٣١م).

ولعل أبرز ما يميز هذا المسجد من الناحيتين التاريخية والأثرية منبره الخشبى الذى مازال يحتفظ حتى اليوم بمعظم حشواته الفنية، والمسجد بنى سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م بجوار كنيسة التجلى، وهو يختلف عن المسجد الآخر الموجود بالجبل، وكان بمسجد الدير شخص قائم على أمره ومؤذن للقيام بشعائر الإسلام، وكان يتولى وظيفة الإمامة به سنة ٨٣٦ هـ الشيخ صالح زين الدين جمعة بن شرف الدين يونس بن زين الدين جمعة[1].

---

(١) انظر فى ذلك وقفية ومرسوم السلطان سيف الدين إينال ٨٥٧-٨٦٥ هـ/ ١٤٥٣ - ١٤٦١م، السطور (٢٣-٢٤).

Aitya. A.S:. The Arabic treasures of the convent of mount Sinai (proceedings of the Egyp-.tian society of historical studies) Vol – 11-1952. P.6

### ١ ـ المنبر الخشبى الأثرى بمسجد الدير:

يضم المسجد منبرًا خشبيًا يعتبر تحفة فنية رائعة، يتكون من عدد (٧) درجات مستندة على لوحين خشبيين من خشب الخرط، ويلاحظ أن الدرج الأخير «بأعلى المنبر» منفذ على شكل كرسى جوانبه الثلاث من الداخل مزينة بحشوات من التوريقات، وتغطى جانبى المنبر حشوات خشبية مزخرفة بزخارف نباتية بأسلوب الحفر الغائر، تبلغ عدد الحشوات على جانبى المنبر من أعلى حتى ملامسته الأرض (٩) حشوات منفذة على هيئة صفوف أفقية، ويلاحظ أن دخلة المنبر منفذة على شكل عقد نصف دائرى مدبب الرأس، مزخرف بزخارف نباتية مورقة، ومن أبرز الزخارف النباتية «المراوح النخيلية» ويعلو العقد الموجود بأعلى المنبر لوحة من الخشب تتضمن كتابة منفذة بأسلوب الخط الكوفى الفاطمى، عدد سطورها ستة أسطر كتبت بأسلوب الحفر الغائر وتبدو وكأنها بارزة، يبلغ طول اللوحة (٣٠ سم) وعرضها (٨٠سم) والكتابة منفذة بشكل فنى جميل نصها هكذا: «بسم الله الرحمن الرحيم. لا إلا الله وحده لا شريك له * له الملك وله الحمد * يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير نصر من الله وفتح قريب. لعبد الله ووليه أبى على المنصور الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين أمر بإنشاء هذا المنبر السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين، وهادى دعاة المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه بر المسلمين، وأدام قدرته وإعلاء كلمته، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة خمس مائة. أثق بالله»[1].

جدير بالذكر أيضا أن كرسى هذا المنبر تضمن نصًا كتابيًا نفذ بأسلوب الخط الكوفى الغائر والمزخرف بزخارف ونقوش نباتية مورقة عبارة عن مراوح نخيلية ملتوية وملفوفة والنص المنفذ كتب بهذه الصيغة فى سطرين: السطر الأول: «بسم الله الرحمن الرحيم مما مر بعمل هذا الشمع والكراسى المباركة والجامع الذى بالدير الأعلى والثلاثة مساجد فوق مناجاة موسى عليه السلام».

أما صيغة السطر الثانى فهكذا:

---

(١) نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها. طبعة القاهرة سنة ١٩١٦ ص، ٥٣٤-٥٣٥.

«... والجامع الذى فوق جبل دير فاران الجديدة التى يحصن الساحل الأمير الموفق المنتخب منبر الدولة وفارسها أبى المنصور ـ أنوشتكين الآمرى...»[1].

جدير بالذكر أن بعض المراجع العلمية أشارت إلى أن الذى أمر ببناء هذا الجامع هو الأمير «أبو المنصور أنوشتكين» وهو من رجال عصر الخليفة الآمر بأحكام الله، أما الأفضل شاهنشاه فهو الذى أمر بصنع المنبر فى سنة ٥٠٠ هـ ـ عندما كان وزيرًا للخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى ٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١ - ١١٢٩م[2].

**٢ ـ مأذنة الجامع:**

تعتبر مأذنة مسجد دير سانت كاترين من المآذن الفاطمية البسيطة فى زخارفها، فهى تشبه إلى حد كبير مأذنة ضريح الجيوشى بجبل المقطم بمدينة القاهرة التى يرجع تاريخها إلى سنة ٤٧٢ هـ، وهى أيضًا مبنية بالحجر المغطى بالملاط ( طبقة من الجير الأبيض) وتتكون المأذنة من برج له قاعدة مستطيلة الشكل، تنتهى هذه القاعدة من أعلى بشرفة، ثم طابق ثالث علوى أصغر حجمًا وأقل ارتفاعًا، تعلوه قبة صغيرة، ويبلغ ارتفاع المأذنة حوالى ٨,٧ متر من القاعدة الأرضية المستطيلة حتى قمة القبة الصغيرة العلوية، ويلاحظ أن الفتحات المنفذة فى بدن الطابق الثانى، وكذلك فتحات القاعدة السفلية المستطيلة عبارة عن فتحات طولية تشبه المزاغل التى كانت تنفذ فى الأبراج المقامة على أسوار الحصون بغرض الدفاع ومراقبة المنافذ والطرق، أى أنها ليست شبابيك بالمعنى المعروف.

**رابعًا: أبرز مقتنيات الدير الثقافية:**

تعتبر مكتبة دير سانت كاترين من أبرز وأهم مكتبات العالم، وذلك لتعدد مقتنياتها التراثية، فهناك المخطوطات والوثائق والأيقونات واللوحات الفنية والرسوم والنقوش والكتابات بشتى لغات العالم، فمكتبة الدير تضم حوالى (٤٥٠٠)[3] مخطوطة

---

(١) د. عبد اللطيف إبراهيم: دراسة فى الوثائق العامة فى العصور الوسطي، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الأول، سنة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م ص ١٥١.

(٢) د. عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٣) أثناسيوس باليوراس: المرجع السابق، ص ٣٣.

بعضها كتب باللغة العربية والبعض الآخر كتب باللغات اليونانية والسريانية والقبطية والسلافية... وغيرها، والمخطوطات لا تتعلق بعلوم الدين واللاهوت فحس، بل شملت موضوعها سائر العلوم والفنون والمعارف والآداب وعلوم اللغة والطب والدين والجغرافيا والسياسة والفلسفة والرياضة والتاريخ والقانون وسائر ألوان وفروع العلم.

جدير بالذكر أن مجموعات المخطوطات والوثائق بالدير كتبت فيما بين القرين السادس والتاسع عشر الميلادى.

وعلى سبيل الإجمال يمكن تقسيم مجموعات المخطوطات بالدير إلى قسمين رئيسيين هما:

**القسم الأول: مجموعة اللغات الشرقية**[1]:

تميزت مجموعات المخطوطات الشرقية المحفوظة بمكتبة الدير بأنها منفذة بعدة لغات نذكر منها:

**اللغة العربية:**

يبلغ عدد المخطوطات العربية بمكتبة دير سانت كاترين حوالى (٦٠١) مخطوطة ترجع إلى القرون (٣-١٣هـ / ٩-١٩م) ويمكن تقسيمها إلى ستة أقسام وذلك بحسب موضوعاتها؛ بعضها عبارة عن أجزاء من الكتاب المقدس (العهدين القديم والجديد) أيضًا هناك كتب كنسية (بعضها عبارة عن قراءات وصلوات ... وغيرها).

أيضًا هناك كتب لاهوتية (تفاسير وأقوال الآباء وميامر وعظية) كذلك هناك كتب تاريخية (مثل: سير القديسين وتاريخ الدير وكتب فى التاريخ عبر العصور) أيضًا بمكتبة الدير مخطوطات كتبت باللغة العربية منها كتب تتعلق بالقانون وكتب خاصة بالمعاهدات ودفاتر وإيصالات.... وغيرها. جدير بالذكر أيضًا أنه من بين المخطوطات العربية هناك أقدم مخطوطة عربية مسيحية، يعتبرها بعض الباحثين من أهم المخطوطات التاريخية والعلمية والدينية، كتبت هذه المخطوطة على قطع من الرق والورق (عدد الصفحات المكتوبة على الرق ٢٨ قطعة، وعدد ٥٧١ قطعة مكتوبة على الورق).

---

(١) د. مراد كامل: فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء، ٢ جزء.

كذلك تضم مكتبة الدير مخطوطة نادرة تحمل رقم سجل (٥١٤) ( Codex Ar-bicus) وهى عبارة عن (ميامر وعظيمة) منفذة على عدد (١٧٥) قطعة كتبت على قطع من الرق تختلف مقاساتها بين أطوال ٢٣×١٥ سم، ١٩×١٢,٥ سم ـ تنسب للقرن ٣ هـ/ ٩ م ويُلاحظ وجود غسيل لبعض هذه القطع، ربما لمحو كتابة سابقة، ثم نفذت كتابة أخرى عليها. فنجد كتابة منفذة باللغة السريانية (ترجع إلى القرن ٥م) ثم كتابة أخرى (ترجع للقرن ٧م)، ثم كتابة منفذة باللغة العربية (تنسب للقرن ٢ هـ/ ٨م). ثم أخيرًا يُلاحظ وجود كتابة منفذة باللغة العربية وهى الأحدث وهى الظاهرة حاليًا (تنسب للقرن ٣ هـ/ ٩م) كتبت بأسلوب الخط الكوفى، جدير بالذكر أن هذه المخطوطة العربية النادرة التى كتبت فوق عدة كتابات أخرى تم محوها عثر عليها فى ١٢ يونية سنة ١٩٥٠م وذلك عند قيام أعضاء البعثة الأمريكية بتصوير مجموعة المخطوطات النادرة بمكتبة الدير[1].

**من أقدم المخطوطات العربية بالدير:**

بمكتبة الدير مخطوطتان نادرتان ترجعان للقرنين ٣-٤ هـ/ ٩-١٠م الأولى منهما عبارة عن نسخة من الأناجيل الأربعة (متى، مرقص، لوقا، يوحنا) مكتوبة بالخط الكوفى الحبر الأسود، والعناوين مكتوبة باللون الأحمر، مؤرخة بشهر المحرم سنة ٢٨٤ هـ، والمخطوطة الثانية مخطوطة للأناجيل الأربعة مكتوبة كذلك بالخط الكوفى مؤرخة بشهر ذى العقدة سنة ٣٩٣هـ.

**٢ ـ اللغة السريانية:**

يبلغ عدد المخطوطات الشرقية التى كتبت باللغة السريانية والتى تقتنيها مكتبة دير سانت كاترين (٢٦٦) مخطوطة، يرجع تاريخها بين القرون (٠-١١هـ/ ٦-١٧م) ويمكن تقسيمها إلى أربعة شعب أو أقسام وذلك بحسب موضوعاتها:

أ ـ أجزاء من الكتاب المقدس (العهدين القديم والجديد).

---

(١) انظر فى ذلك:

Atiya. A. S:. The Arabic manuscripts of mount Sinai (Baltimore. The American foundation .for the study of man. 1955) P. 19

ب ـ كتب لاهوتية.

جـ ـ سير القديسين.

د ـ كتب طقسية.

أما مادة كتابة هذه المخطوطات فمتنوعة وهى على النحو التالى:

أـ عدد (٦١) مخطوطة كتبت على قطع من الرق (الجلد).

ب ـ عدد (٢٠٠) مخطوطة كتبت على الورق (الكاغد).

جـ ـ عدد (٥) مخطوطات كتبت على الجلد والورق.

جدير بالذكر الإشارة إلى أن أغلب المخطوطات السريانية بمكتبة الدير يرجع تاريخها إلى القرن ٧ هـ/ ١٣م.، وربما كان ذلك بسبب هروب عدد كبير من الرهبان من بلاد الشام والعراق إلى الدير وإقامتهم به، وعند مجيئهم للدير حملوا معهم هذه المخطوطات من بلادهم التى فروا منها نتيجة غزو التتار وتدميره بلادهم وأوطانهم، وتجدر الإشارة كذلك إلى أنه من بين المخطوطات السريانية بمكتبة الدير عثر أيضًا على مخطوطات كتبت باللغة العربية واليونانية والسريانية الفلسطينية (منها ثلاث ورقات كتبت بهذه اللغة)[1].

**٣ ـ اللغة الحبشية القديمة:**

بمكتبة الدير عدد (٦) مخطوطات، منفذة على الرق بعضها عبارة عن (صلوات يونانية كتبت بحروف حبشية) ولعلها كانت خاصة برهبان أحباش أقاموا بالدير فترة من الزمن (ترجع إلى القرون ٨-١٣ هـ/ ١٤-١٩م).

**٤ ـ اللغة الفارسية:**

هناك مخطوطة واحدة بمكتبة الدير كتبت على الورق موضوعها (كلستان سعدى الشيرازى وتنسب للقرن ٩ هـ/ ١٥م، عدد أوراقها ٨١ ورقة).

---

(١) انظر فى ذلك: Atiya. A. S:. The Arabic treasures. P. 8.

**٥ ـ اللغة القبطية:**

بمكتبة الدير مخطوطة واحدة كتبت باللغة القبطية على الورق موضوعها (كتاب السواعى) من القرن ٧ هـ/ ١٣ م عدد أوراقها (١١٥ ورقة).

**القسم الثانى: مجموعة اللغات الغربية:**

وهى على النحو التالى:

**١ ـ اليونانية:**

تقتنى مكتبة الدير عددًا لا بأس به من المخطوطات المنفذة باللغة اليونانية، قدرها بعض الباحثين بعدد (٢٣١٩ مخطوطة) ترجع فى أغلبها إلى القرون (٢-٨هـ / ٨-١٤م)[١]، ويمكن تقسيم هذه المخطوطات حسب موضوعاتها إلى (٢٢) قسمًا أو موضوعًا، منها مخطوطات عبارة عن نسخ من العهد القديم والعهد الجديد، وموضوعات أخرى تتعلق بتفسير الكتاب المقدس وسير القديسين، هذا بالإضافة لموضوعات أخرى تتعلق بالقانون واللاهوت والتاريخ والموسيقى، وأخرى خاصة بالأدب والسحر والشعوذة والفنون بشتى فروعها وتخصصاتها وكتب مخطوطة تتعلق بالطب والتداوى والعلاج بالأعشاب والوصفات، وغيرها حسب ما ذكرت من قبل يمكن حصرها فى (٢٢) عنوانًا متخصصًا. وأعتقد أن هذا العدد الضخم من المخطوطات التى كتبت باللغة اليونانية، وهو يفوق بكثير عدد المخطوطات الأخرى التى كتبت بلغات عربية وقبطية وسريانية وحبشية وفارسية.. وغيرها. ربما كان راجعًا لأن أغلب من سكن هذا الدير وأقام به من رهبان ورجال دين وغيرهم كانوا من اليونانيين، وذلك لأن هذا الدير منذ القدم وحتى اليوم كان فى أيدى اليونانيين.

جدير بالذكر أيضا أن مجموعات المخطوطات اليونانية بمكتبة الدير منها عدد (٤٣٩) مخطوطة منفذة على قطع من الرق، والباقى منفذ على ورق (الكاغد) متفاوت الأطوال والمقاسات والأحجام.

من أبرز المخطوطات اليونانية بمكتبة الدير مخطوطة تعرف باسم «توراة سينا» Codix Sinaiticus ترجع أهمية هذه المخطوطة النادرة لكونها تتضمن نصًا يونانيًا

---

(١) د. عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٦٤-١٦٨.

لأكبر أسفار الكتاب المقدس منسوبًا للقرن (٤م) يرجعه بعض الباحثين لكونه نص أصليًا أو أصيلًا، أى أنه ليس منسوخًا لعدة نسخ.

جدير بالذكر أن هذه المخطوطة النادرة قد تسربت من مكتبة الدير عندما حصل عليها واقتناها العالم الروسى «تيشندروف Tischendrof» فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، وحملها معه إلى مدينة بطرسبورج «لينتجراد حاليًا» ثم أهداها بعد ذلك إلى القيصر الروسى إسكندر الثانى سنة ١٨٦٩م ـ وفى مرحلة لاحقة باعت الحكومة السوفيتية هذه المخطوطة النادرة للمتحف البريطانى بلندن بمبلغ (١٠٠,٠٠٠) مائة ألف جنيه استرلينى سنة ١٩٣٣م، وكان هذا المبلغ يعتبر مبلغًا ضخمًا بتعامل ذلك الوقت منذ أكثر من ٧٥ سنة تقريبًا[١].

وربما نظرًا لأن القائمين على أمر الدير حاليًّا من اليونانيين فيلاحظ أن غالبية المخطوطات اليونانية بمكتبة الدير معروضة ومحفوظة بشكل جديد من حيث التغليف والإخراج الفنى والتجليد والحفظ والصيانة والترميم والفهرسة، وسائر الأمور الأخرى المتعلقة بمجال علم المخطوطات. وإن كان هذا لا يقلل من أهمية سائر المخطوطات الأخرى التى كتبت بلغات أجنبية مختلفة بالدير.

**٢ ـ اللغة السلافونية «الصقلبية»:**

يحتفظ الدير بعدد (٤٣) مخطوطة نادرة كتبت باللغة السلافونية وهى لغة الصقالبة «Slaves»، وهم مجموعة من الشعوب المنتشرة فى أوربا الشرقية والوسطى، تنحدر من الفرع الشرقى للشعوب أوروبية، الشرقيون منهم يعيشون فى روسيا أوكرانيان والغربيون يعيشون فى بولونيا وجمهورية التشيك، أما الجنوبيون منهم فيعيشون فى صربيا وكرواتيا وبلغاريا ويوغسلافيا[٢].

يرجع تاريخ هذه المخطوطات لعدد ثلاثة قرون تقريبًا فى الفترة من القرنين (٩-١٢ هـ / ١٥-١٨م) يمكن تقسيمها حسب موضوعاتها إلى ثلاثة أقسام من بينها عدد (١٣) مخطوطة منفذة على قطع من الجلد، أما الباقى فمكتوب على ورق الكاغد.

---

(١) نعوم شقير: المرجع السابق، ص ٢١٩.

(٢) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق، ص ٣٤٦ «الأعلام».

### ٣ ـ الجورجانية:

يوجد بدير سانت كاترين عدد (٨٦) مخطوطة نادرة كتبت باللغة الجورجانية نسبة لمنطقة وجهورية جورجيا «Grouzia»، إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق، تقع على البحر الأسود وحدود تركيا، عاصمتها تبليسى تتبعها جمهوريتا أبخازيا وأجاريا، عرفها العرب قديمًا باسم «بلاد الكرج»[1]، يرجع تاريخ هذا العدد من المخطوطات لفترات زمنية طويلة، من القرن (٢-٨هـ/ ٨-١٤م) أى منذ العهد العباسى وحتى الدولة المملوكية، وهى فترة زمنية حفلت بالعديد من الأحداث السياسية والعملية وغيرها. ويمكن تقسيم موضوعات المخطوطات التى كتبت باللغة الجورجانية بمكتبة الدير إلى (٤) أقسام شملت تقريبًا موضوعات دينية وتاريخية وعلمية وأدبية وغيرها، منها مخطوطة منفذة على قطع من ورق البردى تنسب للقرن (٢ هـ/ ٨م)، تحتوى هذه المخطوطة النادرة على (٨٠) ورقة بردى سليمة، وعدد (٢٠) ورقة ممزقة وشبه مفتتة، ثم هناك أيضًا عدد (٥٨) مخطوطة منفذة على ورق الكاغد.

جدير بالذكر أن للمخطوطات الجورجانية بمكتبة دير سانت كاترين أهمية خاصة للباحثين والدارسين فى مجال التاريخ العربى والإسلامى، وكذلك فى مجال الأوقاف الخيرية التى أوقفها المسلمون حكامًا ومحكومين على أهل الذمة ومنهم مسيحو آسيا. وذلك لأن بعض المماليك فى العصر «الجركسي» كانوا من القبائل المسيحية التى كانت تسكن بلاد (الكرج) «جورجيا» حاليًّا.

ويمكن التأكد من ذلك من خلال نصوص إحدى الوثائق المتعلقة بالوقف الخاصة بالأمير قرقماس الأتابكى (١٥٤٤-١٥٨٥م) مخطوطة حاليًا فى مكتبة الأوقاف بوزارة الأوقاف بمصر تحت رقم سجل (أوقاف ـ رقم ٩٠١ ص ٣٢-٣٣)[2] حيث وردت فيها عبارة تفيد أحقية أخيه ويدعى (دنش) وكان مازال موجودًا فى بلاد جركس أو (الكرج) فى نظر وقفة عندما يحضر إلى مصر، ويتشرف بالتعرف على الدين الإسلامى، ربما رغبة منه فى قدومه إلى مصر واعتناقه هذا الدين الحنيف،

---

(١) نفسه، ص ٢٠٦ «الأعلام».

(٢) د. عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٦٥ حاشية (٢).

وهذه الوقفية توضح لنا مدى علاقة هذه البلاد بالمجتمع العربى الإسلامى، حيث وفد العديد منهم إلى ديار المسلمين وسكنوها وبعضهم وصل لمرتبة سامية مثل الأمير «قرقماس» السابق ذكره.

أيضًا هناك مؤرخ شهير هو المؤرخ الجركسى الأصل «أبو المحاسن بن تغرى بردى ١٤١١-١٤٦٩م» صاحب العديد من المؤلفات الشهيرة والمعروفة ومنها «النجوم الزاهرة» والتى ذكر فى بعض مجلداتها أن قبائل الكرج كانوا «نصارى»[١]، ومن مؤلفاته المعروفة أيضًا «موردًا اللطافة فى من ولى السلطنة والخلافة» وكتابه الشهير «المنهل الصافي». وغيرها من المصنفات.

وبالإضافة إلى ذلك أشار أيضًا المؤرخ العربى الشهير والحافظ المحدث ابن حجر العسقلانى، إلى أن الأمير «يشبك الجركسى» الذى حضر إلى مصر من بلاد جركس[٢] (الكرج) فى أواخر سنة ٨٢٨ هـ، قد أسلم عن النصرانية ورتب فى طبقة المماليك الجراكسة بمصر فى العهد المملوكى.

**٤ ـ اللغة اللاتينية[٣]:**

بمكتبة الدير مخطوطة واحدة كتبت باللغة اللاتينية، ترجع إلى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى (٤هـ/ ١٠مم)، كتبت على ورق الكاغد، عدد أوراقها (١١٢٣ ورقة).

جدير بالذكر أن اللغة اللاتينية «Latins» أطلقت نسبة إلى سكان إقليم لاسيوم الأقدمين الذين عاشوا فى إيطاليا، ويطلق اليوم اسم (اللاتين) على المسيحيين الكاثوليك الذين يستعملون اللغة اللاتينية فى عبادتهم.

**٥ ـ اللغة الأرمينية[٤]:**

بالدير أيضًا مخطوطة واحدة كتبت باللغة الأرمينية، منفذة على ورق الكاغد، عدد أوراقها (١٩٣) ورقة يرجع تاريخها إلى القرن ١٢ هـ/ ١٨م.

---

(١) أبو المحاسن (بن تعرى بردى): النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٥٨.

(٢) الحافظ بن حجر العسقلانى: أنباء العمر بأبناء العمر. مخطوط نادر محفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم سجل (٢٤٧٦) تاريخ.

(٣) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق، ص ٤٨٧ «الأعلام».

(٤) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق ص ٣٩ «أعلام».

جدير بالذكر أن اللغة الأرمينية نسبة للمملكة أرمينيا الصغرى فى الأناضول وقيليقية فى عهد الصليبيين (سنة ١١٩٨م)، أخضعها سلاطين المماليك لسيطرتهم سنة (١٣٧٥م)، تعرضت هذه البلاد لسلسة من الحروب والصراعات بين الفرس والترك ثم بين الروس والعثمانيون، حيث استولت روسيا على القسم الشرقى من هذه البلاد سنة ١٨٢٩ بينما خضع القسم الآخر للعثمانيين، وعندما حاول الأرمن عمل محاولات تحررية تعرضوا للمزيد من الأذى من قبل العثمانيين وكذا تعرضوا للفتك والإفناء بين سنوات ١٨٩٤-١٨٩٦، ١٩١٥ - ١٩١٦م.

**٦ - اللغة البولونية**[1]:

تحتفظ مكتبة الدير بمخطوطة واحدة كتبت باللغة البولونية «Polska»، وهى لغة جمهورية بولونيان إحدى جمهوريات أوربا الشرقية تقع على نهر البلطيق بين الاتحاد السوفيتى وجمهورية التشيك وألمانيا.

وهذه المخطوطة التى كتبت باللغة البولونية تعتبر نادرة، نظرًا لأهمية موقع سكان هذه الجمهورية فى أوربا الشرقية، والمخطوطة كتبت على ورق الكاغد وعدد أوراقها (٢٥٠ ورقة).

وعلى ذلك يمكن القول إن إجمالى عدد مخطوطات هذا الدير العريق وصل إلى حوالى (٣٣٢٦) مخطوطة، منها عدد (٨٧٥) مخطوطًا كتب بعدة لغات شرقية، وعدد (٢٤٥١) مخطوطًا كتب بعدة لغات غربية.

ولا يفوتنى كذلك ذكر عدد من المخطوطات العربية المنفذة بأسلوب الخط الكوفى البديع والتى يرجع أغلبها إلى القرون ٣ -٥ هـ / ٩ - ١١م، وهى فى واقع الأمر تعتبر من أقدم ما وصل إلينا من ترجمات للكتاب المقدس وبخاصة الأناجيل الأربعة والمزامير، وهى تنسب إلى الشام والعراق، وذلك لأن ترجمة الكتاب المقدس فى مصر كانت قد تأخرت عن ذلك بنحو قرنين من الزمان تقريبًا، فقد بدأت حسب إشارات الباحثين فى القرن (٧ هـ / ١٣م)، وتجدر الإشارة إلى أن نصارى العرب كانوا يستخدمون فى كنائسهم ترجمة عربية للأناجيل والمزامير، وذلك بعد

انتشار اللغة العربية فى كل من مصر والشام والعراق، جدير بالذكر أيضًا أنه لم تصلنا حتى اليوم أية ترجمة عربية لأى سفر من أسفار الكتاب المقدس فى القرون الأولى للمسيحية[1].

وفى واقع الأمر إن تعدد لغات المخطوطات المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين، إنما يشير إلى تعدد الرهبان وزوار الدير على مر العصور التاريخية من شتى بقاع العالم، إما خوفًا من بطش حكام حكموا بلدانهم أو بسبب غزو سعى لاحتلال بلادهم وأوطانهم فرغبوا فى سكن الدير والانقطاع للعبادة به، وربما من هذا المنطلق سعى العديد من ولاة أمور المسلمين فى العصور الوسطى لوقف الأوقاف وتخصيص العطايا والهبات للرهبان فى هذا الدير وذلك لكونهم أقرب الناس للمؤمنين، عملًا بقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[2].

**القسم الثالث: وثائق دير سانت كاترين:**

إلى جانب المخطوطات النادرة التى تقتنيها مكتبة دير سانت كاترين، والتى كتبت بعدة لغات خاصة بالرهبان الذين سكنوا هذا الدير من عرب وأحباش ويونانيين وصقالبة وأرمينيين وبولونيين وجورجيين وغيرهم كثير. يقتنى الدير كذلك عددًا لا بأس به من الوثائق التاريخية النادرة التى يبلغ عددها تقريبًا حوالى (١٧٤٢) وثيقة أغلبها منفذ على قطع من ورق الكاغد، والبعض الآخر مكتوب على الجلد (الرق). وعلى سبيل الإجمال يمكن تقسيم مجموعات الوثائق التاريخية والمحفوظة بمكتبة الدير إلى مجموعتين رئيستين هما على النحو التالى:

**أولًا: مجموعة الوثائق المكتوبة باللغة العربية:**

وهى فى واقع الأمر مجموعة مهمة ونادرة، اختلف بعض الباحثين فى ذكر

---

(١) د. عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٢) القرآن الكريم، سورة المائدة، آية رقم (٨٢).

أعدادها، فمنهم من حصر عددها فى (١٠٧٢)[1] وثيقة نادرة: منها عدد (٢٩ وثيقة) منفذة على قطع من الجلد (رق)، وهناك ما يقرب من (١٠٤٣) وثيقة مكتوبة على الورق (الكاغد)، بينما ذكر الدكتور عزيز سوريال عطية الذى زار الدير عدة مرات، رقمين مختلفين لعدد الوثائق التاريخية التى كتب باللغة العربية فى مكتبة وخِزانات هذا الدير. فذكر أولًا أن عدد الوثائق العربية يصل إلى (١٠٧١ وثيقة)[2]، بينما فى دراسته اللاحقة ذكر العدد (١٠٦٧ وثيقة)[3] وربما كان ذلك راجعًا إلى اعتقاد د. عزيز سوريال عطية بأن عدد (٤) وثائق كتبت باللغة العربية، ولكن عندما تيقن أن هذه الأربع وثائق غير عربية فذكر أن الرقم الحقيقى هو (١٠٦٧) وثيقة.

ونظرًا لضخامة هذا العدد من الوثائق التاريخية النادرة المحفوظة بمكتبة الدير فقد قسم الباحثون هذه المجموعة لعدد (١٦) قسمًا حسب موضوعاتها المتعددة والمتنوعة وهى على النحو التالى:

**١ ـ عهود نبوية Covenants of the prophet**

وهى خمسة عهود، من رقم (١-٥) بسجلات مكتبة الدير، وفى واقع الأمر إن رهبان دير سانت كاترين كانوا ومازالوا يعتقدون فى (وثيقة عهد أمن وأمان) منحها لهم رسولنا الكريم ﷺ، فى أوائل سنوات الهجرة النبوية الشريفة، تحمل هذه الوثيقة عبارات صادرة عن رسولنا الكريم ﷺ تتعلق بحماية الرهبان وكذلك كنائسهم وبيوت عباداتهم، وألا تهدم هذه الكنائس والبيع والصلوات، كذلك يعتقد الرهبان بأن الوثيقة تتضمن نصوصًا ترفع عنهم فروض الجزية التى يكلف بها أهل الذمة فى البلاد الإسلامية، ونظرًا لتعدد نسخ هذا العهد (٥ عهود) هو فإن ذلك دفع بعض الباحثين إلى التشكيك فى أمر هذا العهد النبوى الكريم[4]. وعلى كل الأحوال فإن رهبان هذا الدير احتفظوا بهذه العهود النبوية الشريفة، واستطاعوا استغلالها أحسن استغلال زمن العصور الوسطى، فقدموها للعديد من الخلفاء والسلاطين والأمراء فى العهود الفاطمية والأيوبية والمملوكية والعثمانية، وحصلوا من خلالها على العديد

---

(١) د. مراد كامل: فهرست دير سانت كاترين، جـ ١، ص ٣.

(٢) Atiya A.S:. The Arabic treasures. P. 8, 14

(٣) Atiya A.S:. The Arabic manuscripts. P. XXVIII. 80

(٤) Rabino. M. H.L:. Le monastere de sainte Catherine du mont Sinan (le Caire 1938) P. 40.

من الامتيازات والعطاءات والإعفاءات وظل هذا العهد النبوى للدير محفوظًا فى مكتبته وخزائنه المحصنة حتى الفتح العثمانى لمصر سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م فأخذه السلطان العثمانى سليم الأول وسُر به كثيرًا واحتفظ به لنفسه اعتقادًا منه بأنه صادر عن رسولنا الكريم ﷺ فتبرك به، وكما هو معلوم فإن السلطان سليم الأول، وهو تاسع السلاطين العثمانيين (١٥١٢-١٥٢٠م) وهو الذى قضى على دولة المماليك فى موقعة مرج دابق سنة ١٥١٦م[١]. سلم لرهبان الدير والقائمين عليه صورة من هذا العهد النبوى لحفظها فى الدير وهى التى مازالت موجودة بالدير حتى اليوم[٢].

لقد سار سلاطين آل عثمان على نفس نهج السلطان سليم الأول فأكرموا رهبان الدير، فصدرت لهم العديد من الفرمانات والأوامر والعهود الخاصة برهبان الدير وزواره، مثلما فعل من قبل خلفاء الفاطميين وسلاطين آل أيوب والدولتين المملوكية البحرية والبرجية، وذلك لأن العديد من خلفاء وسلاطين وأمراء العصور الوسطى لم يشككوا فى أمر وصحة هذه العهود النبوية التى أصدرها رسولنا الكريم ﷺ لرهبان هذا الدير[٣].

وربما من هذا المنطلق حظى رهبان هذا الدير بالعديد من العطاءات والأوقاف الخيرية والهبات والمنح من قِبل حكام وولاة أمور المسلمين فى العصور الوسطى، ويلاحظ أن هذه المراسيم والأوامر والفرمانات الصادرة لرهبان الدير إنما كانت صادرة عن (ديوان الإنشاء)[٤] وهو الديوان الخاص بالحاكم والمتعلق بمكاتباته ومراسلاته وسائر أمور حكمه وسياسته المهمة فى الدولة، وفى صدور هذه الفرمانات والأوامر عن هذا الديوان لرهبان الدير، إنما يشير إلى مدى ما حظى به رهبان سانت كاترين من عناية ورعاية واهتمام خاص من قبل حكام وولاة أمور مصر فى العصور الوسطى، وبعضهم كما أشرت من قبل ربما استن بسنة رسولنا الكريم ﷺ عندما عرض عليه عهد الأمن والأمان الذى منحه رسولنا الكريم لرهبان هذا الدير حسب اعتقاد الرهبان، ولقد تمثلت هذه العناية بوقف العديد من الأوقاف والأملاك والعقارات

---

(١) قاموس المنجد ى اللغة والأعلام: المرجع السابق، ص ٣٠٧ «الأعلام».

(٢) د. عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٦٩ - حاشية (١).

(٣) Rabino. M. H. L:. OP. Cit. P. 40

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ ١١، ص ٣٢، جـ ١٣، ص ١٥٧

والأراضى على رهبان الدير للإنفاق عليهم وتقديم كل الخدمات من أطعمة وكسوة ومؤن وحراسة وسائر أمور المعيشة فى هذه المنطقة الصحراوية المقفرة.

وفى واقع الأمر إن المتأمل فى نصوص هذا العهد النبوى الشريف والذى يعتقد رهبان الدير وأساقفته نسبته لرسولنا الكريم ﷺ يلاحظ فيه بعض النقاط التى تشكك فى صحته ويمكن حصرها على النحو التالى:

١ ـ أسلوب الكتابة المنفذة فى الوثيقة التى هى بحوزتهم الآن يختلف كلية عن أساليب الخطابات النبوية الشريفة التى كتبت فى عهده ﷺ سنة ٨، ٩ هـ، والتى وجَّهها لملوك العالم آنذاك (مثل رسائله الكريمة للنجاشى ملك الحبشة وهرقل عظيم الروم وكسرى ملك فارس والمقوقس عظيم القبط فى مصر ... وغيرها). فيلاحظ أن خط هذا العهد، به بعض الأعجام (النقط) كما أنه دقيق ومتقن.

٢ ـ وجود رسوم مثل المسجد والمنازل والكفوف والطرق بالوثيقة، يكذبها ولا ينسبها لرسولنا الكريم ﷺ، حيث لم يرد فى السيرة النبوية الشريفة أو كتب التاريخ وغيرها ما يشير إلى ذلك اطلاقًا.

٣ ـ رسم المنزل الوارد بالوثيقة له سقف يأخذ الشكل الجمالونى، وهو شكل أسقف المنازل التركية العثمانية، وهو أيضًا يبعد نسب الوثيقة لرسولنا الكريم ﷺ.

٤ ـ النص المكتوب بالوثيقة دقيق نسبيًا، بينما رسائله ﷺ كانت تتضمن عبارات موجزة ولكنها هادفة وبخط سميك، وأغلبها مستمد من كتاب الله تعالى بينما نص الوثيقة التى بالدير يحتوى على صيغ مديح وثناء لرهبان الدير.

٥ ـ تعدد الوثيقة (العهد) لخمسة نسخ يفندها ولا ينسبها لرسولنا الكريم ﷺ، فلم يكتب رسولنا سوى نسخة واحدة عادة ومعروفة فى رسائله الشريفة.

**٢ ـ مناشير ومراسيم من الخلفاء والسلاطين والأمراء فى العصور الوسطى «Decress»:**

(١١٨) وثيقة نادرة، والمتأمل فيها يلاحظ أنها منفذة على الورق (الكاغد) وتتضمن معلومات مهمة عن رعاية الدولة لجماعة الرهبان المقيمين فى الدير وفرض حمايتهم من غدر وبطش جماعة العربان والبدو الذين يحاولون التشويش على الرهبان وأذيتهم بسلب ممتلكاتهم وطعامهم. ولقد ورد فى نصوص هذه الوثائق تهديد ووعيد لهؤلاء العربان والبدو، إذا ما حاولوا الاعتداء على أمن وسلامة رهبان الدير. ويلاحظ أن هذه المناشير والفرمانات والأوامر والعهود صدرت فى وقت اشتدت فيه الحروب الصليبية البغيضة، والتى كانت أوربا المسيحية تهاجم فيها الأراضى والشواطئ الإسلامية فى مصر والشام.

وكما هو معلوم فإن هذه الحروب الصليبية البغيضة كانت عبارة عن حملات عسكرية قام بها مسيحيو الغرب فى العصور الوسطى، وذلك بهدف الاستيلاء على الأراضى المقدسة ١٠٩٦-١٢٩١م، ولقد قسَّم الباحثون هذه الحروب إلى ثمانية حملات سبقتها حملة شعبية انتهت بانتصار المماليك وتم طرد الصليبيين، فالحملة الشعبية تمت سنة ١٠٩٥م وقادها (بطرس الناسك) وقضى عليها الأتراك فى منطقة البلقان، ثم تبعتها الحملة الأولى وكانت بين سنوات ١٠٩٦-١٠٩٩م ودعا إليها البابا أوربانس الثانى وكان من نتائجها احتلال القدس الشريف سنة ١٠٩٩م - أما الحملة الثامنة والأخيرة فكانت سنة ١٢٧٠م وقادها لويس التاسع ملك فرنسا وتم أسره فى مدينة المنصورة بمصر سنة ١٢٥٠م[١].

وفى واقع الأمر إن مثل هذه الوثائق المهمة والنادرة إنما تمثل حقيقة بالغة الأهمية على سماحة وعدل وإنصاف حكام وولاة أمور المسلمين مع أهل الذمة خاصة رهبان هذا الدير وغيرهم من رجال الدين المسيحى فى المشرق العربى، فأوقفت لهم الأوقاف وقدمت لهم العطايا وصدرت لهم عهود الأمن والأمان وعدم التعرض لهم بالأذى أو الضرر، وذلك فى وقت سلك فيه الأوربيون مسلكًا مخالفًا تمامًا؛ حيث كثر غدرهم وبطشهم بالمسلمين فى حروبهم الصليبية المعروفة.

### ٣ - فرمانات من العهد العثمانى Firmans

بمكتبة الدير عشرات من هذه الفرمانات النادرة والمهمة التى تنسب للعهد

العثمانى وعددها بالتحديد (٧٤) فرمانًا، أرقام سجلهما على النحو التالى (من رقم ١٢٥ حتى رقم ١٩٩).

**٤ ـ معاهدات Treaties:**

وعددها حوالى ٦٦ معاهدة ربما كانت تتعلق بعهود الأمن والأمان الخاصة برهبان وزوار الدير، وهى بالغة الأهمية لتضمنها معلومات عن مدى بسط الدولة لسيطرتها وهيمنتها على حدودها مترامية الأطراف، خاصة تلك الحدود الواقعة فى الأماكن النائية فى الصحراء مثل صحراء شبه جزيرة سيناء، والمعاهدات تحمل أرقام سجل (من رقم ٢٠٠ حتى رقم ٢٦٦).

**٥ ـ فتاوى Fatwas or legal opinions:**

عددها (١٢) وثيقة تتعلق ربما بالفتاوى التى أفتاها عدد من فقهاء وعلماء المسلمين لأهل وزوار ورهبان هذا الدير، تحمل هذه الفتاوى أرقام سجل (من رقم ٢٦٧ - حتى رقم ٢٧٩).

**٦ ـ حجج شرعية (وثائق فقهية) Deeds:**

تمثل هذه الوثائق النادرة دليلًا مهمًا على احتفاظ الرهبان بحجج المسلمين الشرعية والصادرة عن فقهاء وعلماء المسلمين على مر العصور، والمتعلقة بحماية وعناية المسلمين بالرهبان، وجميعها حجج شرعية مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ، ونظرًا لحرص الرهبان على حفظ هذه الحجج، فيلاحظ أنها كثيرة وتتعدى المئات ـ فعددها وصل تقريبًا لأكثر من (٦٠٠) وثيقة وعددها بالتحديد (٦٣٩ وثيقة) مهمة ونادرة، تحمل أرقام سجل من (قم ٢٨٠ ـ حتى رقم ٩١٩) وجميعها منفذ على قطع من ورق الكاغد، أغلبها لم ينشر حتى اليوم وهى فى مجملها دليل واضح على رعاية المسلمين لرهبان الدير.

**٧ ـ محاضر Proves-verbaux:**

يبلغ عدد هذه المحاضر (٣٥) محضرًا كتبت على قطع من ورق الكاغد، أرقام سجلهما بمكتبة الدير (من رقم ٩٢٠ ـ حتى رقم ٩٥٥).

**٨ ـ أوامر إدارية Administrative orders:**

وربما كانت تتعلق بشئون وأعمال ووظائف الدير، وهى قليلة نسبيًا إذا ما قورنت بغيرها من الوثائق، فعددها وصل إلى (١٢) أمرًا ـ تحمل أرقام سجل (من رقم ٩٥٦- حتى رقم ٩٦٨).

**٩ ـ أعمال عادية Current affairs:**

وهى أيضًا تتعلق بشئون وأعمال الدير، منفذة أيضًا على ورق الكاغد وعددها (٢٢ وثيقة) تحمل أرقام سجل (من رقم ٩٦٩ حتى رقم ٩٩١).

**١٠ ـ رسائل Letters:**

ربما نظرًا لوقوع الدير فى منطقة نائية عن العمران، فإن الرسائل التى كانت ترسل للدير مع العطاءات والهبات والمنح كانت تحفظ كذلك بمكتبة الدير، فقد تعددت هذه الرسائل وبلغت بالعشرات (٤٨ رسالة) تحمل أرقام سجل (من رقم ٩٩٢ ـ حتى رقم ١٠٤٠).

**١١ ـ أوامر صادرة من الحكام Proclamations:**

عدد هذه الأوامر ثلاثة أوامر، منفذة على قطع من ورق الكاغد تحمل أرقام سجل (من رقم ١٠٤١ حتى رقم ١٠٤٤).

**١٢ ـ كشوف جرد Inventories:**

عدد هذه الكشوف خمسة كشوف، ربما تتعلق بجرد متعلقات خاصة بالدير، تحمل أرقام سجل (من رقم ١٠٤٥ ـ حتى رقم ١٠٥٠).

**١٣ ـ كشوف حسابات Accounts:**

وهما عبارة عن كشفين حسابيين يتعلقان بأمور وحسابات مالية خاصة بالدير واحتياجاته يحملان أرقام سجل من رقم (١٠٥١ ـ حتى رقم سجل ١٠٥٢).

**١٤ ـ فواتير Bills:**

**١٥ ـ إيصالات Receipts:**

وهى ستة إيصالات، منفذة على قطع من ورق الكاغد، تحمل أرقام سجل (من رقم ١٠٥٩ ـ حتى رقم ١٠٦٥).

**١٦ ـ متنوعات Miscellanea:**

عددها ست وثائق متنوعة الموضوعات خاصة بشئون الدير، تحمل أرقام سجل (من رقم سجل ١٠٦٦ ـ حتى رقم ١٠٧٢).

**مجموعة الوثائق المكتوبة باللغة التركية:**

وهى عبارة عن مجموعة مهمة ونادرة من الوثائق التاريخية المنفذة على ورق الكاغد، وصل عددها لحوالى (٦٧٠) وثيقة نادرة. بعضها حالته جيدة، وهى أيضًا متعددة الموضوعات، ويمكن حصر موضوعاتها فى العناوين التالية:

**أ ـ عهود نبوية:** وعددها (٤٣ وثيقة)، تحمل أرقام سجل (من رقم ١ ـ حتى رقم ٤٣).

**ب ـ فرمانات:** وهى كثيرة نسبيًا وعددها (٢١١ وثيقة)، من رقم سجل (٤٤ حتى رقم سجل ٢٥٥).

**جـ ـ نسخ فرمانات:** وعددها (١٢٥ وثيقة)، من رقم سجل (٢٥٦ حتى رقم ٣٨١).

**د ـ مراسيم:** وهى متعددة وصل عددها (٦٨ وثيقة)، من رقم سجل (٣٨٢ حتى رقم ٥٤٩ أ).

**هـ ـ مسائل قانونية:** وحجج شرعية وهى عبارة عن وثائق متنوعة كتبت باللغة التركية عددها (٥٨) وثيقة.

**وـ موضوعات مختلفة:** ومتنوعة خاصة بشئون وأعباء ومهام الدير، وصل عددها (٦٢) وثيقة من رقم سجل (٦٠٨ حتى رقم ٦٧٠).

جدير بالذكر أن عدد هذه الوثائق بصفة عامة اختلف فى تحديدها بالضبط[١].

**القسم الرابع: كنوز الدير وثرواته الفنية من أيقونات وتحف:**

يقتنى دير سانت كاترين عددًا من الكنوز والثروات الفنية والأيقونات التى لا تقدر بمال، فالأيقونة هى الصورة والتمثال وهى كلمة يونانية معربة يقابلها فى اللغة العربية (النصمة)[٢]، وتتميز أيقونات الدير ولوحاته الفنية بأنها تحتوى على مناظر ونقوش ورسومات لا يوجد لها مثيل فى العالم، من أبرزها أيقونات «مسبوكة بالشمع ومثبتة بألوانها بالحرارة»، يتم إعدادها بطريقة فنية بالغة الدقة فيتم تثبيت الألوان بالحرارة، مع خلط الشمع فى درجة حرارة عالية بألوان نباتية فنية بديعة، ثم يعقب ذلك مباشرة نشرها فوق سطح خشبى، وكان الفنان يسجل أولًا تصميم موضوعه فوق سطح خشبى (وفى أوقات نادرة يتم تصميمه على لوح من المرمر)، وبعد ذلك يتم تسخين الشمع مع الألوان النباتية، ثم يبدأ يفردها وهى ساخنة على السطح المعد من قبل، وذلك باستخدام فرشة الألوان أو قلم النقش أو قطعة من الحديد المحماة فى النار، ثم بعد ذلك يقوم بتسخين الألوان وحكمها تدريجيًا وذلك باستخدام أداه خاصة حتى يصبح لهذا المزيج خاصيته التى تجعله يتغلغل وينفذ فى أعماق ومسام المادة. وهكذا عندما تبرد الألوان تصبح ثابتة تمامًا ولا يمكن محوها أو إزالتها. وهذا الفن يسمى (فن تثبيت الألوان) وكان معروفًا من أقدم العصور، وكان مستخدمًا حتى القرن ١ هـ/ ٧م، عندما استعيض عنه فيما بعد بالرسم بالألوان الممزوجة بالغراء بغرض تثبيتها، وهو الفن الذى يطلقون عليه حاليًا فن (تمبرا). جدير بالذكر أن أيقونات الدير محفوظة كلها ضمن الكنيسة ومعرض الصور، وفى الكنائس الصغيرة الملحقة بالدير، وكذلك فى غرف ملابس الكهنة والصوامع وغيرها من الأماكن المتعددة والمنتشرة بالدير، وتغطى هذه الأيقونات فترات زمنية طويلة، بداية من القرن السادس الميلادى حتى

---

(١) د. مراد كامل ذكر أن عدد الوثائق التركية بالدير (٦٧٠ وثيقة) د. عزيز سوريال عطية: فهرست مكتبة الدير، جـ ١ ص ٣ وفى موضع آخر ذكر المؤلف نفسه أن عدد هذه الوثائق (٦٧١ وثيقة) بزيادة وثيقة واحدة عن ما ذكره د. مراد كامل Atiya. A.S:. The Arabic treasures. P.8، بينما ذكر الدكتور محمد أحمد حسين أن عدد هذه الوثائق يصل إلى (٦٧٢ وثيقة) تركية. د. محمد أحمد حسين: الوثائق التاريخية، ص ١٠١.

(٢) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق، ص ٢٢ «اللغة».

القرن التاسع عشر (٦-١٩م) ـ ونظرًا لأهمية هذه اللوحات والكنوز والثروات الفنية من أيقونات وتحف وغيرها، فأجد أنه من الضرورى ذكر نبذات مختصرة عن بعض هذه الكنوز والأيقونات التى يبلغ أشهرها عدد (٨) أيقونات نادرة منفذة بأسلوب الشمع المسبوك والمثبت بالألوان بالحرارة منها:

**١ ـ أيقونة القديس بطرس:**

مقاسها ٥٢×٣٩سم، يظهر فيها القديس بطرس بعيون مفتوحة وشعر قصير رمادى ولحية مستديرة قصيرة بيضاء، يمسك فى يده اليسرى صليبًا، وفى يده اليمنى يمسك بثلاثة مفاتيح، ورأس القديس محاطة بهالة ذهبية كبيرة، ويلاحظ وجود رسم يمثل ثلاثة أوسمة صغيرة فى الجزء العلوى من رسم الأيقونة، تبدو صورة السيد المسيح فى الوسام الأوسط وهو على شكل صليب.

**٢ ـ أيقونة والدة الإله بين القديسين والملائكة:**

يبلغ طول هذه الأيقونة ٧٠ سم وعرضها ٤٩سم، وهى تعتبر من أفضل ما أنتجه الفن المسيحى المنفذ على الأيقونات. ينسب بعض الباحثين تاريخ هذه الأيقونة النادرة إلى عصر الإمبراطور يوستينياس ٤٨٢ ـ ٥٦٥م وهو إمبراطور بيزنطى، أمر بتدوين القوانين الرومانية، كما أكمل بناء كنيسة أيًا صوفيا بتركيا[1]، نفذت فى الأيقونة صورة تنصيب والدة الإله وهى تمسك بالمسيح فوق ركبتيها بين هؤلاء القديسين من الجنود.

**٣ ـ أيقونة المسيح ـ ضابط الكل:**

وهى عبارة عن لوحة فنية نادرة تبلغ أطوالها ٨٥×٤٥سم، تُظهر السيد المسيح وهو يلبس رداءً وقميصًا، وبينما هو يبارك بيده اليمنى يمسك بيسراه إنجيلًا كبير الحجم، غطاؤه مزخرف بالجواهر والأحجار الكريمة، وتبدو اللحية متوسطة الحجم ومستديرة، أما الشعر فقد تركه الفنان يتساقط خلف كتفه الأيسر. وهناك اختلاف فى تحديد تاريخ رسم هذه الأيقونة، ولكن بعض الباحثين أشار إلى تاريخ ينسبها إلى القرن (١٣م)، ولكن أعمال الصيانة والترميم التى تمت بالدير سنة ١٩٦٢م، كشفت

عن وجود طبقة أثرية من ألوان مثبتة بالحرارة، مما يؤكد قدم هذه الأيقونة، التى ربما تنسب للقرنين (٦-٧م)[١].

**٤ ـ أيقونة العذراء المتضرعة:**

من أقدم أيقونات الدير يبلغ أطوالها ٦٥×٤٠سم، يرجع تاريخها إلى الفترة التى اشتهرت بمحاربة الأيقونات، وهى تشبه الأيقونات المنسوبة للقرنين (٦-٧م) والتى كانت تنفذ بمعمل القسطنطينية لعمل الأيقونات، وهى تمثل السيدة العذراء ورأسها مائل وتسند يدها اليسرى على صدرها، جدير بالذكر أن الأيقونة حالتها سيئة وتحتاج لترميم وصيانة.

**٥ ـ أيقونة المسيح ـ ضابط الكل:**

وهى عبارة عن أيقونة خشبية ألوانها مثبتة بالحرارة، محفوظة حاليًا فى مكتبة الدير، أطوالها ٣٥×٢١سم ـ وهى تمثل السيد المسيح فى صوره نصفية (أى الرأس والصدر فقط)، وفيها أيضًا يبدو الوجه على شكل مثلث ويده اليمنى خارجة من الرداء المفتوح، ويده اليسرى تمسك بإنجيل منقوش عليه جواهر ذهبية ربما صنعت فى معمل القسطنطينية.

**٦ ـ أيقونة الصعود:**

وهى أيقونة فنية نادرة مقسمة إلى قطعتين وكان من نتيجة هذا الكسر حدوث خدوش وتلفيات بالأيقونة، وتبدو فى الأيقونة صورة السيد المسيح فى أعلا اللوحة فى وسط هالة بيضاوية الشكل، وتبدو السيدة العذراء فى أسفل اللوحة، وهى واقفة وسط الرسل، ويشير بعض الباحثين إلى أن هذه الأيقونة ربما صُنعت فى المعمل السورى الفلسطينى فى القرن السادس الميلادى[٢] .

**٧ ـ أيقونة المسيح ـ عمانوئيل:**

مقاس هذه الأيقونة يبلغ ٧٦ × ٥٣سم، وهى تمثل السيد المسيح وسط هالة جالسًا فوق قوس سماوى وقد ثبت قدميه على القوس بأشعة بيضاء، وقد ارتدى

---

(١) أثناسيوس باليوراس: دير سيناء المقدس، طبعة اليونان ١٩٨٦م، ص ٢٣.

(٢) أثناسيوس باليوراس: المرجع السابق، ص ٢٣.

قميصًا ورداءً ومانحًا البركة بيده اليمنى، بينما هو يمسك إنجيلًا مفتوحًا بيده اليسرى. وقد ذكر بعض الباحثين أنها مصنوعة فى مصر[1].

**٨ ـ أيقونة الفتية الثلاثة فى الأتون:**

ربما يرجع تاريخ هذه الأيقونة النادرة إلى القرن السابع الميلادى الأول الهجرى (١ هـ/ ٧م)، يبلغ أطوالها ٣٥ × ٥٠سم. رُسم بهذه الأيقونة جنانيا وعزرا وميصائيل بالملابس الفارسية، وقد رُسموا وهم واقفون فى صف واحد وسط لهيب الأتون الأحمر، تحيط بوجوههم هالات كبيرة بدوائر حمراء.

إننى فى واقع الأمر فى ذكر هذه النبذات المختصرة عن أبرز أيقونات الدير، لإثبات حقيقة أن المسلمين تركوا رهبان الدير وزواره يمارسون شعائرهم وطقوسهم وعاداتهم وعباداتهم بحرية كاملة. وفى استمرار بقاء هذه اللوحات الفنية والأيقونات حتى اليوم، ما يقوم دليلًا دامغًا على سماحة حكام وولاة أمور المسلمين مع من خالفهم فى العقيدة عملًا بقوله تعالى: ﴿لكم دينكم ولى دين﴾. فلم يتم حرقها أو تدميرها أو محوها وخلافه.

## ثانيًا: كنوز الدير وتحفه الفنية النادرة:

إلى جانب المخطوطات والوثائق والأيقونات الفنية النادرة، يقتنى الدير كذلك عددًا كبيرًا من التحف الفنية المصنوعة من مواد مختلفة معدنية وخشبية وزجاجية ونسيجية وعاجية، وغيرها كثير، جميعها إنما أهديت للدير عبر تاريخه الطويل من قبل العديد من السلاطين والأباطرة والخلفاء والأمراء والخيرين وزوار الدير ... وغيرهم.

وهى فى واقع الأمر تعد تحفًا وقطعًا فنية فى غاية الإبداع والقيمة التاريخية والفنية والتى لا يمكن أن تقدر بمال. نذكر منها:

**١ ـ تابوت معدنى:**

عليه نقوش بارزة، تمثل القديسة كاترينا، والتابوت مهدى من إحدى أميرات روسيا سنة ١٨٦٠م، لوضع رفات القديسة كاترينا به، إلا أنه رؤى بقاء الرفات فى

تابوتها المرمرى القديم خلف حجاب الهيكل المقدس داخل المحراب والتابوت مزخرف بالعديد من الزخارف الفنية النباتية والهندسية، ومزخرف بأشكال الصليب فى بعض جوانبه وأطرافه، وهو محمول على قاعدة خشبية متوسطة الارتفاع، مليئة أيضًا بالزخارف النباتية والهندسية.

**٢ ـ تابوت معدنى داخل المحراب المقدس:**

من التوابيت المهداة للدير ـ ينسب للفن الروسى، ويرجع تاريخه إلى القرن (١٧م)، نقشت على جدران التابوت أسماء من قام بصناعته وإهدائه للدير، مكتوبة باللغة الروسية على جوانب التابوت الأمامية، وضع هذا التابوت داخل المحراب المقدس بكنيسة الدير، ويلاحظ أن زخارف التابوت دقيقة وبجوانبه وأطرافه حلقات للحمل والنقل، وغطاء التابوت ملئ بالزخارف والنقوش.

**٣ ـ صليب برنزى من الحجم الكبير:**

صليب نادر يرجع تاريخه إلى القرن السادس الميلادى، مصنوع من البرونز، حفرت عليه بعض نصوص من سفر الخروج، تتعلق بتسليم الوصايا العشر إلى النبى موسى فوق جبل سيناء، ويلاحظ وجود بعض الحلقات الدائرية الدقيقة والمثقوبة فى أحد ضلعى الصليب الصغرى، كما يلاحظ أن أطراف الصليب الأربعة تنتهى بأشكال وحواف دائرة صغيرة.

**٤ ـ حجاب من القماش التابوت رفات القديسة كاترينا:**

هذا الحجاب النادر ملئ بالزخارف والنقوش، يحيطها إطار من الزخارف النباتية والكتابية بشكل دقيق، وفى المنتصف يلاحظ وجود رسوم آدمية وحيوانية وأشكال القديسين وسحب السماء وأشكال تمثل منازل وجبالًا وأشجارًا وطيورًا... وغيرها.

**٥ ـ حُلة كهنوتية من نفائس الدير:**

هذه الحلة بدون أكمام، كان يرتديها رئيس الدير، وجميعها موشاة بالزخارف الفنية، تنسب للقرن (١٨م)، توضع فى إحدى جوانبها رسوم تمثل الإثنى عشر رسولًا، وموضوعات زخارف الحلة تتعلق ببعض قصص الفن المسيحى.. ويلاحظ أن جميع الشخصيات المنفذة على بدن هذه الحلة رسمت رؤوسها وسط هالات دائرية، وزخارف القطعة مليئة بالرسوم الآدمية والنباتية... وغيرها.

**٦ ـ واجهة إنجيل لخدمة القداس:**

يُلاحظ أن هذه الواجهة أو الغطاء مزينة بنقوش فضية وذهبية، نقشت عليها صور الإنجيليين الأربعة، مطلية بالميناء. وجدير بالذكر أن هذا الغطاء ينسب للقرن (١٢ هـ / ١٨م)، زخرفت عليه أشكال قديسين وسط دوائر زخرفية من زخارف نباتية وكذلك نقوش كتابية[١].

**٧ ـ أدوات الأسقفية وعصا الرعوية:**

يقتنى الدير كذلك بعض الأدوات المميزة لمرتبة الأسقفية وعصا الرعوية، التى يحصل عليها رئيس أساقفة سيناء منذ وقت طويل، بوصفه مديرًا لشئون الدير، ورئيسًا للرهبان المقيمين فى الدير والمنظم لأعمالهم وشئون عبادتهم.

**٨ ـ أدوات طعام مصنوعة من الفضة:**

من هذه الأدوات طبق أصلى مصنوع من معدن الفضة، يحتوى على نقوش وزخارف فنية من أشكال هندسية ونباتية يرجع تاريخه إلى القرن (١١ هـ / ١٧م).

**٩ ـ مجموعة صلبان خشبية أثرية:**

بالدير أيضًا عدد كبير من الصلبان المعدنية والخشبية، من أبرزها ثلاثة صلبان خشبية منقوشة ومغطاة بطبقة من معدن الفضة ومرصعة بالأحجار الكريمة، ربما تنسب للقرنين (١٠-١٢هـ/ ١٦-١٨م)، ويُلاحظ أن لكل صليب قاعدة تتناسب مع طول وارتفاع كل صليب، وكل قاعدة تحتوى على العديد من الزخارف والنقوش الفنية.

**١٠ ـ فسيفساء التجلى:**

تقع هذه الفسيفساء الرائعة فى تجويف قبو هيكل الكنيسة الرئيسة بالدير، تنسب للقرن (٦م)، تتجمع هذه الفسيفساء فى قطر نصف الدائرة الأفقى، صورة (٦) أنبياء وفى وسطها صورة النبى داود وفى القطر العمودى من الفسيفساء صور الإثنى عشر رسولًا، وموضوع التجلى هو الضوء المبهر ومجد الله، جدير بالذكر أيضًا أن الكنيسة سميت قديمًا باسم (كنيسة التجلى للمسيح المخلص) وذلك بسبب قداسة المكان

وروحانيته، وكذلك بسبب شهرة هذه اللوحة الفنية، التى اتخذت فيما بعد اسم كنيسة القديسة كاترينا[1].

### العناصر الفنية الإسلامية بكنيسة الدير:

قبل أن اختتم هذا الجزء من الدراسة، رأيت أنه من المناسب أيضًا أن أشير إلى وجود بعض التأثيرات العربية والإسلامية داخل كنيسة الدير، وهى واضحة وبارزة منها تأثير عربى وإسلامى واضح فى زخارف الأبواب الخشبية وفى عقدين توأمين بالجدار الأيسر من مصلى (سان جاك)، وكذلك فى شمعدانين من الطراز الإسلامى محفوظين أيضًا فى (مصلى سان أتيتن). هذا بالإضافة لوجود عدد من بلاطات الفسيفساء بأرضية البازيليكا، وفى باب الكنيسة الذى يرجع تاريخه إلى العصر الفاطمى، وهى تشبه إلى حد كبير الزخارف المنفذة التى تكسو حشوات المنبر الفاطمى الموجودة[2].

أيضًا رغبت فى ذكر بعض هذه النفائس الفنية المسيحية فى الدير، ووجودها حتى اليوم يعد علامة بارزة على سماحة ولاة أمور المسلمين الذين حكموا مصر فى هذه الفترات الزمنية، فلم يسمحوا لأنفسهم بالاعتداء على حرمات هذا الدير أو سلب ممتلكاته الفنية أو طمس معالم فنونه من صلبان ولوحات وتحف وغيرها. مثلما فعل الغربيون عندما احتلوا الأندلس فأزالوا المعالم العربية والإسلامية فى عدد من المدن مثل قرطبة وغرناطة... وغيرها.


A S R

## الفصل الثالث

## الأوقاف الإسلامية ودورها فى تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ـ على رهبان دير سانت كاترين

للأوقاف الإسلامية دور كبير فى تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية والتى سبق أن ذكرت معلومات عنها فى الفصل الأول من هذه الدراسة، ولقد أشارت بعض قواميس اللغة العربية لمعانى الوقف، منها ما ذكره ابن منظور فى «لسان العرب»: وقف الأرض على المساكين ـ وفى الصحاح ـ وقفًا، حبسها، وقال أيضًا: الحبس جمع الحبيسن يقع على كل شيء وقفه صاحبه وقفًا محرمًا، لا يورث ولا يباع، ولا يوهب، من أرض ونخل وكرم ومستغل، يحبس أصله وقفًا مؤبدًا، وتسبل ثمرته تقربًا إلى الله عز وجل، وبعبارة أخرى يترك أصله ويجعل ثمره فى سبيل الخير[١].

وفى واقع الأمر إن نظام الوقف قديم، وقد عمل به زمن الرسول الكريم ﷺ[٢]. ولقد انتشرت الأوقاف الإسلامية فى العديد من الحواضر الإسلامية فى مصر والشام والعراق والحجاز واليمن وشمال إفريقيا والأندلس... وغيرها. فأراد الكثير من السلاطين والخلفاء والولاة والأمراء والخيرين من التجار رجالًا ونساءً على إقامة المؤسسات الدينية والخيرية كالمساجد والزوايا والخانقاوات والمدارس والكتاتيب والأسبلة والبيمارستانات وأحواض شرب الدواب... وغيرها من مظاهر الوقف الخيرى، جدير بالذكر أن مهمة صيانة هذه المنشآت والإنفاق عليها والوفاء بما تتطلبه من نفقات وأجور للعاملين فيها... وغيرها من أوجه النفقة والبذل، لم تكن من مهام الحكومات فى هذه

---

(١) الموسوعة المصرية: تاريخ مصر القديمة، ص ١٢١٢.

(٢) نفسه، ص ١٢١٢.

الفترة، ولذلك فإنها كانت مهددة بالتوقف عن أداء رسالتها الحضارية والخيرية البالغة، إن لم تكن تضمن لها موردًا ثابتًا للإنفاق عليها، ومن هنا كان حرص مؤسس هذا الوقف على أن يخصص ويوظف ناظرًا لهذا الوقف، لأجل إدارة شئونه من خلال تخصيص أراض أو عقارات أو مزارع أو أسواق تؤجر ثم تدر عائدًا يكفى لصيانة المنشأة المراد وقفها، وكذلك دفع المرتبات والمخصصات وسائر أوجه النفقة المقدرة للمنشأة حتى يستمر عطاؤها إلى ما شاء الله، ولقد حرص الواقف على تسجيل كل هذه الأمور فى حجج شرعية يشهد عليها الشهود، بحيث يبقى الأصل ثابتًا لا يجوز التصرف فيه مطلقًا بالبيع أو الرهن أو التوريث أو الهبة، وخلافه.

ويلاحظ أن الواقف يرصد فى هذه الحجة أو الوقفية الأسلوب الذى يرتضيه فى سير عمل المنشأة من حيث الإشراف عليها، وغالبًا ما ينص على ذكر مواصفات من يقوم بالنظر فى الوقف، وعدد العاملين بالمؤسسة الموقوفة من مدرسين وطلاب وخدم إن كانت المنشأة مدرسة أو كتابًا. وإن كانت المنشأة سبيلًا، خصص لها عمال وملاحظين مراقبين مثل المزملاتى والسقا وعامل التسبيل وعامل تنظيف البئر وغيرها من الأعمال، جدير بالذكر أيضًا أن الأوقاف اتخذت شكلًا وصيغة دينية بحتة كان أساسها الرغبة فى الحصول على الثواب والجزاء من الله تعالى عملًا بقوله تعالى فى سورة الإنسان: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[١].

وربما من أجل ذلك أصبح الإشراف على الأوقاف من اختصاص رجال القضاء فى الدولة الإسلامية، ونظرًا لانتشار الوقف وازدياده أصبح من الضرورة إنشاء هيئة عليا لتنظيمه والإشراف عليه، فأنشأ فى العصر الفاطمى ديوان خاص للنظر فى هذا النظام أطلق عليه (ديوان الأحباس)[٢] صارت مهمته الأساسية الإشراف على تنفيذ وصايا الواقف والشروط التى وضعها صاحب الوقف لضمان حسن التصرف فيه، وفى العصر الحديث أنشأت وزارت الأوقاف فى معظم الدول العربية والإسلامية لإدارة أوقاف المسلمين الخيرية من عقارات وأراض... وغيرها.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الإنسان، الآيات (٩-١٢).

(٢) د. صبحى الصالح: المرجع السابق، ص ٣١٢-٣١٨.

ونظرًا لتعدد الأوقاف التى أوقفها حكام وسلاطين وخلفاء وولاة أمور المسلمين فى العصور الوسطى على رهبان دير سانت كاترين بغرض تأمينهم وحمايتهم وتوفير سبل المعيشة والحياة الكريمة لهم ـ رأيت أنه من المناسب جدًا ذكر بعض الأخطار التى كان يتعرض لها الرهبان فى الدير وخارجه بشبه جزيرة سيناء، وهى الأخطار التى ربما حفزت الحكام والخلفاء والسلاطين على السعى لتلافيها وتأمين من يقوم بحراسة الرهبان والدفاع عنهم، إذا ما حدث لهم مكروه فى هذا المكان القفر الموحش فى الصحراء عملًا بقوله تعالى فى محكم التنزيل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[1].

**أولًا: شكاوى الرهبان:**

أوردت العديد من المصادر التاريخية والوثاق والأوقاف معلومات بالغة الأهمية عن الرهبان وشكاواهم من العربان والأعراب المقيمين حول الدير وإلى جواره. فعلى الرغم من أن العلاقة بين رهبان الدير والعربان كانت فى الأساس علاقة مصلحة ومنفعة متبادلة بين الطرفين، خاصة أن الاثنين كانا يعيشان فى منطقة صحراوية جرداء قاحلة، الأمر الذى حتم عليهم ضرورة إقامة علاقة تعاون ومصالح بين الطرفين، فقد كان الرهبان فى حاجة إلى البدو والعربان، وذلك لما يقومون به من أعمال وخدمات ضرورية للدير منها:

**أ ـ المنافع المشتركة بين رهبان الدير والبدو والعربان:**

١ ـ نقل ما يحتاج إليه الرهبان من مؤن وغلال وثمار وزيوت وملح وحطب ورعاية أغنام ومواشى... وغيرها من الخدمات على ظهور جمال العربان والبدو المنتشرين فى هذه المنطقة وذلك نظير أجر معين يتفق عليه فيما بينهم، وعلى ذلك فإن المصلحة كانت متبادلة بين الطرفين، خاصة أن العربان والبدو على خبرة ودراية كافية بفيافى الصحراء، فكانوا ينقلون بضائع الدير واحتياجاته من الموانئ إلى الدير، ومنها ميناء الطور وميناء بولاق... وغيرها من الموانئ التى كانت تصلها احتياجات الدير من طعام ومؤن وكسوة... وغيرها.

---

(١) القرآن الكريم، سورة التوبة، آية رقم (٦).

٢ ـ حراسة الدير ورهبانه وكذلك المحافظة عليه من قبل البدو والعربان، وذلك مقابل أجر نقدى أو عينى من دقيق وثمار وزيوت فى كل يوم أو كل شهر أو سنة، وقد اشتهرت عدة قبائل بمهمة حماية الدير ورهبانه، منهم قبائل الجبالية والصوالحة والعليقات... وغيرهم على أن يتقاسموا الأجر فيما بينهم وبمعرفة شيوخهم، كل ذلك فى نظير حراسة الدير وحماية رهبانه وأملاكه وممتلكاته الداخلية والخارجية المنتشرة فى الوديان ...وغيرها.

٣ـ قيام البدو والعربان بمرافقة وحراسة قوافل الدير والحجاج والزائرين القاصدين الدير، وكذلك المترددون عليه من المسلمين والنصارى فى الطرق والمسالك المؤدية إليه، وكانت طرقًا ومسالك موحشة فى مناطق قاحلة وصحراء جرداء، والتى كانت للبدو والعربان معرفة بكل تفاصيلها ودروبها فاستخدمهم الرهبان، خير استخدام، فى مرافقة القوافل والزوار القاصدين الدير.

٤ ـ اتفاق بين العربان والبدو والرهبان على حماية ممتلكات الدير المنتشرة خارجة من مزارع وبساتين وما تضمه من نخيل وأشجار زيتون وكروم بالجبل والأدوية مثل وادى الأربعين ووادى فاران وساحل الطور، شريطة أن تكون تلك الحراسة ليلًا ونهارًا، وكذلك الحفاظ على ثمار البساتين والمزارع من السرقة أو النهب، وخلافه.

٥ ـ استخدام بعض العربان والبدو فى أعمال خاصة داخل الدير مثل نقل المياه والبضائع وتخزينها وتنظيف بعض المساكن والغرف ونقل المخلفات لخارج الدير، وكذلك الاستعانة بهم فى أعمال الخدمات اليومية مثل إعداد الطعام ورعاية الدواب وغيرها من الأعمال الشاقة داخل الدير، والتى قد ترهق الرهبان نظرًا لمشقتها عليهم والتى تحتاج لجهد وعناء شديد.

**ب ـ الأضرار والاعتداءات التى كانت تقع على الدير ورهبانه من البدو والعربان:**

إلى جانب المنافع المشتركة بين الرهبان والبدو والعربان والتى ذكرت جانبًا منها سابقًا، لم تخل الوثائق التاريخية من ذكر بعض الأحداث المؤسفة التى حدثت بين الرهبان وبعض البدو والأعراب، وهى فى واقع الأمر أحداث دامية، غادرة قام بها بعض البدو بغرض الحصول على منفعة زائدة من رهبان الدير، وأحيانًا أخرى كانت عبارة عن طمع فى الخيرات والنعم الوفيرة التى كانت بحوزة الرهبان داخل الدير من

أطعمة وغلال وأغنام وكسوة وحُلى... وغيرها كثير، وكما هو معلوم فإن العديد من قبائل البدو والعربان كانوا يعيشون بالقرب من الدير منذ زمن طويل، وفى أيام القحط والمجاعة كانوا يغيرون على الدير بغرض الحصول على ما يسد رمقهم فى هذه الصحراء الجرداء، خاصة أن للدير ممتلكات وبساتين ومزارع تقع أغلبها فى وديان خصبة ولها ثمار ومحاصيل وفيرة مثل ثمار ومحاصيل وادى فاران والأربعين وساحل الطور... وغيرها، وكانت بهذه الوديان بساتين ومزارع تنتج العديد من ثمار الفواكه والتين والنخيل والكروم والزيتون والقمح... وغيرها. وفى أيام القحط والجدب والمجاعة التى كثيرًا ما كان يتعرض لها البدو والعربان، كانوا يقومون بالإغارة على هذه البساتين والمزارع فيقطفون ثمارها ويعتدون على حراسها ويأخذون خيرها ويسلبون محاصيلها الزراعية الوفيرة التى كانت مخصصة أصلًا لرهبان الدير.

وهناك العديد من القبائل العربية التى كانت تعيش حول الدير وبالقرب منه، والتى كانت تلحق بالدير بعض الأضرار مثل قبيلة (الجبالية)[1]، وقبيلة (أولاد سعيد) وقبيلة (الصوالحة) وقبيلة (العايد)، وعربان (أولاد على)، وجدير بالذكر أيضًا أن رهبان الدير كانوا يستخدمون بعض هذه القبائل حراسًا لهم ومنهم قبائل (العوارم والزهيرات والعليقات). وكذلك استخدموهم خفراء وحراسًا للقوافل التى كانت تأتى للدير[2].

وفى واقع الأمر إن أصل قبيلة (الجبالية) من الجنود الذين أمر الإمبراطور البيزنطى (جستنيان) وهو مؤسس الدير بإرسالهم هم وعائلاتهم من النساء والأطفال من مصر ومن بلاد اليونان من مقاطعتى الأفلاق والبوسنة ومن الولاش من سكان الدانوب ومن منطقة البحر الأسود (وكانوا حوالى ٢٠٠ أسرة) وذلك بغرض حراسة الدير والقيام على خدمته وخدمة الرهبان وحمايتهم وقد عرفوا باسم (عبيد أو صبيان الدير)[3].

وكان أفراد قبيلة الجبالية عمالًا فى الدير وكذلك فلاحون فى مزارعه وبساتينه

---

(١) ورد اسم هذه القبيلة ضمن نصوص إحدى وثائق الوقف على الدير إحداها تحمل رقم سجل (٩٦٠) بسجلات مكتبة الدير.

(٢) د. عبد اللطيف إبراهيم: المراجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

(٣) انظر فى ذلك كتاب: تاريخ بناء الدير، مخطوط محفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (٦٩٢)، ورقة (١-٢)، عدد أوراق المخطوط (٧)، مقاسها ٣٨ × ١٥,٥ سم.

وكان يطلق عليهم (الجبالية فلاحو الدير)، وقد اعتنق بعضهم الإسلام فى وقت مبكر[1].

**ومن أبرز صور الاعتداءات على الدير ورهباته ما يلى:**

أبرز العديد من الوثائق التاريخية جانبًا من هذه الصور بعضها محفوظ فى مكتبه الدير والبعض الآخر محفوظ فى العديد من المكتبات والمتاحف الأوربية والأمريكية، تعرض لها رهبان الدير من قبل البدو والعربان المقيمين خارج الدير وإلى جواره أو بالقرب منه، أو البدو والعربان الرحل الذى يرعون أغنامهم ويجوبون المنطقة بحثًا عن الطعام والغذاء والمؤن وغيرها.

ولقد تعددت صور هذه الاعتداءات وتنوعت ويمكن حصرها فى عدة نقاط هى على النحو التالى:

١ ـ الهجوم على الدير بقصد نهبه وسرقته، خاصة زمن القحط والجدب والمجاعة التى كان يتعرض لها البدو والعربان بين الحين والآخر خاصة أن عددًا كبيرًا من هؤلاء البدو كانوا على دراية بالمؤن والأطعمة التى كانت تنقل للدير عبر الموانئ، وبعضهم كان مكلفًا بحماية القوافل التجارية المحملة بالبضائع الخاصة برهبان الدير، فعمد بعض الأعراب والبدو على الإغارة إلى الدير لنهب محتوياته ومخزونه من أطعمة ومؤن وعتاد... وغيره.

٢ ـ الاعتداء على الرهبان المقيمين بالدير الذين كانوا يقاومون البدو والعربان عند إغارتهم على الدير، ولقد وصل الاعتداء أحيانًا إلى جرح وقتل بعض الرهبان وأحيانًا أخرى وردت فى الوثائق أن بعض البدو والعربان اعتدى على الرهبان بالضرب الذى يفضى إلى الموت.

٣ ـ الاعتداءات المتكررة على القوافل التجارية وزوار الدير بشتى فئاتهم ودياناتهم من مسلمين ونصارى، خاصة أن قوافلهم كانت محملة بالمؤن والعتاد والأطعمة المختلفة وكذلك الكسوة وغيرها من الخيرات التى كان البدو والعربان فى أمس الحاجة إليها.

---

(١) انظر فى ذلك المخطوطة المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٢٢٥٣)، ص ٢٤.

٤ ـ اعتداء البدو والعربان على الرهبان والتشويش عليهم والتشاجر معهم وإحداث جلبة وفتن وصراعات معه، الأمر الذى يؤدى إلى اضطراب الحياة داخل الدير، وعدم استقرار الرهبان وتخوفهم وإحداث قلق بينهم يؤدى إلى عدم شعورهم بالأمن والأمان، الأمر الذى قد يدفعهم إلى مغادرة الدير وعدم القيام بواجباتهم الروحية والدينية.

٥ ـ أيضًا من صور العدوان على الدير وحرمته اقتحام متكرر كان يقوم به البدو والعربان على أسوار وبوابات الدير، وأحيانًا حرق هذه الأسوار والأبواب بغرض تخويف الرهبان، فيدب الذعر فى قلوبهم، ويسلمون ما فى أيديهم للبدو والعربان للكف عن أذاهم والغدر بهم.

٦ ـ اقتحام البدو والعربان بخيولهم وجمالهم وحميرهم ودوابهم الدير، وذلك عند وصول القوافل والوفود الزائرة للدير، ومن ثم الاعتداء على الوفود والقوافل وسرقة وسلب ونهب ما لديهم من مؤن وأطعمة وعتاد، وخلافه وأحيانًا كانوا يقتحمون أسوار الدير ويسلبون ما تصل إليه أيديهم من أطعمة وحبوب وغلال وغيره.

٧ ـ تعرض البدو والعربان لخدَّام الجامع داخل الدير، وكذلك للرهبان ومن ثم سرقة ما بين أيديهم من أطعمة، من زيوت وعسل وتمر ودقيق وكسوة... وغيرها.

٨ ـ تفتق ذهن بعض البدو والعربان عن حيله ماكرة، تتمثل فى جمع أبنائهم ونسائهم ومشايخهم وأطفالهم، وخارج الدير وتم يحدثون أصواتًا بغرض لفت أنظار الرهبان وطلب الإحسان منهم والطعام من (قمح وطبيخ وكسوة وغيرها). وأحيانًا كانوا يطلبون أموالًا ونقودًا وكسوة ... وغيرها.

٩ ـ اقتحام بعض البدو والعربان بساتين ومزارع الدير، ومن ثم الاستيلاء على محاصيلها الزراعية من حبوب وقمح وغلال وفواكه وكروم وسائر أصناف الأطعمة التى كانت تنتجها هذه المزارع والبساتين، والتى كانت مخصصة أصلًا لرهبان الدير وزواره والوافدين إليه.

١٠ ـ تعمد بعض البدو والعربان عدم دفع أجرة أملاك أوقاف الدير، والتى كانت تؤجر لهؤلاء البدو فى مصر والشام، منها حواصل لخزن البهار فى ميناء الطور، وأراض زراعية بالشرقية، ومنها أيضًا بيوت للسكان فى مدن عديدة مثل مدن الرمالة

وغزة ودمياط والإسكندرية والقاهرة، فكانوا يسكنونها ولا يسددون أجرتها للدير ولرهبانه أو للقائمين على هذه الأوقاف[1].

١١ ـ أيضًا تعمد بعض البدو والعربان مطالبة الرهبان بضرائب ورسوم الأعشار على البضائع الواصلة للدير من الموانئ والثغور على الرغم من صدور إعفاءات من قبل السلاطين والخلفاء على هذه البضائع، خاصة أنها تتعلق بالرهبان ولها إعفاءات من قبل الدولة.

١٢ ـ أحيانًا كثيرة عمد بعض البدو والعربان الحصول على أجرة (الحراسة) المتفق عليها بين رهبان الدير وبعض البدو مقدمًا دون القيام بدورهم وأعمالهم المتفق عليها فيما بينهم، فلم يؤدوا العمل ولكنهم يطلبون الأجرة مُقدمًا وفى حال عدم دفعها يعتدى على الرهبان والقساوسة المقيمين بالدير.

وفى واقع الأمر إن مثل هذه الاعتداءات المتكررة من قِبل البدو والعربان على الدير ورهبانه، هى التى حفزت وساعدت عددًا من أساقفة ورهبان ورؤساء الدير فى الوصول إلى السلاطين والخلفاء والولاة فى الدولة الإسلامية لبسط حمايتهم ورعايتهم على الدير ورهبانه، وربما هذه الاستغاثات والشكاوى والتظلمات هى التى دفعت حكام وولاة أمور المسلمين فى العصور الوسطى إلى توجيه العناية بهذا الدير ورهبانه فأوقفوا الأوقاف الخاصة بهم بغرض حمايتهم ورعايتهم وخلافه.

**ثانيًا: نماذج من شكاوى والتماسات الرهبان فى نصوص بعض الأوقاف الإسلامية:**

تعددت شكاوى والتماسات الرهبان لخلفاء وسلاطين وولاة أمور الدولة الإسلامية فى العصور الوسطى، وبالتحديد زمن الخلافة الفاطمية ٣٥٨-٥٦٧ هـ/ ٩٦٩-١١٧١م، ثم زمن الحكم الأيوبى ٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م، وزمن دولة المماليك البحرية ٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م، ثم زمن دولة المماليك الجراكسة ٧٨٤-٩٢٣ هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م.

وهناك العشرات من وثائق الأوقاف الإسلامية التى تنسب لهذه العهود من قِبل

خلفاء وسلاطين وأمراء هذه الدول التى هيمنت سيطرتها على العديد من بلاد المسلمين فى مصر والشام والحجاز واليمن وشمال إفريقيا وغيرها.

وفى واقع الأمر إن شكاوى والتماسات الرهبان المرفوعة لولاة أمور المسلمين لم تكن جميعها شكاوى تتعلق باعتداءات وبطش البدو والعربان فحسب، بل إن هناك شكاوى والتماسات أخرى قُدمت لولاة أمور المسلمين تطلب منهم النظر فى قسوة وعدم إنصاف بعض الحكام والنظّار والنواب والمباشرين والكشاف والولاة والعمال فى المدن والثغور الإسلامية، الذين لم ينصفوا رهبان الدير فعاملوهم بقسوة.

ومن هذه الشكاوى طلب مقدم ومرفوعٌ من رهبان الدير ومعهم الأسقف المدعو (نيفرى) للخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله (٤٩٥ـ٥٢٥هـ / ١١٠١ ـ ١١٣١م) ـ طالبين منه إصدار الأمر برعايتهم بهذه الصيغة كما وردت فى منشور الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله.

«وسألوا فى تجديد منشور برعايتهم وصيانتهم وإجرايهم فى بسط العدل عليهم على رسمهم وعادتهم لتكون سحب النعم عليهم لا تنقشع وحبل الإحسان لا ينعدم ولا ينقطع»[١].

وفى وثيقة أخرى نقرأ شكاوى مقدمة من أسقف طور سيناء مرفوعة للخليفة الفاطمى الفائز بنصر الله (٥٤٩ ـ ٥٥٥هـ/ ١١٥٤ ـ ١١٦٠م) والأسقف يُدعى (أنطونة) يشتكى الولاة المسلمين الذين لا يعدلون مع الرهبان ويتعسفون معهم فى جمع الجزية والخِراج... نقرأ فى هذا المنشور النص التالى: «... وأنهى إلى حضرتنا استضرار أنطونة أسقف طور سينا بما يقصده به الولاة من الإجحاف ويعتمدونه به من الحيف والاعتساف ويلتمسونه من جهته من رسم أحدثوه وهو عشرة دنانير وبساطان... أنكرنا ذلك على معتمديه وذممناه من قصد قاصديه وخرج أمرنا بإبداع هذا المنشور الآمر بإزالة هذه الرسم وتعفيته والمنع من التماسه من هذا الأسقف والحذر من تناوله من جهته...»[٢].

---

(١) انظر فى ذلك منشور الخليفة الفاطمى (الآمر بأحكام الله)، وهو محفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (٦)م، السطور (١٠-١٢).

(٢) انظر فى ذلك النص المنشور كاملًا والخاص بالخليفة الفاطمى الفائز بالله والمحفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (١٠)، السطور (٢٠-٢٥) والسطور (٢٨-٣٢).

ومن ذلك أيضًا نقرأ مظلمة أخرى وردت فى وثيقة وقفية خاصة بالسلطان المملوكى الجركسى قنصوة الغورى ٩٠٦ -٩٢٢ هـ/ ١٥٠١ ـ ١٥١٦م ـ ذكرها بعض الرهبان للسلطان، تتعلق باعتداء بطرك النصارى بالقاهرة ومحاولته الإقامة فى وقف لرهبان الدير بالقاهرة، وهى شكوى لا تتعلق بالبدو والعربان ولكنها تتعلق برجل دين نصرانى، ولكن ليس على الملة نفسها، نقرأ هذه العبارة فى الوثيقة (المحفوظة فى مكتبة الدير برقم سجل ٥٨، السطور ٢١ ـ ٢٣)، ونصها هكذا: «... أن بطرك النصارى بالقاهرة يريد النزول فى وقف رهبان الدير، وأن يتولى النظر على بيوتهم الموقوفة على الدير بمدينة القاهرة، مع أنه ليس لهذا البطرك عليهم حكم، ولا نزول فى وقفهم، وقد أضر ذلك بحالهم...».

جدير بالذكر أيضًا أن هناك العديد من الشكاوى والتظلمات المرفوعة من أساقفة ورهبان دير سانت كاترين، ليست جميعها تتعلق بمخالفات واعتداءات وبطش البدو والعربان الذين يعيشون بالقرب أو حول الدير.

ولكن على وجه العموم فإن أغلب هذه الشكاوى وتلك الالتماسات كان متعلقًا بسلوك وأفعال البدو والعربان تجاه الدير ورهبانه على الرغم من احتياج هؤلاء البدو والعربان للدير ولإقامة الرهبان به وزواره وقاصديه، وذلك طلبًا للخدمات والمنفعة التى كانت تقدم لهم وللأجرة التى كانوا يتقاضونها منهم، وكما أشرت من قبل كانوا فى أمس الحاجة لخدمات الدير، حيث نعموا بالخدمة فيه نظير أجر معين متفق عليه كذلك مرافقتهم للقوافل التجارية الوافدة للدير عبر الموانئ البحرية مثل: ميناء الطور وميناء بولاق وفى موانئ أخرى فى فلسطين والشام.. وغيرها.وكانوا كما أشرت من قبل يتراجعون عن شروطهم وطلباتهم إذا ما أقدم الرهبان على غلق الدير والعودة إلى القاهرة، أو إلى بلدانهم فى الشام وغيرها. فغلق الدير كان بمثابة غلق مصدر رزق ومعيشة وحياة لهم.

لذلك حرصوا على بقاء الدير واستمرا فى العمل به، بل الترحيب بزواره وقاصديه نظرًا للمنفعة والمصلحة التى كانوا يحصلون عليها من هؤلاء الزوار والقاصدين نتيجة مرافقتهم ووصولهم للدير.

بين الحين والآخر، خاصة زمن القحط والجدب، كان هؤلاء البدو والعربان يعيدون الكرة فيغيرون على الدير وأملاكه، ويهددون الدير ورهبانه، الأمر الذى حفز بعض هؤلاء الرهبان والأساقفة على رفع شكاواهم وتظلماتهم لولاة أمور المسلمين للحد من بطش هؤلاء البدو والعربان، وعلى سبيل الإجمال يمكن تحديد نقاط محددة كانت تتكرر فى معظم تظلمات وشكاوى والتماسات الرهبان لولاة أمور المسلمين الهدف منها استدرار عطف هؤلاء الولاة والحكام تجاه الرهبان وأساقفتهم، وأيضًا استشهادهم بالعهود النبوية التى بأيديهم والتى تحث المسلمين على الإحسان إليهم والرفق بهم، ويمكن تحديد هذه النقاط فى العبارات التالية:

أنهم (الرهبان) صعاليك وفقراء ومساكين وضعفاء، وأن أكثرهم مشايخ عميان وعاجزون وكسحان ومنقطعون بالدير.

أنهم (الرهبان) يقومون بخدمة ورعاية إطعام الزوار والوافدين للدير، وكذلك تقدم الخدمة اللازمة للحجاج المسلمين العابرين سيناء للأراضى المقدسة، والذين كان بعضهم يذهب للدير لتلقى الخدمات فى فيافى هذه الصحراء.

أنهم (الرهبان) كانت لهم أحواش وحواصل ببندر الطور، كان يخزن فيها (بهار الذخيرة الخاصة بالدولة) أى أنهم يقدمون خدمات للدولة من خلال الأحواش والأوقاف التى كانت مخصصة للدير، فكانت تؤجر للدولة لتخزين هذه الذخيرة[1].

استند بعض الرهبان فى تظلماتهم وشكاواهم لولاة أمور المسلمين إلى العهود النبوية التى كانت بأيديهم والتى تحث المسلمين على العناية بالرهبان والمقيمين بالدير من زوار وقاصدين.

قيام بعض الرهبان والذهاب بأنفسهم لمقر حكم السلاطين والخلفاء والولاة فى القاهرة، وتقديم شكاواهم وتظلماتهم بأيديهم، الأمر الذى يجعل من الشكوى والتظلم محل عناية ورعاية المسئول، فأحيانًا أخرى كانت ترسل هذه الشكاوى والتظلمات مكتوبة فى شكل رسائل كانت تقدم إلى الخليفة أو السلطان، وذلك عن طريق الحكام فى بندر الطور... وغيره. ومنها ما ورد فى نص وقفية منسوبة للسلطان

محمد بن قلاوون ٦٩٣ ـ ٦٩٤هـ / ١٢٩٤-١٢٩٥م. نقرأ فيها هذه العبارة: «... قصة رفعت إلينا بدار العدل الريف باسم النصارى أنهوا فيها...»[١]، وفى وقفية أخرى تنسب للسلطان المملوكى الجركسى سيف الدين أبى سعيد جقمق ٨٤٢- ٨٥٧هـ /١٤٣٨-١٤٥٣م وردت فيها عبارة تشير إلى قيام أسقف ورئيس رهبان الدير ويدعى (ميخائيل) بتقديم المظلمة والشكوى للسلطان ـ نقرأ فيها هذه العبارة: «... إن قصة رفعت لأبوابنا الشريفة باسم ميخائيل الرئيس والرهبان بدير طور سيناء أنهوا فيها...»[٢].

وهناك مظلمة أخرى رفعت للسلطان قايتباى ٨٧٢-٩٠١ هـ/ ١٤٦٨ ـ ١٤٩٦م، تقدم بها أسقف الدير ويدعى (عازر) ومعه مجموعة من الرهبان ورئيس الدير (مقارى)، وردت فى هذه المظلمة عبارة نصها هكذا كما وردت فى وقفية السلطان قايتباى: «... قصة رفعت بأبوابنا الشريفة باسم عازر الأسقف ورفاقه النصارى وقارى رئيس دير طور سيناء أنهوا فيها أنهم رهبان وشيوخ...»[٣].

أيضًا هناك وقفية أخرى تنسب للسلطان المملوكى الجركسى الأشرف طومان باى ٩٢٢-٩٢٣ هـ/ ١٥١٦ - ١٥١٧م ـ والتى وردت فيها عبارة تشير إلى قيام بعض الرهبان بتقديم مظلمة للسلطان، نقرأ فيها هذه العبارة: «... إن قصة رفعت لدى حضرتنا الشريفة باسم الرهبان المقيمين بدير طور سيناء أنهوا فيها...»[٤].

ونظرًا لأهمية استعراض شكاوى وتظلمات بعض الأساقفة ورهبان الدير ـ رأيت أنه من الضرورة ذكر نماذج منها خاصة زمن حكام وسلاطين الأيوبيين والمماليك، وذلك للوقوف على الدوافع التى دفعت البدو والعربان للاعتداء على الدير ورهبانه،

---

(١) انظر فى ذلك وقفية السلطان الناصر محمد بن قلاوون والمحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٣٤)، السطور (١٠-١٢).

(٢) انظر فى ذلك وقفية السلطان المملوكى الجركسى (أبو سعيد جقمق) والمحفوظة بالدير برقم (٥٠)، السطور (١٢-١٤).

(٣) انظر فى ذلك وقفية السلطان قايتباى، المحفوظة بمكتبة الدير برقم (٦٠)، السطور (١٤-١٦).

(٤) انظر فى ذلك وقفية السلطان الأشرف طومان باى والمحفوظة بمكتبة الدير برقم (١٠٠)، السطران (١٢-١٣).

وكذلك لمعرفة الصيغ التى كانت متبعة فى هذا الوقف لتقديم هذه الشكاوى والتظلمات، ومدى ما تمتع به هؤلاء الرهبان والأساقفة من طرق أبواب السلاطين والخلفاء، وعدم غلق الأبواب فى وجوههم، والسماح لهم بتقديم هذه التظلمات والشكاوى، بل النظر فيها من قبل السلاطين والخلفاء أو من ينوبون عنهم من وزراء وعمال وخلافه، ولقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن الداودار الكبير فى أواخر عهد المماليك الجراكسة فى مصر كان مسئولًا عن دير سانت كاترين ورهبانه وحمايته، ولذلك فإنهم كانوا يرفعون إليه شكاواهم وتظلماتهم، فيقوم الداودار الكبير بعرض بعض هذه الشكاوى على السلطان بدار العدل الريف للنظر فيها[1]. وفى بعض الأحيان كان السلطان المملوكى يتخفف من هذه الأعباء الداخلية ويكلف بها الدوادار الكبير الذى كان يقوم بدوره بإصدار المراسيم للرهبان. ومنها على سبيل المثال مرسوم صادر عن الأمير طومان باى الدوادار، وردت فيه هذه العبارة: «... نوضح لعلمهم أن من المشمول بنظرنا وفى حمايتنا الرهبان بدير طور سينا وقد رفعوا للمواقف الشريف قصة أنهلوا فيها...»[2] ونظرًا لأهمية صيغ هذه الشكاوى والتظلمات نذكر منها الآتى:

**أ ـ بعض الشكاوى والتظلمات زمن الأيوبيين:**

حفظت لنا مكتبة دير سانت كاترين عددًا كبيرًا من الوثائق الأيوبية التى كان بعضها متعلقًا بسلاطين آل أيوب تجاه رهبان الدير، منها منشور خاص بالنظر فى شكوى وتظلم مقدم من رهبان الدير وأساقفته «من أن عربان العايد قصدوا مضرتهم أو مطالبتهم (الرهبان) بإزالة الاعتراض فى الثلاثة فدادين التى بأيديهم، وطالبوا بأن توفر زراعتها عليهم، وأن يتمكنوا من التصرف فيها، ألا يتعرض لها أحد من العربان ولا يؤذيهم فيها[3]، وفى منشور آخر ينسب أيضًا للعهد نفسه نقرأ فيه طلب الأسقف

---

(١) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ٢٠٦ – ٢٠٩.

(٢) انظر فى ذلك الوثيقة المنسوبة للأمير طومان باى الدوادار والمحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٩٧)، السطور (٧-٨).

(٣) انظر فى ذلك المرسوم الأيوبى، المحفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (١٣) السطران (١٤-١٥)، والسطران (٢٨-٢٩).

والرهبان: (كف كل من يتطرق إليهم بآية أضرار، وبإغفائهم من طلب المشاطرة، وإحداث رسم لم تجر به عادة أو تكليف شطط أو مغرم..)[1].

**ب ـ بعض الشكاوى والتظلمات زمن المماليك:**

هناك العشرات من الوثائق والأوقاف الخيرية الصادرة عن سلاطين المماليك البحرية والجراكسة، والتى وردت ضمن نصوصها معلومات بالغة الأهمية عن تظلمات وشكاوى رهبان وأساقفة الدير، وردت فيها معلومات عن ألوان وصنوف الاضطهاد والظلم الذى حاق بهؤلاء الرهبان من قِبل البدو والعربان، نذكر منها بعض هذه النصوص نظرًا لكثرتها:

**١ ـ مرسوم يُنسب للسلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٦٩٤هـ/ ١٢٩٤ - ١٢٩٥م).**

وردت فيه هذه العبارة: «... أن لهم أنام ترعى مع العرب وأن المشدين يتقون عليهم ويطالبوهم بشاه المرعى...»[2].

**٢ ـ مرسوم منسوب للسلطان برقوق من أبرز سلاطين المماليك الجراكسة:**

وردت فيه عبارة تشير إلى اضطهاد الرهبان من قبل البدو والعربان واختطاف أقواتهم وضربهم وأذيتهم، وغيرها، بهذه الصيغة «... ويضربون بوابينهم والقائمين على أشغال ديرهم والهجوم عليهم فى الدير واختطاف أقواتهم كرهًا بالتهديد والضرب وقد هج أكثر الرهبان وهم ببرية شاسعة وليس لهم يد ولا لسان...»[3].

**٣ ـ مرسوم منسوب للسلطان المملوكى الجركسى خشقدم ٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦١-١٤٦٧م.**

هناك العديد من الوثائق والأوقاف المملوكية التى تكشف عن ألوان وصنوف

---

(١) انظر فى ذلك المرسوم الأيوبى المحفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (١٥) السطور (١٣-١٦).

(٢) انظر فى ذلك مرسوم السلطان محمد بن قلاوون ـ المحفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (٣٤)، السطور (١٢-١٤)، السطور (١٧-١٩).

(٣) انظر فى ذلك مرسوم السلطان برقوق، المحفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (٢٩) السطور (١٧-٢٣)، ومرسوم آخر ينسب أيضا للسلطان نفسه برقم سجل (٤٣) بمكتبة الدير، السطور (١٧-٢٣).

الاعتداءات التى تعرض لها الرهبان فى ديرهم وكذلك مزارعهم وبساتينهم، وغيرها. ورد فى بعض هذه الوثائق العبارات التالية: «... أن جماعة الرماكين والنجابة يشوشون على الرهبان ويتعرضون لهم، ويأخذون منهم زيتًا وعسلًا ودقيقًا وتمرًا وشمعًا ويكلفونهم ما لا قدره أو طاقة لهم عليه من الأمور، أو يقطعون من ثمرات النخيل والكروم والزروع بغير طريق أو مستند شرعى وباليد العادية، وقد أضر ذلك بحالهم...»[1].

**٤ ـ مرسوم منسوب للسلطان المملوكى الجركسى قايتباى يتعلق باعتداء البدو والعربان على الراهب المتولى مخازن الدير:**

أ ـ ورد ضمن نصوص هذا المرسوم النادر معلومات مهمة تتعلق بحادثة معينة، وهى اعتداء قبائل بدوية على راهب يتولى مخازن الدير بهذه الصيغة: «... إن جماعة من أولاد على وبنى سليمان تسلطوا على موسى الراهب المتولى أمور المخازن والحواصل الموقوفة على الدير فى بندر الطور، وطلبوا شيئًا لم تكن به عادة وضربوه فشجوا رأسه وجرحوه جراحات كثيرة ولم يمكنوه من الأشغال الملتزم بها...»[2].

**ب ـ مرسوم آخر منسوب لعهد السلطان قايتباى يتعلق بالضرر الذى لحق بالرهبان من قبل جماعة أولاد على:**

ترجع أهمية هذا المرسوم النادر إلى أنه يكشف معلومات عن هروب الرهبان من الدير وخروجهم منه إلى جبل الطور ثم إلى بندر الطور... خوفًا من بطش وغدر البدو. نقرأ فيه هذه العبارات: «... إن جماعة أولاد على قد تسلطوا عليهم بالأذية والضرر والإساءة والضرب والإهانة والنهب، وكلفوهم ما لا طاقة لهم به بيدهم العادية... ومن جورهم تشتت غالب الرهبان إلى الطور ثم بعد ذلك نزلوا عليهم ببندر الطور وضربوهم ونهبوهم مرة ثانية مما أضر بحالهم...»[3].

---

(١) انظر فى ذلك مرسوم السلطان المملوكى (خشقدم) ٨٦٥-٨٧٢هـ / ١٤٦١ ـ ١٤٦٧م والمحفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (٥٤)، السطران (٨-٩).

(٢) انظر فى ذلك مرسوم السلطان قايتباى المحفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (٦٧)، السطور (١١-١٣).

(٣) انظر فى ذلك مرسوم السلطان قايتباى المحفوظ فى مكتبة الدير برقم سجل (٧٦)، السطور (١٤-١٨).

**٥ ـ وقفية للسلطان المملوكى الجركسى قنصوة الغورى ٩٠٦-٩٢٢ هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م ـ تتعلق بالاعتداء على أوقاف الدير فى مدينة غزة:**

أ ـ هذه الوقفية النادرة تكشف معلومات مهمة عن اقتحام بعض الأشخاص المنازل الموقوفة للدير بمدينة غزة وعدم دفع أجرة الأوقاف، بل تخريبها وإلحاق الضرر بها. نقرأ فى هذه الوثيقة العبارة التالية: «.. إن هناك من ينزل فى بيوتهم الموقوفة على ديرهم بمدينة غزة المحروسة ويسكنون بها ويخربون الوقف وقد ضرهم ذلك، بالإضافة إلى عدم دفع الأجرة لهم...»[١].

ب ـ أيضًا من وثائق وأوقاف السلطان قنصوة الغورى، هذه الوثيقة النادرة والمتعلقة باعتداء البدو والعربان على الدير ورهبانه وسرقة ما فيه والاعتداء على الرهبان حتى قتلوا واحدًا منهم، ولقد ورد بالوثيقة اسم القاتل ويدعى (محمد بن عبد القادر) ونقرأ فى نص الوثيقة هذه العبارات: «... عن جماعة العربان بجبل الطور نهبوا الدير بقصد الإضرار بهم، وقد كتبت عليهم قسائم بأن يعيدوا ما نهبوه فلم يعيدوا ذلك، ولما طالبهم رئيس الدير بذلك اعتدى عليه شخص يسمى محمد بن عبد القادر وأخوته، وقتلوه ونهبوا الدير أيضًا، ولما طلب إلى شيخ عربان العايد الحفاظ على الدير ورهبانه وإحضار العربان المذكورين إلى القاهرة المحروسة لينظر فى أمرهم، لم يتمكن من إحضارهم وكان نتيجة لذلك زيادة تسلط العربان على الرهبان مما أضر بحالهم ضررًا بليغًا...»[٢].

ج ـ وفى وقفية أخرى تنسب أيضًا للسلطان قنصوه الغورى تتعلق بعدم إلحاق الضرر بهم أو أيتهم وإعفائهم من الضرائب والرسوم وغيرها. نقرأ فيها هذه العبارات: «... ولاة الأمور فى المدن والثغور للأمير السيفى طومان باى الدوادار الكبير، ومنها إلزامهم بدفع الموجب والخفاره وغير ذلك مع أنه قد جرت عادتهم ألا يلزموا الرهبان والنصارى والنصرانيات اليعاقبة والملكيين بموجب ولا خفر ولا بظلم عند دخولهم قمامة القدس الشريف أسوة برهبان الكرج والحبوش، ولا عند دخولهم ميناء يافا ولا

---

(١) انظر فى ذلك وقفية السلطان قنصوة الغورى المحفوظة بمكبة الدير برقم سجل (٨٢) ـ السطران (٩-١٠).

(٢) انظر فى ذلك أيضًا وقفية السلطان قنصوة الغورى المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٩٥) السطور (١٥-١٩)، السطور (٢٤-٢٧).

عند خروجهم منه، ولا فى مدينة غزة ورملة لد، الواردين فى البر والبحر وكل ناحي
لزيارة بيت المقدس، ولا يحدث عليهم حادث، ومنع من يتعرض لهم بسبب ذلك
أو فى كمنشيرهم، وهى تربتهم التى يدفنون فيها، ومسامحة الرهبان والراهبات مر
طائفة الروم والقبط من الموجب بالأعمال المذكورة على جارى عادتهم المستمر
الحكم...»[1].

**٦ ـ وثيقة تتعلق بوقف للسلطان المملوكى الجركسى فرج بن برقوق ٨ ـ ٨٠٨ ه (١٣٩٩ ـ ١٤٠٥م) تتعلق باعتداء البدو والعربان على زوار الدير:**

هذه الوثيقة النادرة تحتوى على معلومات نادرة تتعلق باعتداء البدو والعربان علي زوار الدير وقاصديه، الأمر الذى أدى بالرهبان إلى تقديم هذه الشكاوى للسلاطير وأولى الأمر فى الدولة لبسط الحماية على الدير وزواره، خاصة أن هؤلاء الزوا والوافدين على الدير يأتون بغرض التبرك وتقديم الخدمات والمعونة والدعم المادي والعينى لرهبان الدير.

فنقرأ هذه العبارة فى الوثيقة: «... من التعرض لهم ولقصَّادهم المقيمير والمسافرين فى الطرقات من قطيا وصيدا وبيروت ويافا واللاذقية... وغيرها مر المدن والثغور الإسلامية...»[2].

**٧ ـ وثيقة نادرة تتعلق بشكوى الرهبان من اقتحام العربان للدير بحجة أداء الصلا بمسجد الدير ثم الاعتداء على الرهبان والوثيقة تنسب لعهد السلطان خشقدم.**

هذه الوثيقة النادرة التى تُنسب للسلطان الملوكى الجركسى خشقد ٨٦٥ ـ ٨٧٢ هـ/ ١٤٦١-١٤٦٧م ترجع أهميتها لكونها تكشف معلومات عن بعض حجج البدو والعربان عند رغبتهم فى دخول الدير واقتحامه التحجج بأداء الصلاة في المسجد الفاطمى المقام داخل الدير.

ولقد رغب الرهبان فى تسجيل هذه الواقعة فى شكاواهم للسلاطين لتدوينه فى أوقافهم الخيرية. ونقرأ فى إحداها هذه العبارة: «... أن العربان كانوا يتحججو

---

(١) انظر فى ذلك وقفية السلطان قنصوة الغورى المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٨٦) السطران (٢٣ ـ ٢٤).

(٢) انظر فى ذلك وقفية السلطان (فرج بن برقوق) بمكتبة الدير برقم سجل (٤٦)، السطور (١١-١٥).

أحيانًا بالصلاة فى الجامع الكائن داخل أسوار الدير لأجل أذية الرهبان والتشويش عليهم وإخراجهم وقصد ذبحهم علنًا وأخذ ما عندهم من أقوات...»[١].

**٨ ـ وثيقة تتعلق بطلب الرهبان إعفاءهم من الضرائب والرسوم المفروضة على أوقافهم وممتلكاتهم تُنسب للسلطان سيف الدين قطز ٦٥٧-٦٥٨هـ / ١٢٥٩-١٢٦٠م:**

تكشف هذه الوثيقة عن طلب الرهبان من السلاطين وأولى الأمر فى الدولة المملوكية إعفاءهم من الضرائب والرسوم التى كانت تفرض على أموالهم ومزارعهم وأوقافهم وسائر ممتلكاتهم... وغيرها.

وهى فى واقع الأمر وثائق وأوقاف عديدة تُنسب للعديد من سلاطين المماليك، منها وثيقة تنسب للسلطان المملوكى سيف الدين قطز. نقرأ فيها هذه العبارة: «... إعفاؤهم من الحقوق الديوانية والأحكار والمقاسمات والأعشار على الأصناف والبضائع والنذور والهدايا الواردة إليهم من صدقات النصارى أو ريع أوقافهم، وإعفاؤهم من المغارم والكلف التى يفرضها عليهم ولاة الأمور والكشاف فى بعض المدن والثغور الإسلامية فى مصر والشام...»[٢].

**٩ ـ مرسوم خاص بالأمير طومان باى يتعلق بشكوى الرهبان بعدم قيام مستأجرى أوقافهم بسداد قيمة إيجارات العقارات:**

هذا المرسوم النادر، صدر عن كبار الأمراء الجراكسة من مقدمى الألوف ممن شغلوا وظيفة الدوادارية الكبرى (أواخر العصر المملوكى) بخصوص عدم سداد إيجار العقارات والأراضى الزراعية الموقوفة على الدير من قبل بعض المزارعين. نقرأ فى إحداها هذه العبارة: «... المزارعون (المستأجرون) أراضى وقف الدير بناحية طحا المرج بالشرقية وأن لهم مدة عشر سنين بعد موت أغريغوريوس البطرك المتحدث على الوقف المذكور ولم يقوموا بسداد ما عليهم من الخراج والأجرة...»[٣].

---

(١) انظر فى ذلك وقفية السلطان (خشقدم) المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٢٧)، السطور (١٢-١٧).

(٢) انظر فى ذلك وقفية السلطان (قطز) المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (١٧) السطور (٤٢-٤٥).

(٣) انظر فى ذلك وقفية الأمير طومان باى الدوادار الكبير المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٨٤) السطور (١٣-١٥).

**١٠ ـ وثيقة نادرة تتعلق بقتل قسيس من قساوسة الدير تنسب لعهد الأمير طومان باى ٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م:**

حملت هذه الوثيقة معلومات عن قيام عربان أولاد سعيد الساكنين جبل طور سيناء بقتل قسيس يدعى (مقارى) وكذلك حرقهم باب الدير وسرقة الأموال والأمتعة. هذا بالإضافة لقطع أشجار الدير. ونقرأ فى الوثيقة هذه العبارة: «... إن عربان أولاد سعيد القاطنين بجبل طور سيناء قتلوا قسيسًا يُسمى مقارى وحرقوا باب ديرهم ونهبوا أمتعته وقطعوا أشجارهم..»(١).


A S R

## الفصل الرابع
## أوقاف العصور الوسطى على الدير ورهبانه مقصد من مقاصد شريعة الإسلام

المتأمل فى سيرة الخلفاء والسلاطين والأمراء فى العصور الوسطى تجاه أهل الذمة يلاحظ أنهم سلكوا مسلكًا مختلفًا عن تلك النظم التى سادت أوربا والغرب فى الفترة الزمنية نفسها، ففى الوقت الذى اجتاحت فيه العالم العربى حملات عسكرية أطلق عليها «الحروب الصليبية»، والتى قام بها مسيحيو الغرب فى العصور الوسطى، وذلك بهدف الاستيلاء على الأراضى المقدسة، واستمرت قرابة قرنين من الزمان ١٠٩٦-١٢٩١م، يُلاحظ أنها لم تكن حملة واحدة، بل ثمانى حملات مدمرة، سبقتها حملة شعبية بدئت سنة ١٠٩٥م بقيادة «بطرس الناسك»، والتى قضى عليها الأتراك فى منطقة البلقان، ثم لم تلبث أن بدأت الحملة الصليبية الأولى سنة ١٠٩٦م واستمرت لعام ١٠٩٩م، والتى دعا إليها البابا «أوربانس الثانى» والتى تمكنت من السيطرة على بيت المقدس فى فلسطين المحتلة، ثم تلتها سبع حملات أخرى، انتهت بالحملة التاسعة التى بدأت سنة ١٢٧٠م بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، وكانت حملة فاشلة على تونس وانتهت بموت الملك لويس[١].

ولقد عاشت هذه الحملات فسادًا فى الأراضى العربية التى تم اجتياحها، وخلفت وراءها العديد من المآسى التى ستظل فى ذاكرة التاريخ.

وعلى العكس من ذلك تمامًا، فإن العديد من خلفاء وسلاطين وأمراء وملوك العالم الإسلامى، سلكوا مسلكًا مغايرًا لمسلك قادة وملوك أوربا الذين قادوا الحملات الصليبية، فتعامل هؤلاء الخلفاء والسلاطين مع أهل الذمة تعاملًا راقيًا

---

(١) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق، ص ٣٤٨ «الأعلام».

وإنسانيًا مستمدًا من تعاليم وشريعة الدين الإسلامى الحنيف، المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ.

ولعل الدليل على ذلك تلك العشرات من الوثائق التاريخية النادرة، وهى عبارة عن أوقاف خيرية مازالت محفوظة فى مكتبة الدير حتى يومنا هذا، وهى تعد شاهدًا حيًّا على عظمة وسمو ورقى حضارتنا الإسلامية، فى تعاملها مع رهبان وأساقفة وزوار وقاصدى هذا الدير، والذى يُعد نموذجًا للتأمل الحضارى لقادة المسلمين فى العصور الوسطى مع من خالفنا فى العقيدة، ونظرًا لكثرة هذه الوثائق والأوقاف التى تنسب لعهود مختلفة (فاطمية، أيوبية، مملوكية، عثمانية) رأيت أنه ممن الضرورة ذكر فقرات موجزة من بعض هذه الوثائق والأوقاف الفاطمية والأيوبية والمملوكية، وذلك لتأكد مدى عناية خلفاء وسلاطين وأمراء المسلمين بأهل الذمة وكذلك بفقراء المسلمين، وتوجيه أوقافهم الوجهة الصحيحة، وذلك إسهامًا منهم فى تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية.

### أولًا: أوقاف المسلمين على الدير:

#### أ ـ أوقاف العهد الفاطمى على الدير ورهبانه:

هناك العديد من نصوص وثائق الوقف الفاطمى على دير ورهبان سانت كاترين، والمتأمل فى فقراتها يلاحظ مدى عناية ورعاية خلفاء الفاطميين للدير ورهبانه وكذلك زواره وقاصدوه، وذلك اقتداء بسنة رسولنا الكريم ﷺ الذى حث أتباعه فى العديد من أحاديثه النبوية الشريفة على رعاية أهل الذمة والإحسان إليهم، مثلما فعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب مع الكهل اليهودى الذى شاهده الخليفة يستجدى العطاء من الناس، فأمر له الخليفة بعطاء من بيت المال المسلمين، كما سبق وأشرت فى الفصل الأول من هذه الدراسة. ولقد اقتفى الخلفاء والسلاطين والولاة وحكام المسلمين سيرة السلف الصالح عملًا بقوله تعالى فى محكم التنزيل: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾[1].

---

(١) القرآن الكريم، سورة الممتحنة، آية رقم (٨).

ونظرًا لكثرة أوقاف خلفاء الفاطميين على الدير ورهبانه، وأيضًا نظرًا لطول نصوص هذه الوثائق التاريخية النادرة، حيث تحتوى الوثائق على نصوص افتتاحية وعبارات دعائية وثناء... وغيرها، فقد اخترت بعض سطور هذه الأوقاف بغرض التدليل من خلالها على سماحة وإنصاف خلفاء وولاة أمور المسلمين فى تطبيق نظام الوقف على أهل الذمة وفقراء المسلمين باعتبار ذلك مقصدًا ساميًا من مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء والنصوص المختارة هى على النحو التالى:

**١ ـ منشور محفوظ بمكتبة الدير ينسب للخليفة الفاطمى الظافر بالله ٥٤٤-٥٤٩هـ/ ١١٤٩-١١٥٤م:**

ورد فى نص هذا المنشور الصادر عن ديوان الخليفة الفاطمى الظافر بالله وهو «ديوان الإنشاء»، وكان يمثل الديوان الرسمى للدولة تخرج منه عادة المناشير والأوامر والفرمانات والقرارات والرسائل الصادرة عن الخلفاء والسلاطين فى الدولة الفاطمية والأيوبية والمملوكية، وبالمنشور الذى نحن بصدده عبارة تدل على إنصاف الدولة لأهل الذمة والرفق بهم، عملاً بتعاليم الدين الإسلامى الحنيف، واحترامًا لما بأيديهم من وثائق، ربما منها العهد النبوى الذى يحتفظون به بمكتبة الدير، ويعتقد الرهبان أن رسولنا الكريم ﷺ قد خصهم به وسبق أن ذكرته فى الفصل الأول من هذه الدراسة. نقرأ فى هذا المنشور الفاطمى هذه العبارة: «... **حملًا لهم على عدل الدولة ورفقًا بهم ورعاية لذمة الإسلام فيهم، وعملًا بقضايا السجلات التى بأيديهم**..»[(١)].

**٢ ـ منشور فاطمى بمكتبة الدير ينسب للخليفة الفاطمى الفائز بنصر الله ٥٤٩-٥٥٥هـ/ ١١٥٤-١١٦٠م (انظر لوحة رقم٣).**

تضمن هذا المنشور بعد عبارات الافتتاحية والمقدمات المعتادة فى مثل هذه النصوص الوثائقية المهمة ـ معلومات واضحة بصيغة (أهل الذمة) مقترنة بالحماية والعناية والرعاية بهم، ومن ثم بسط عدل الدول على سائر ممتلكاتها وأتباعها ورعاياها ومنهم رهبان الدير، فنقرأ فى الوثيقة هذه العبارة: «... **إنه لما كان من شيمنا إزالة المحدثات وتعفية آثارها، والمنع من الاستمرار عليها وتأكيد إنكارها، ورعاية**

(١) انظر فى ذلك منشور الخليفة الفاطمى (الظافر بالله)، بمكتبة الدير برقم سجل (٩)، السطور (٤-٦)، السطور (١١-١٣).

**من يحتوى عليه نطاق مملكتنا من أهل الذمة واعتمادهم بما نسبغ عليه ملابس الحنو والرحمة ليتساوى فى عدلنا الصغير والكبير، ويشملهم من حسن نظرنا ما يسهل عليهم من المطالب كل مستصعب عسير...»**[١].

**٣ ـ وثيقة فاطمية عبارة عن منشور محفوظ بمكتبة الدير تتعلق بتوقير أساقفة ورهبان الدير تنسب للخليفة الآمر بأحكام الله ٤٩٥ ـ ٥٢٥هـ/ ١١٠١ - ١١٣١م:**

نقرأ فى نصوص هذه الوثيقة عبارات تشير إلى مدى توقير خلفاء الفاطميين لأساقفة دير سانت كاترين ورهبانه، الأمر الذى أدى بالتالى إلى افتخار هؤلاء الأساقفة بخضوعهم لسيادة الدولة الفاطمية فى مصر. نقرأ فى هذه الوثيقة العبارات التالية: «... أنهى أسقف طور سيناء المعروف بنفرى وجماعة الرهبان والنصارى المقيمون معه أنهم فى ظل الدولة الحافظية آمنون، وفى وطن عدلها ساكنون، وأنهم مالكون فى زمانها يفتخرون، وما يخرج من أوامرها يتشرفون...». وفى موضع آخر من هذه الوثيقة نفسها نقرأ هذه العبارة التى تكشف عن مكانة كبار رجال الدين المسيحى فى الدير مثل الأساقفة؛ حيث يتم توقيرهم وتخصيصهم بميزة إضافية فى التكرمة، وربما العطاء والإحسان، فنقرأ هذه العبارة: «... **بأن يخصص هذا الأسقف بميزة عليهم فى التكرمة، بما له عليهم (الرهبان) فى شريعتهم من الرتبة والتقدمة، لينفذ فيهم أحكامه وليقودهم إلى الطريقة الحميدة زمامه...»**[٢].

**٤ ـ منشور فاطمى ينسب للخليفة الفاطمى الظافر بالله يتعلق برعاية رهبان الدير والإحسان إليهم وكذلك زوارهم وقاصديهم:**

احتوى هذا المنشور على عبارات خاصة تتعلق بالرهبان وأهل ملتهم من زوار الدير وقاصديه، بهدف حمايتهم ورعايتهم والإحسان إليهم، ويلاحظ أن جميع هذه العبارات والنصوص مستمدة من مقاصد شريعتنا الإسلامية الغراء، والتى هى بالتالى مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ، نقرأ فى بعض فقرات هذا المنشور هذه العبارات: «... **برعاية الرهبان المقدم ذكرهم ومن ينتجع إليهم ويطرأ**

---

(١) انظر فى ذلك منشور الخليفة الفاطمى (الفائز بنصر الله) بمكتبة الدير برقم سجل (١٠) السطور (١٢-٢٠)، ومنشور آخر ينسب للخليفة نفسه برقم سجل (٩٦٣) السطور (٨-١١)، السطور (١٨-٢٣).

(٢) انظر فى ذلك منشور الخليفة الفاطمى (الآمر بأحكام الله) بمكتبة الدير برقم سجل (٦) السطور (٢٠-٢١)، السطور (٣١-٣٣).

**عليهم وأصحابهم وأهل ملتهم والتابعين لهم والمتصرفين فى تحصيل أقواتهم وغير ذلك من مصالحهم التى لا غنى عنها لأمنهم وحفظهم وحياطتهم وصونهم فى أنفسهم وأصحابهم والسالكين سبيلهم وكف الأيدى من الحاضرة والبادية عن أذيتهم وعن الامتداد بسوء إليهم...»**[1].

تحتوى مكتبة الدير على العشرات من وثائق ومناشير الوقف التى تنسب لسلاطين آل أيوب فى مصر والشام على الدير ورهبانه، وجميعها تحتوى على نصوص عديدة تتعلق بأمور وقفية خاصة برعاية الدير ورهبان وزواره وقاصديه وممتلكاته وحمايتهم جميعًا من الاعتداءات المتكررة من البدو والعربان... وغيرها من الأمور، ونظرًا لكثرة هذه النصوص، وطول نصوصها الكتابية، فقد اخترت بعض فقرات منها لإلقاء الضوء على مدى ما تمتع به الدير ورهبانه ومرافقه وممتلكاته خلال هذا العصر ـ وجميعها تمثل جانبًا مهمًا من مقاصد الشريعة الإسلامية، التى من أبرز سماتها وصفاتها التسامح والإحسان على من خالفنا فى العقيدة، خاصة الرهبان والمنقطعين منهم للعبادة فى الأديرة والصوامع... وغيرها ـ منها:

**١ ـ منشور محفوظ فى مكتبة الدير ينسب للسلطان الأيوبى العادل أبى بكر بن أيوب يتعلق بالدير ورهبانه (انظر لوحة رقم ٤).**

وردت فى هذا المنشور عبارات تشير إلى خضوع الدير لسيطرة الدولة وحمايتها ورعايتها، ومن ثم تقديم المعونة والمساعدة والدعم للدير ورهبانه وأساقفته وقساوسته وكهانه والساكنين فى الصوامع والقلايات وكذلك الزوار والمريدون والقاصدون الدير بغرض التبرك به.

نقرأ فى بعض فقرات وسطور هذا المنشور هذه العبارة: «... **إنا لم نزل ولله لحمد نذب عن الرعايا الذين فوض الله تعالى أمرهم إلينا، وأحالت الشريعة الطاهرة فى حياطتهم علينا فنكف كف الأذى عنهم... ونقيل عثرتهم ونكشف كربتهم وغمتهم ونضاعف ذلك لبطاركتهم ورهبانهم وقسيسيهم وكهانهم وساكنى الصوامع من زهادهم والمنقطعين بالديرة من عبادهم...»**[2].

---

(١) انظر فى ذلك منشور الخليفة الفاطمى (الظافر بالله) المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٩)، السطور (٤-٨).

(٢)انظر فى ذلك منشور السلطان (العادل أبى بكر بن أيوب) المحفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (١١) السطور (١٤-٢٣).

وفى منشور آخر ينسب للسلطان نفسه «العادل أبو بكر بن أيوب» يتضح فيه بسط العدالة والأمن والأمان على كل زوار ومرتادى الدير والقوافل الواردة إليه من بلاد الشام ومصر... وغيرها. نقرأ هذه العبارة: «... **على ما جرت به عادتهم فى الإكرام والإعزاز والرعاية وعلى الواصل إليهم من قوافلهم من بلاد الشام وديار مصر وما يختص بهم من النخل وغيره...**»[1].

**٢ ـ وثيقة تنسب للملك الأفضل الأيوبى محفوظة بمكتبة الدير تتعلق بحماية ممتلكات الدير وأوقافه وعقاراته:**

هذا المنشور الوثائقى النادر يكشف لنا معلومات مهمة عن مدى ما تمتع به الدير ورهبانه من عطف وإحسان سلاطين آل أيوب، وبالتحديد الملك الأفضل بن أيوب، فتقرأ فيها هذه العبارات الهادفة: «... **وأن لا يعترضوا بأذية ظاهرة ولا باطنة.. وأن لا يعترضوا فى كرومهم ونخيلهم وزروعهم بأضرار ولا مقاسمة ولا احتجاز ولا اقتطاع شىء من ذلك بوجه من وجوه الإجبار وأن لا يلزموا بمسكانة غيرهم، ولا تخزن غلة ولا غيرها فى ديرهم.. يقف عند هذا الأمر ولا يتعداه وليحذر من تجاوزه إلى ما سواه... ولا يمكن لأحد أذيتهم فما منهم إلا من هو المسكين الضعيف...**"[2].

والمتأمل فى هذه الفقرات يلاحظ شمول العناية بالدير وممتلكاته ومزارعه وبساتينه، بل حماية حواصل الدير بعدم تخزين غلال لا تخصه.

**٣ ـ منشور ينسب للملك العادل الأيوبى ٥٩٦-٦١٥هـ/ ١٢٠٠-١٢١٨م يتعلق ببسط الحماية على الدير ورهبانه، وإعفائهم من الضرائب والرسوم:**

يحتوى هذا المنشور على معلومات مهمة عن إعفاء الدير ورهبانه من الضرائب والرسوم التى كانت تفرض على السلع والبضائع التى كانت تصل للموانئ فى يافا وغيرها والخاصة بالدير ورهبانه، وكذلك تكشف معلومات هذا المنشور عن رعاية سلاطين آل أيوب للدير ورهبانه وتوعدهم لكل من يسعى لأذيتهم هم وزوارهم وقاصديهم... ونقرأ فيه هذه العبارات: «... **ويمنع من يتعرض لأذيتهم أو يطمع فى**

---

(١) انظر فى ذلك منشور محفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (١٦)، السطور (٧-٩).

(٢) انظر فى ذلك منشور الملك (الأفضل الأيوبى) المحفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (١٢) السطور (١٤-١٩)، السطور (٢٦-٢٧).

مضرتهم أو يعتدى بقطع رسومهم الجارى بها ماضى عادتهم أو يتطرق لإخافة سبيلهم المسلوك لزيارتهم، وأن لا يفسح للعربان ولا لغيرهم من الموافقين والمخالفين لهم فى الأديان فى اهتضامهم، ولا فى تكليفهم نقص ما أقروا عليه من أحكامهم، ولا يعارض زوارهم من البلاد الشامية بوجه من وجوه إضرار أو أذية...»[1].

**٤ ـ منشور أيوبى يتعلق بإعفاء الدير ورهبانه من تحصيل ضرائب أو رسوم على مزارع وبساتين الدير مع بسط حماية الدولة على الدير:**

هذا المنشور الأيوبى محفوظ بمكتبة الدير، ضمن عشرات الوثائق الوقفية على الدير ورهبانه وعقاراته وممتلكاته وسائر أوقافه، نقرأ فى هذا المنشور عبارات تشير إلى السماح للرهبان بممارسة شعائرهم مع إعفائهم من آية رسوم أو نفقات كانت تفرض على السلع والبضائع التى تصل للموانئ التابعة للدولة، مع التعهد بحماية هذه البضائع والسلع الواردة للدير ومعاقبة كل من يجرؤ فى الاعتداء على الدير ورهبانه ونقرأ فيها هذه العبارات: «... **وتقدمنا بأن يجروا رهبان هذا الدير المذكور على عادتهم المستمرة ويقروا على القاعدة المستتبة المستقرة... ويمنع من يتعرض لأذيتهم أو يطمع فى مضرتهم أو يتعدى بقطع رسومهم الجارى بها ماضى عادتهم...»**[2].

## ج ـ أوقاف سلاطين المماليك على الدير ورهبانه (انظر لوحة رقم ٥)

بالإضافة لما سبق ذكره من نماذج مختارة من وثائق وقفية فاطمية وأيوبية؛ هناك أيضًا العشرات من الأوقاف المملوكية الصادرة عن سلاطين دولة المماليك البحرية والجراكسة، وهى فى واقع الأمر تفوق من حيث الكم العددى نظيرتها الفاطمية والأيوبية، وجميعها محفوظة فى سجلات مكتبة الدير.

وفى واقع الأمر إن المتأمل فى وثائق الوقف المملوكى على الدير ورهبانه، يلاحظ أنها لا تختلف كثيرًا فى العديد من صيغها عن نظيرتها من أوقاف خلفاء الفاطميين وسلاطين آل أيوب، وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض التفاصيل الدقيقة فى أوقاف سلاطين

---

(١) انظر فى ذلك منشور الملك العادل الأيوبى، المحفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (١١)، السطور (٢٨-٣٥).

(٢) انظر فى ذلك منشور الملك العادل الأيوبى أيضًا، المحفوظ بمكتبة الدير برقم سجل (١١٢)، السطور (٢٤-٣٠)، وآخر برقم سجل (١٥)، السطور( ٣-٥) وآخر برقم سجل (٢٠)، السطور (١٩-٢١)، والسطور (٢٣-٢٤).

المماليك، من حيث توعد هؤلاء السلاطين لكل من يجرؤ فى الاعتداء على الدير ورهبانه، هذا بالإضافة لورود معلومات أخرى أدق فى التفاصيل عن نظيرتها الفاطمية والأيوبية، والمتعلقة بحماية الدير ورهبانه وأساقفته. ونظرًا لكثرة هذه النصوص فقد اخترت نماذج منها، مع اختيار سطور محددة تتعلق بالوقف على الدير ورهبانه، والتى تتمشى مع تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية وهو من أبرز أهدف هذه الدراسة. من هذه النصوص وردت عبارات بليغة، هادفة، على الرغم من كونها كلمات محددة موجزة ولكنها تؤدى الغرض المطلوب والمتمشى مع ما ترمى إليه شريعة الإسلام ومقاصده الغراء. فتقرأ فيها: وجوب توخى الإحسان إلى كل ملى وذمى ورفع ثقل الأذى عن الرهبان استنادًا إلى الدعائم الإسلامية وسد باب الذريعة، ولتكن ذمتهم محفوظة بذمة الإسلام، وعهدتهم ملحوظة برعاية الذمام، مأمونة منهم البطشة بين الناس لأنهم أهل ذمة وكتاب وذوو مودة واقتراب ولتضاعف بهم الوصية، وذلك عملًا بحكم الملة الإسلامية وشريطه الشريعة المحمدية، ولتكن ذمتهم فى أمورهم[1].

**١ ـ مرسوم السلطان قايتباى ٨٧٢-٩٠١ هـ / ١٤٦٨-١٤٩٦ م يتعلق بحماية الدير ورهبانه؛ تطبيقًا لتعاليم الدين الحنيف.**

يحمل هذا المرسوم معلومات بالغة الأهمية عن رعاية سلاطين المماليك للدير ورهبانه ممثلة فى شخص السلطان قايتباى. نقرأ فى هذا المرسوم عبارة صغيرة ولكن ذات مدلول أمنى ودينى وشرعى كبير نصها: «**... عدم التعرض إلى أحواضهم ونخيلهم بالطور، وأن أحدًا لا يسكن فيها ولا يحط فيها البهار، إلا بخاطرهم بأجره معلومة عملًا بالعدل الشريف...**»[2].

**ديوان الإنشاء والجهات المباشرة لتنفيذ المراسيم والأوقاف على الدير ورهبانه:**

جدير بالذكر أن هذه المراسيم السلطانية كانت تخرج عادة من ديوان الإنشاء الشريف فى الدولة الفاطمية والأيوبية والمملوكية وعليها تواقيع السلاطين والخلفاء فى سجلات منشورة وموثقة أشارت إلى ذلك العديد من المصادر العربية[3].

---

(١) د. عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(٢) انظر فى ذلك منشور السلطان قايتباى، المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٦٢)، السطور (١٦-١٧).

(٣) ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٨٨-٨٩. القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ ١١، ص ١٠٧ ـ ١١٢.

كما تجدر الإشارة كذلك إلى أن العديد من الوثائق المملوكية كشفت لنا أسماء عديدة من الولاة والنواب والمتصرفين والمكلفين بتنفيذ أوامر وتوجيهات وتعليمات الخلفاء والسلاطين الصادرة للدير ورهبانه وزواره وقاصديه. فهناك توجيهات ورسائل موجهة إلى الولاة والنواب وسائر المتصرفين بالأعمال الشرقية، وآيلة والقلزم وساحل الطور، ومقطعى الساحل وفاران، أو توجيهات ورسائل صادرة إلى الأمراء المقدمين والنواب والولاة والشادين والناظر والمتصرفين بالبلاد المصرية والشامية، أو إلى النواب والكشاف والولاة والشادين والمتصرفين بثغرى الإسكندرية ودمياط المحروستين، وآلية فى القلزم وساحل الطور ومقطعى الساحل به وفاران، أو إلى كل واقف عليه ومصغ له، وناظر إليه من مشايخ العربان العيساوية، أو إلى من بلغه معناه وعرض عليه من نائب السلطنة الشريفة بثغر الإسكندرية المحروس والنائب بثغر دمياط المحروس والناظر به ومباشريه، أو الشاد والناظر وأرباب الإدراك ببندر الطور المعمور، والخفراء وأولاد على وبنى سليمان ببندر الطور المعمور أعزهم الله، أو إلى النواب والقضاة والحجاب والكشاف وولاة الأمور بالمملكة الشامية المحروسة، والكرك والرملة والحكام بسائر الممالك الشريفة الإسلامية المحروسة[1].

**٢ ـ مرسوم الأمير طومان باى الدوادار الكبير والذى يتضمن وصية تامة بالدير ورهبانه (انظر لوحة رقم ٦).**

نقرأ فى هذا المرسوم عبارات بالغة الأهمية تتعلق بالرهبان، والذين وردت أسماؤهم فى صدر المرسوم، وربما ذهبوا لمقر ديوان الأمير بأنفسهم وسجلوا أسمائهم فى الشكوى أو المظلمة، فدونت أسماؤهم فى هذا المرسوم ـ ثم نجد وصية من الوالى لكل القائمين على أمر الدير فى منطقة الطور، بهذه الصيغة: «**... الوصية التامة بالرهبان المذكورين ويوصى عليهم مباشرين الجناب الذين تحت يده فإنهم بيوذوهم ويشوشوا عليهم فيمنعهم من التعرض إليهم وكف أسباب الأذى والضرر عنهم...**»[2].

---

(١) وردت هذه الصيغ فى العديد من وثائق ومراسيم وأوقاف سلاطين المماليك منهم على سبيل المثال السلطان (قطز، الناصر محمد بن قلاوون، برقوق، فرج بن برقوق، المؤيد شيخ، أبو سعيد جقمق).

(٢) انظر فى ذلك وقفية الأمير (طومان باى الدوادار الكبير) المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٩٩)، السطور (١٣-١٧).

وفى مرسوم مملوكى آخر، وردت به معلومات مهمة تتعلق بحماية سكان الدير من أساقفة ورهبان وزوار وقاصدين. والعبرة مرتبطة بأمان الله تعالى وأمان رسوله الكريم ﷺ والأمن والأمان يشملان كل شيء من أنفس وأبدان ومساكن وممتلكات... وغيرها بهذه الصيغة:

«... **إننا قد آمنا سكان دير طور سينا الأسقف وجماعة الرهبان بأمان الله عز وجل وأمان رسوله ﷺ وأماننا على مساكنهم وأرواحهم وأبدانهم.. وأن تكف كف كل متطاول بالأذية إليهم..**»[١].

يتبين لنا من النص السابق شمول العناية بالدير ورهبانه وهى عناية مستمدة من تعاليم الدين الإسلامى، كما سبق وأشرت فى فقرات الفصل الأول من الدراسة.

**٣ ـ وثيقة وقف السلطان شعبان بن حسين ٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٣٦٣ ـ ١٣٧٦ هـ على الدير ورهبانه:**

هذه الوثيقة النادرة محفوظة بوزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، وهى من الوثائق المهمة التى تكشف عن حرص سلاطين المماليك على تنويع أوقافهم على فقراء المسلمين ورهبان النصرانية المنقطعين فى الصحراء، وعلى الدير بوصفه منشأة ربما يقصدها بعض حجاج المسلمين الذين يمرون على الدير عند ذهابهم أو عودتهم من الأراضى المقدسة عبر صحراء سيناء، فالوقف هنا يعتبر وقفًا شاملًا لكل الضعفاء والمحتاجين وعابرى السبيل من مسلمين وأهل ذمة، فنجد أن السلطان شعبان بن حسين رصد فى هذه الوقفية العديد من أشجار الزيتون على خدام الكنائس وأشجار أخرى خصصت باعتبارها وقفًا لرهبان وراهبات الدير.

فقد أشارت الوقفية إلى تخصيص السلطان شعبان عدد ثلاث وأربعين شجرة زيتون على خدّام إحدى الكنائس، ورصد لخدام الدير ورهبان طور سيناء إحدى وثلاثين شجرة زيتون أخرى، وأوقف أيضًا للراهبات المقيمات بدير الشوبك إنشاء بستان من أموال المال المعمور...»[٢].

---

(١) انظر فى ذلك الوقفية المملوكية المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (١١٠)، السطور (٤-١١).

(٢) انظر فى ذلك وثيقة وقف السلطان شعبان بن حسين، والمحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، برقم سجل (٤٩ محكمة) المحفوظة رقم (٨).

**٤ ـ مراسيم وأوقاف مملوكية خاصة بالإنفاق على مسجد الدير وتعيين إمام ومقيم شعائر به:**

إلى جانب المراسيم والوثائق والأوقاف السابق ذكرها والمتعلقة بتخصيص أموال وعقارات وزراعات وعهود أمن وأمان على الدير ورهبانه وزواره وقاصديه ـ وردت إلينا وثائق وأوقاف أخرى مملوكية خاصة بالإنفاق على المسجد الموجود داخل فناء الدير، وهو المسجد الفاطمى السابق ذكره، والذى بنى سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣م بجوار كنيسة التجلى، هذا بالإضافة لمسجد آخر موجود بحبل الطور، وكان بهذين المسجدين عدد من القائمين عليهم منهم الأئمة والمؤذنون والعمال والفراشون، وذلك للقيام بأداء شعائر الإسلام من صلاة ودروس وعظ... وغيرها. وكان يتولى وظيفة الإمامة والبوابة فيه سنة ٨٦٣ هـ الشيخ «الصالح زين الدين جمعة بن شرف الدين يونس بن زين الدين جمعة»، حيث تولى هذا الشيخ القيام بهذه الأعمال فى مسجد الدير ومسجد جبل الطور ويشمل عمله كذلك خدمة المسجدين وإمامة المصلين والأذان فى شهر رمضان. وردت هذه المعلومات ضمن وثيقة السلطان الأشرف سيف الدين إينال ٨٥٧-٨٦٥ هـ / ١٤٥٣-١٤٦١م[١]. ومن ناحية أخرى أشارت وثيقة خاصة بالسلطان قايتباى ٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٨-١٤٩٦م ـ إلى أن مؤذن مسجد الدير العامر بذكر الله يقوم بأداء شعائر الإسلام فيه، وإلى جانب ذلك كان يسهم فى الذب عن الرهبان، ويمنع العربان من التشويش عليهم، وفى المقابل كان الرهبان يقدمون الوقود اللازم لإضاءة المسجد، وكذلك تقديم المؤونة والكسوة اللازمة للمؤذن فيه، وكان من سلطة الرهبان كذلك والتى صرح لهم بها من قبل سلاطين المماليك تعيين مؤذن فى حال وفاة المؤذن المقيم بمسجد الدير[٢].

مما سبق ذكره من وثائق وأوقاف ومراسيم مملوكية خاصة بالدير ورهبانه، يتبين لنا مدى حرص وعناية سلاطين المماليك على تنفيذ تعاليم ومقاصد شريعتنا الإسلامية الغراء، بتنويع أوقافهم الخيرية على شتى المنتفعين من فقراء ومساكين وذوى حاجة

---

(١) انظر فى ذلك وقفية السلطان (إينال)، المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين برقم سجل (٥٢)، السطران (٢٣-٢٤).

(٢) انظر فى ذلك وقفية السلطان قايتباى، المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٦٠) ـ السطر (٢١)، السطران (٣٠-٣١).

وأبناء سبيل ومنقطعين للعبادة والسامحة والإحسان لأهل الذمة والضعفاء منهم، عملًا بأحاديث وتوجيهات ونصوص ديننا الحنيف المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ. ولقد أشارت العديد من وثائق سلاطين وأمراء المماليك وكذلك أوقافهم الخيرية على الدير ورهبانه، إلى الضعف والمسكنة التى كان عليها هؤلاء الرهبان المنقطعين فى الصحراء، وكذلك إلى ضعف وحاجة الحجاج المسافرين إلى الأراضى المقدسة فى جزيرة العرب، أو العائدين منها بعد أداء النسك، فيكونوا عادة فى حالة من الشدة والإرهاق وفى أمس الحاجة للدعم والمعونة، فكانوا عادة يجدونها فى الدير حيث المياه والاستراحة... وغيرها. ولقد أشارت إلى ذلك وثائق وأوقاف مملوكية عديدة بعضها تنسب للسلطان الناصر محمد بن قلاوون وأخرى للسلطان حسن بن قلاوون... وغيرها، وردت بهذه الوثائق والأوقاف معلومات عن: «... رهبان الدير أنهم منقطعون بدير طور سيناء بالجبل لمصالح الحجاج من الواردين عليهم من الحجاز الشريف، من بحر القلزم، وغيرهم من الزوار إلى جبل الطور من المسلمين وخدمتهم وللدعاء لهذه الدولة العامرة، أو أنهم ضعفاء وفقراء ومساكين، وأكثرهم مشايخ عاجزون عميان، أو أنهم صعاليك منعزلون ومنهم عميان وكسحان ومقعدون ومنقطعون وليس لهم ما يقتاتون به، وما يقيم بأودهم سوى ما يستقطعونه من صدقات النصارى، وأنهم قائمون بكلف الواردين إليهم من حجاج المسلمين ويقدمون لهم المأوى والمؤونة ويحسنون إليهم حين توجههم من عندهم...»[1].

**ثانيًا: وثيقة وقف خيرى على الدير من نصرانى بصيغة شرعية. تضمنت آيات قرآنية كريمة (انظر لوحة رقم ٧).**

هذه الوثيقة النادرة محفوظة فى مكتبة الدير[2]، تتعلق بوقف منزل ببندر الطور على مصلحة ومنفعة دير سانت كاترين، والواقف شخص نصرانى يدعى «غنيم بن سالم

(١) انظر فى ذلك وقفية السلطان قايتباى، المحفوظة بمكتبة الدير برقم سجل (٦٠)، السطر (٢١)، السطران (٣٠-٣١).

(٢) هذه الوثيقة تحمل رقم سجل (٢٨٥) بسجلات مكتبة الدير. انظر: د. عبد اللطيف إبراهيم: ثلاث وثائق فقهية من وثائق دير سانت كاترين، كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (٢٥)، الجزء الأول مايو ١٩٦٣م.

بن إلياس النصرانى الملكى الشوبكي»[1]، وتاريخ تحرير الوثيقة يوم (١١ ربيع الآخر سنة ٨٨٢ هـ)، والوثيقة مكتوبة على قطعة من ورق الكاغد أطوالها ٣٧×٥ , ٢٧سم، ويلاحظ أن تاريخ تحرير الوثيقة متزامن مع عصر السلطان الملك الأشرف قايتباى من المماليك الجراكسة (البرجية)، والذى حكم مصر والشام فترة زمنية طويلة تجاوزت تقريبًا ثمانية وعشرين عامًا (٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٨ ـ ١٤٩٦م). والوثيقة فى حالة جيدة، كتبت بأسلوب الخط اللين، أو ما يطلق عليه (خط التحرير المخفف) وبقلم دقيق السن، والحروف تكاد تكون متداخلة فيما بينها، ويبلغ عدد سطورها (١٣ سطرًا)، هذا بالإضافة لوجود صيغة الثناء على رسولنا الكريم ﷺ بشكل قائم فى مطلع نص الوثيقة بصيغة (اللهم صل على أشرف الخلائق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه)، أيضًا يلاحظ أن نهاية الوثيقة ختمت بعدة توقيعات وردت بشكل متداخل فى نهايتها.

**نص الوثيقة:**

**بسم الله الرحمن الرحيم.**

**١ ـ حضر إلى شهوده يوم تاريخه كل من الحضرة السامية خليل بن المعلم بدر بن ظريف والحضرة خلف بن القسيس مخلوف بن صدقة**

**٢ ـ والمعلم يوسف بن نصر الله بن يوسف والحضرة خليل بن إبراهيم بن سابا النصارى الملكية المقيمون يومئذ ببندر الطور المعمور وهم معروفون واشهد**

**٣ ـ عليهم شهوده أشهادًا شرعيًا معتبرا مرضيا من غير إكراه ولا إجبار أن غنيم بن سالم بن إلياس النصرانى الملكى الشوبكى ببندر الطور المعمور**

**٤ ـ وقف وحبس وأبد وسبل وحرم وتصدق جميع الدار القائمة البنا الكائنة بالطور المعمور بجميع حقوقها**

**٥ ـ ومعالمها ومرافقها وما يعرف بها وينسب إليها علوًا وسفلًا ولها حدود أربعة القبلى إلى دار بيد غنيم الواقف المذكور والشرقى**

---

(١) يلاحظ أن الاسم فى بدايته يغلب عليه الطابع العربى، ولكن اسم الجد ويدعى (إلياس) ألحقت به الديانة النصرانية ثم المذهب الملكانى مرتبطًا باسم (الشوبكى) نسبة لقلعة الشوبك فى منطقة الشام.

٦ ـ إلى الشاعر وفيه الباب والبحرى إلى دار تعرف بسالم بن السمين والغربى إلى بيت سلام أبو عوينة النصرانى بحد ذلك

٧ ـ وحدوده فى سنة خمس وخمسين وثمانمائة المعلوم عنده العلم الشرعى على مصالح دير طور سيناء وقفا صحيحًا شرعيًا لا يباع ولا

٨ ـ يوهب ولا يرهن ولا يتناقل به بطريق من الطرق ولا بسبب من الأسباب ولا بوجه من الوجوه المخالفة للشرع قائمًا على

٩ ـ أصوله فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ووقع أجر هذا الواقف المذكور على الله سبحانه وتعالى يوم

١٠ ـ يجزى المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين فمن عدل عن ذلك فالله طليبه وحسيبه ومؤاخذه بعمله ومجازيه بفعله ومن

١١ ـ أعان على إمضائه ثبت الله مضجعه ولقى الله وهو عليه راضٍ غير غضبان عليه لقوله تعالى ليجزى الذين أساءوا بما عملوا

١٢ ـ ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ووقع الأشهاد عليهم بذلك فى حادى عشر شهر ربيع الآخر المبارك سنة اثنين وثمانين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

١٣ ـ شهيد على المذكورين بما نسب إليهم فيهن كتبه محمد بن محمد بن عبد..... الخطيب[1].

**التعليق على النص:**

المتأمل فى صيغة هذه الوثيقة المهمة والنادرة، والصادرة من أحد النصارى المقيمين فى مدينة الطور بسيناء. يلاحظ أنها تتضمن العديد من النقاط الدالة على مكانة شريعتنا الإسلامية الغراء، ومدى استيعابها كل نواحى الحياة فى الدولة، حتى ارتضاها بعض أهل الذمة فى إنفاذ عقودهم وأوقافهم وسائر معاملاتهم اليومية. وأرى أنه من الأهمية ذكر بعض الجوانب المهمة فى نصوص هذه الوثيقة على النحو التالى:

---

(١) انظر اللوحة المرفقة (لوحة رقم ٧).

١ ـ بُدئت الوثيقة بالبسملة المعروفة فى الشريعة الإسلامية، ولم يرد بالوثيقة إطلاقًا أى صيغة أو عبارة تدل على النصرانية أو عبارات التثليث الشائعة عمومًا بين النصارى.

٢ ـ يلاحظ وجود صيغة الثناء على رسولنا الكريم ﷺ بشكل قائم على السطر الأول بصيغة (اللهم صلى على أشرف الخلائق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه).

٣ ـ السطر الثانى بالوثيقة يشير إلى حضور الشهود يوم تحرير الوثيقة والشهود الوارد ذكرهم جميعهم من النصارى الملكية (أى الذين يدينون بالمذهب الملكانى فى روما)، الأرثوذكسى وليس بالمذهب الذى يعتنقه أقباط مصر، حتى اليوم، كما أن الشهود جميعهم من المقيمين بمدينة الطور، وهى بلدة فى سيناء تقع على خليج السويس [1]. والشهود الوارد ذكرهم تقع جميع أسمائهم فى السطرين (٢، ٣) وهم (خليل بن المعلم بدر بن ظريف، والحضرة خلف بن القسيس مخلوف بن صدقة، والمعلم يوسف بن نصر الله بن يوسف، والحضرة خليل بن إبراهيم بن سابا) ويلاحظ أن كل اسم من هذه الأسماء سبقته عبارات وكلمات تشريفية، ربما لمكانته ومنصبه ومركزه الاجتماعى فى مدينة الطور، فنجد أن الاسم الأول وهو (خليل بن المعلم بدر بن ظريف) سبقته عبارة (الحضرة السامية) ربما لرفعته وسمو مكانته فى المدينة آنذاك، بينما الاسم الثانى وهو (خلف بن القسيس مخلوف بن صدقة) فقد سبق اسمه كلمة (الحضرة) غير مرتبطة بكلمة (السامية)، ربما نظرًا لتواضع مكانته عن الاسم الأول، أما الاسم الثالث فقد سبقته كلمة (المعلم) وهو لقب فخرى كان يطلق عادة على أرباب الحرف والصناعات، ثم الاسم الرابع وهو (خليل بن إبراهيم بن سابا) فقد سبق اسمه مباشرة كلمة (حضرة) وهى تدل كما سبق وأن ذكرت بتواضع مكانته، فلم تكون سامية، كما وردت مصاحبة للاسم الأول. ألحقت بهذه الأسماء جميعها عبارة (النصارى الملكية المقيمين يومئذ ببندر الطور) وهى عبارة دالة على أن ديانتهم جميعًا هى الديانة النصرانية مع الإشارة إلى محل إقامتهم وهى مدينة الطور بسيناء.

٤ ـ السطر الرابع يشير إلى إثبات شهادتهم شرعية أمام القاضى المسلم، وذلك من غير إجبار ولا إكراه واقع عليه، أى أنهم تقدموا للشهادة بمحض إرادتهم، وذلك

---

(١) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق، ص ٣٥٩ «الأعلام».

على وقف غنيم بن سالم والمقيم أيضًا ببندر الطور المعمور، أنه «أوقف وحبس وأبد وسبل وحرم وتصدق» جميع الدار القائمة البناء الكائنة بالطور المعمور بجميع حقوقها ومعالمها ومرافقها. هذه العبارات وردت فى السطور (٤-٦) تفيد أن الواقف (غنيم بن سالم بن إلياس) وديانته النصرانية ومذهبه ملكانى يتبع مذهب روما ـ كما أشرت من قبل، والاسم منسوب لقلعة الشوبك، وهى منطقة تقع فى جبل الشراة جنوب الأردن بمحافظة معان[1]، والتى كانت هى والكرك من أهم القلاع الصليبية. أما عبارة (وقف وحبس وأبد وسبل وحرم وتصدق)، فهى فى واقع الأمر عبارة شاملة من ستة كلمات تغطى تقريبًا جميع شروط الوقف المعروفة، فلم يترك مجالًا للتلاعب فى الوثيقة ومحاولة الالتفاف حولها من قِبل ضعاف النفوس فيما بعد، أيضا نقرأ فى عبارة (جميع الدار القائمة إلينا)، تشير إلى أن الدار جميعها مكتملة البناء جاهزة للمسكن والانتفاع.

٥ ـ فى السطرين الخامس والسادس، نقرأ من النص هذه العبارة: (بجميع حقوقها ومعالمها ومرافقها وما يعرف بها وينسب إليها علوًا وسفلًا)، هذه العبارة تكشف دقة الواقف فى تحديد الموقوف بالضبط، وهو المنزل الموجود بمدينة الطور بكل معامله ومرافقه (ملحقاته وكل ما يحيط به من ممتلكات)، أما عبارة (وما يعرف بها وينسب إليها علوًا وسفلًا)، فهى عبارة تزيح الوهم، فربما يكون السفل أو العلو للدار ملكًا لرجل آخر غير الواقف، وقد يكون تحت الدار سرداب أو نفق ملك لغيره، وذلك لأنه إذا لم يذكر السفل والعلو فى الوثيقة، تكون ربما مدخلًا لقيام شخص آخر ويدَّعى أحقيته فى سفل الدار أو علوها وبذلك تفسد الوقفية، لذلك حرص الواقف على ذكره هذه العبارة حتى يزيل كل لبس أو سوء فهم فيما بعد.

٦ ـ السطران السادس والسابع فى الوثيقة يشيران إلى تحديد الدار بالضبط من جهاتها الأربع (القبلى والشرقى والبحرى والغربى)، ويلاحظ أنها محصورة بين بعض منازل ودور النصارى أيضًا، ورد منهم ذكر اسم رجل يُدعى (سالم بن السمين) واسم رجل آخر ويُدعى (سالم أبو عوينة النصرانى).

٧ ـ السطر الثامن فى الوثيقة يشير إلى تاريخ الوقف وهو (سنة خمس وخمسين

---

(١) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق، ص ٤٣٢ «الأعلام».

وثمانمائة) ويلاحظ أن هذا التاريخ متخلفًا عن التاريخ بحوالى ٢٧ سنة تقريبًا المدون فى نهاية السطر (١٣) من الوثيقة وهو (١١ ربيع الآخر سنة ٨٨٢هـ) وأعتقد أن السبب فى وجود هذين التاريخين ربما يعود للأسباب الآتية:

أ ـ ربما يكون الواقف قد رجع عن وقفه أو أخل به بطريقة ما، مما جعل الشهود الأربعة النصارى والذين ربما كانوا من المنتفعين أو المستحقين فى ريع هذا الوقف، حيث إن الواقف وقف الدار على مصالح دير سانت كاترين، وغالبًا لما كانت هذه المصالح تعود أيضًا إلى رهبان الدير من النصارى والمجاورين له. الأمر الذى ربما دفعهم إلى إعادة تسجيل الوقف وتحريره مرة ثانية بعد مرور هذه المدة الزمنية الطويلة (٢٧ سنة).

ب ـ ربما يكون الواقف قد طلب ورغب فى استخراج هذا الأشهاد، ربما بعد فقده وثيقة الوقف الأصلية التى حررت سنة ٨٥٥ هـ وهو التاريخ الذى ورد أولًا فى بداية السطر الثامن.

جـ ـ ربما يكون الواقف قد تصرف بالوقف أمام الشهود الأربعة فى سنة ٨٥٥ هـ، ولكنه لم يدون أو يكتب ذلك فى وثيقة أو مستند شرعى، ومن المعروف علميًا ووثائقيًا أن الوقف تصرف قانونى يصدر من جانب واحد وفيه إسقاط للملكية، والشكلية ركن واضح فيه، بمعنى أنه لا يصح إلا إذا صدر به إشهاد شرعى Acte Authentique [1] فى حضرة القاضى.

٨ ـ وردت فى السطرين (٨، ٩) من نص الوقفية عبارات تشير إلى تخصيص الدار الموقوفة على (مصالح دير طور سيناء وقفا صحيحًا شرعيًا لا يباع ولا يوهب ولا يرهن ولا يتناقل به بطريق من الطرق ولا بسبب من الأسباب ولا بوجه من الوجوه المخالفة للشرع قائمًا على أصوله).

وهذه العبارة الصريحة الواضحة جعلت الدار الموقوفة ملكًا للدير ورهبانه وسائر مصالحه، ولا يمكن بحال ممن الأحوال التراجع فى الوقف ولا رجوعه مرة أخرى لمالكه الأصلى أو لأحد من ورثته ولا يمكن بيعه أو وهبته لآخر أو رهنه أو انتقال

---

(١) د. محمد كامل مرسى: شرح القانون المدنى الجديد، شهر التصرفات العقارية، العقد كسبب لكسب الملكية، طبعة القاهرة ص ٧٨، ص ١١٣ – ١١٤.

ملكيته لشخص آخر بأى حال من الأحوال. ويلاحظ أن عبارة (وقفًا صحيحًا شرعيًا) مستمدًا من تعاليم وشرائع الدين الإسلامى الحنيف. وذلك على الرغم من أن الواقف والشهود من النصارى.

٩ ـ ورود عبارة (المخالفة للشرع) والواردة فى نهاية السطر التاسع، توضح عدم الإخلال بتعاليم وشرائع الإسلام الثابتة والمستقرة المعمول بها، والمتعارف عليها والثابتة فى الشرع الحنيف.

١٠ ـ فى السطر العاشر ورد ذكر آية قرآنية كريمة ضمن نصوص وصيغة الوقفية ونصها: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١] وهو استشهاد من الواقف النصرانى بكتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم رغبة الواقف ورجاء أن يجازى على هذا الوقف من الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

١١ ـ السطران (١١، ١٢) تضمنا عبارات الجزاء من الله تعالى على هذا الوقف الخيرى، ثم تهديد ووعيد لكل من خالف شروط وبنود هذه الوثيقة. وعلى الرغم من كونها عبارة تهديد ووعيد فإنها دالة على عقوبة رادعة لكل من يخالفها ونصها: (فمن عدل عن ذلك فالله طليبه وحسيبه ومؤاخذه بعمله ومجازية بفعله)، ثم فى المقابل عبارة الثناء والرضا والدعاء لكل من أسهم وأعان على تنفيذ هذا الوقف وعبارته (ومن أعان على إمضائه ثبَّت الله مضجعه، ولقى الله وهو عليه راض غير غضبان عليه) ثم استشهد الكاتب أيضًا بقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾[٢].

١٢ ـ ختمت الوثيقة بذكر تاريخ التحرير والإشهاد وهو يوم (١١) من شهر ربيع الآخر الدعاء الختامى فى صيغ الدعاء الختامى لبعض الوثائق، وإن اتفقت جميعها فى ذكر «الحسبلة» والتى ترد غالبًا بصيغة الجمع (حسبنا)، وقد ترد بصيغة (حسبنا الله ونعم الوكيل)[٣]، بمفردها وقد يسبقها أحيانًا أو يلحق بها الصلاة على النبى محمد وآله وصحبه.

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم (١٨١).

(٢) القرآن الكريم، سورة النجم، آية رقم (٣١).

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ٦، ص ٢٦٩-٢٧٠.

وفى واقع الأمر إن العديد من نصوص الأوقاف الخيرية التى أوقفت على هذا الدير ورهبانه وجميع من يجاوره من بدو وعربان وما يحتويه الدير من مرافق ومنشآت من أبرازها على الإطلاق المسجد الفاطمى الذى كان يقيم فيه عادة مقيم شعائر، بالإضافة لوظيفة الإمامة والبوابة فيه سنة (٨٦٣ هـ ) (الشيخ الصالح زين الدين جمعة بن شرف الدين يونس بن زين الدين جمعة) ـ إنما تكشف عن حقيقة بالغة الأهمية، وهى مدى رحمة شريعة الإسلام واستيعابها وسماحتها اتجاه لكل من خالف المسلمين فى العقيدة، حتى أن بعض أهل الذمة ـ كما تم عرضه من قبل ـ أوقفوا بعض دورهم على مصالح هذا الدير ومنفعته ـ ويلاحظ أن الوقفية على الرغم من كونها صادرة من نصرانى، والشهود أيضًا من النصارى، فإنهم ارتضوا جميعًا أن تنفذ وفق شريعة الإسلام بمقاصدها السمحة، إيقانًا منهم بأنها الشريعة الحقة التى تخدم البشرية دون النظر لجنس أو لون أو مذهب، فارتضاؤهم شريعة الإسلام علامة بارزة على استيعابها حقوق ومصالح كل من خالفنا فى العقيد.


A S R

## الفصل الخامس
## وثائق نادرة محفوظة بمكتبة دير سانت كاترين
## تنسب لعهد المماليك الجراكسة

من الوثائق المملوكية النادرة المحفوظة فى مكتبة دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء هاتان الوثيقتان النادرتان، موضوعهما يتعلق ببيع عقارات[1]، فالوثيقة الأولى خاصة ببيع نصف دار مؤرخ فى (٢ جمادى الآخرة سنة ٨٦٧ هـ)، والوثيقة الأخرى خاصة ببيع حانوت ومخزون ببندر الطور بشبه جزيرة سيناء مؤرخة كذلك فى نفس الشهر والسنة التى تم فيها تحرير الوثيقة الأولى. وبالتحديد يوم ٢٧ جمادى الآخرة سنة (٨٦٥هـ).

والمتأمل فى نصوص هاتين الوثيقتين يلاحظ أنهما تتضمنان معلومات مهمة عن طريق وأساليب إنفاذ عقود البيع والشراء بين النصارى فى العصور الوسطى، وذلك من حيث ارتضاء كلا الطرفين: البائع والمشترى إنفاذ صيغ البيع والشراء وفق شريعة الإسلام، وذلك من حيث بداية نص العقد فنقرأ البسملة وعبارة الصلاة على جميع الأنبياء والمرسلين، ثم التحديد الدقيق للعقار المراد بيعه وأوصافه وجميع متعلقاته ومرافقه وملحقاته، ثم أسماء الشهود وفى أغلب الأحيان كانوا من المسلمين، كما أن تحرير العقد نجده منفذًا بالشهور العربية مثلما ورد فى السطور الأخيرة من نصوص كلا العقدين.

---

(١) د. عبد اللطيف إبراهيم: من وثائق دير سانت كاترين (ثلاث وثائق فقهية)، مستخرج من حوليات كلية الآداب، جامعة القاهرة سنة ١٩٦٣م، المجلد (٢٥)، جـ ١.

**أولًا: عقد بيع نصف دار ببندر الطور بشبه جزيرة سيناء مؤرخ بشهر جمادى الآخرة سنة ٨٦٧ هـ:**

هذا العقد النادر محفوظ فى مكتبة دير سانت كاترين برقم سجل (٢٧٧) المشترى يُدعى (المعلم سالم بن بشارة بن عامر النصرانى الملكى المعروف بابن عوينة المتسبب ببندر الطور).

أما البائع فيُدعى (المعلم موسى بن نصر الله بن يوسف النصرانى الملكى المعروف بابن الحصين المقيم ببندر الطور).

العقد منفذ على قطعة من ورق الكاغد أطوالها (٥ , ٢٧ ×٢٦ سم) وهى بحالة جيدة، عدد سطور العقد (٢٦ سطرًا)، كتب بأسلوب خط التحرير المخفف والمتداخل فى بعض حروفه وكلماته.

**نص العقد:**

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على جميع الأنبياء والمرسلين.

٢ـ اشترى المعلم سالم بن بشارة بن عامر النصرانى الملكى المعروف بابى عوينة المتسبب ببندر الطور المبارك بماله لنفسه من المعلم موسى بن نصر الله

٣ـ بن يوسف النصرانى الملكى المعروف بابن الحصين المقيم ببندر الطور المبارك جميع الحصة التى مبلغها النصف اثنى عشر سهمًا من أصل أربعة وعشرين

٤ـ سهمًا شايعا ذلك فى جميع الدار الكاينة ببندر الطور المبارك المعروفة قديمًا بدار بن كامل الكيال فى الغلال المشتملة على باب

٥ـ مربع يدخل منه إلى ساحة بها مخزنان مسقفان بالخشب النخل والقصب الفارسى على كل منهما باب خشب مربع الجميع مبنيين

٦ـ بالطوب اللبن محيط بذلك ولذلك منافع ومرافق وحقوق وحدود الجارى ذلك بيد البايع المذكور وملكه وتصرفه ما هو ستة أسهم من أصل

٧ـ أربعة وعشرين سهمًا من الدار المذكورة أعلاه منتقل إليه بالإرث الشرعى من قِبل والده نصر الله الهالك قبل تاريخه وما هو ستة أسهم من أصل

٨ ـ أربعة وعشرين سهمًا من الدار المذكورة بقية الحصة المذكورة منتقل إليه بالشراء الشرعى واحضر من يده كتاب ورق بلدى مشترا يدل

٩ ـ على صحة ملكه لذلك وخصم منها بذلك ما ينبغى خصمه بفصل موافق لتاريخه ولشهوده وتسلمها البايع المذكور بمعاينة شهوده ولذلك

١٠ ـ حدود أربعة: الحد القبلى ينتهى إلى دار حلاوة العبياتى والحد البحرى ينتهى إلى أرض خالد بن يوسف السلمانى وإلى أرض أحمد بن

١١ ـ أبى راجح السليمانى والد الشرقى ينتهى إلى ملك سالم بن السمين النصرانى الملكى المعروف الآن بملك الدين والحد الغربى ينتهى

١٢ ـ إلى الطريق المسلوك وفيه الباب بحد ذلك كله وحدوده وحقوقه وعامره ودامره وكل حق للحصة المذكورة داخل فيها وخارج

١٣ . عنها وما يعرف بها وينسب إليها وما استجد بها من بناء وغير ذلك المعلوم ذكره جميعه عنهما العلم الشرعى النافى للجهالة شرا

١٤ـ صحيحًا شرعيًا بثمن جملته من الذهب الأشرفى والظاهرى الطيب الوازن الخالص من الغش المتعامل به يومئذ بالديار المصرية

١٥ـ عشرون دينارا ذهبا نصف ذلك عشرة دنانير ذهبا زنة كل دينار منها بصنج الفضة درهم وقيراطان الجميع على حكم الحلول مقبوضًا

١٦ـ بيد البايع المذكور بمعاينة شهوده وباعترافه بذلك لشهوده ولم يتأخر له من ذلك شيء قل ولا جل واعتراف المشترى المذكور فيه

١٧ـ بتسلم جميع ما اشتراه فيه لنفسه تسلمًا شرعيًا بعد النظر والمعرفة والمعاقدة الشرعية والتقليب الشرعى والإحاطة بذلك

١٨ـ علمًا وخبرًا نافيين للجهالة وأسقط كل منهما حقه من الغبن فى ذلك والدعوى به الإسقاط الشرعى وضمن البايع المذكور فى

كتب ذلك ببندر الطور المبارك

١٩ـ ذمته وماله درك صحة المبيع فى الحصة المذكورة للمشترى المذكور الضمان الشرعى بالإذن الشرعى وأقرانه على بما ضمنه

٢٠ـ قادر عليه عارف بمعنى الضمان والمضمون له وما يترتب عليه شرعًا ووكلا فى ثبوت ذلك وسؤال الأشهاد وطلب

٢١ـ الحكم وابد الدفاع والمطعن ونفيه التوكيل الشرعى وبه شهد بتاريخ ثانى شهر جمادى الآخرة سنة سبع وستين وثمانمائة.

٢٢ـ شهد عليهما شهد عليهما بما نسب شهد عليهما بما نسب شهد عليهما بما نسب إليها.

٢٣ ـ بما نسب إليهما فيه فى تاريخه إليهما فيه فى تاريخه إليهما فيه فى تاريخه فيه فى تاريخه وكتبه إبراهيم .

٢٤ـ وكتبه عبد الله بن وكتب عبد الكريم وكـــتـــب محمد ابن عمر ابن احمد من أبـى بكر الشهير بالقويضى أحمد بن محمد ابن على المعايدى الاطفيحى عفا الله عنهم المنسوب إلى فيه صحيح على

٢٥ـ الزواعى الخطيب بجامع على ما نص وشرح أعلاه الطور

٢٦ـ وكتبه موسى بن نصر الله.

**التعليق على نص وثيقة بيع نصف الدار ببندر الطور والمؤرخ فى ٢ جمادى الآخر سنة ٨٦٧ هـ**

١ ـ بدأت الوثيقة بذكر البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم الصلاة على جميع الأنبياء والمرسلين، وهى بهذه الصيغة تتفق مع طرفى إنفاذ عقد البيع وهما من النصارى، فالبائع ويُدعى (المعلم موسى بن نصر الله بن يوسف النصرانى الملكى المعروف بابن الحصين، المقيم ببندر الطور)، أما المشترى فيدعى (المعلم سالم بن بشارة بن عامر النصرانى الملكى المعروف بابن عوينة)، ويلاحظ عدم وجود ذكر مستقل للصلاة والسلام على النبى محمد ﷺ ولكن وردت الصيغة بهذا النص: «وصلى الله على جميع الأنبياء والمرسلين» بعد البسملة مباشرة وفى السطر الأول نفسه من نص الوثيقة[1].

---

(١) عن صيغ البسملة انظر: القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ٦، ص ٢١٩-٢٢٩.

٢ ـ فى السطر الثانى من نص الوثيقة ورد ذكر لمدينة الطور وهى: مدينة فى سيناء[١] تقع على خليج السويس، وسيناء كما هو معلوم شبه جزيرة صحراوية فى مصر تقع بين البحر الأبيض المتوسط وخليج السويس والبحر الأحمر، تربط بين قارتى آسيا وإفريقيا، قاعدتها العريش، تقع مدينة الطور فى الجهة الجنوبية؟

كما أن هذه المدينة فى هذه الفترة التى كتب فيها العقد وحتى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح كانت تستخدم بوصفها ميناء مهمًا وصالح لاستقبال السفن، ولقد أشارت بعض الدراسات إلى أن ميناء مدينة الطور كان مرتبطًا بعدة طرق تجارية، خاصة بكل من موانئ جدة بالأراضى الحجازية، وكذلك موانئ الفرما والقلزم والقاهرة، ومنها أيضًا طرق برية وبحرية[٢].

كما أشارت كذلك بعض الدراسات العملية إلى أن سلاطين المماليك ربما أنشأوا قلعة للحراسة بمدينة الطور وأسسوا بهذه القلعة ديوانًا (جمركًا) لتحصيل الضرائب على التجارة البحرية والقوافل التجارية التى كانت تمر عبر ميناء وأراضى مدينة الطور آنذاك[٣].

أيضًا تجدر الإشارة إلى أن ميناء مدينة الطور بشبه جزيرة سيناء قد احتل هذه المكانة المتميزة عوضًا عن ميناء عيذاب فى البحر الأحمر بعد أحداث سنة ١٣٧٨م. حيث انحسر نشاط ميناء عيذاب عن الحركة التجارية فى هذا الوقت، واتجهت العناية بعد هذا التاريخ لميناء الطور، والذى أصبح فيما بعد ميناءًا تجاريًا مهمًا وبارزًا خلال القرن ٨ هـ/ ١٤م[٤].

٣ ـ فى السطرين الثانى والثالث من نص الوثيقة يلاحظ وجود ذكر لكلمة (نصرانى)، وهى تشير صراحة إلى ديانة طرفى البائع والمشترى، فهما من النصارى المقيمين ببندر الطور بشبه جزيرة سيناء، كما يلاحظ ارتباط اسم كل منهم بكنيته، فالبائع كنيته (ابن الحصين)، والمشترى كنيته (ابن عوينة)، وذلك على عادة العرب التى

---

(١) قاموس المنجد ى اللغة والأعلام: المرجع السابق، ص ٣٢٣ «الأعلام».

(٢) انظر فى ذلك: Ency. Islam. Art. Al Tur

(٣) د. عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق، ص ١١٠.

(٤) انظر فى ذلك: Heyd: Histoire du Commerce du Levant au Moyen Ages. T. 2. P. 444.

كانت ومازالت قائمة حتى اليوم، من ارتباط اسم كل شخص بكنيته التى اشتهر بها فى موطنه ومحل إقامته.

٤ ـ فى السطر الرابع نقرأ كلمة (شائعًا) وهى كلمة مرتبطة بمساحة نصف الدار المباعة وهى تفيد بأن الحصة (المساحة) المباعة شائعة فى كل المال (جميع الدار) وهى أيضًا لا تتركز فى جانب منها بالذات، وهى عبارة تفيد الملكية الشائعة وتميزها عن الملكية المفردة، كما أن الشىء المملوك فى الشيوع يملكه الشركاء مجتمعين، بل يملك كل شريك أو مشتاع حصة فيه، وهذا الأمر يميز الملكية الشائعة عن الملكية المشتركة، جدير بالذكر أيضًا أن العديد من فقهاء القانون يذكرون أن للمالك فى الشيوع الحق فى التصرف فى حصته الشائعة، وذلك بكل أنواع التصرفات القانونية ومنها بالطبع البيع، وذلك دون الحاجة إلى موافقة باقى المشتاعين، بحيث لا يلحق بهم أدنى ضرر.

كما أن هذا البيع يعتبر صحيحًا جائزًا، وذلك لأن المالك يبيع ما يملك كما يحل للمشترى فى هذا الوقت أن يصبح مالكًا على الشيوع وبالتحديد بنسبة الجزء الذى اشتراه فقط[1].

أيضًا وردت فى نص هذا السطر عبارة تفيد الاسم السابق لنصف الدار المباعة، حيث كانت تعرف سابقًا باسم (دار بن كامل الكيَّال فى الغلال، وهى حرفة (الكيَّال)، خاصة (كيل الغلال)، حيث كانت قوافل السفن التجارية تجوب هذه الأماكن، فكانت تمر وتعبر عبر ميناء الطور من جهة الشرق محملة بالعديد من السلع ومنها البهارات والتوابل والفلفل والقرفة... وغيرها، مما يستجلب من بلاد الهند وكذلك بلاد المشرق فى آسيا، كما أنها حرفة ومهنة كانت منتشرة فى هذه الفترة من التاريخ، وخاصة أن ميناء الطور ومدن شبه جزيرة سيناء كانت مزدهرة آنذاك تجارياً واقتصاديًا.

٥ ـ السطران (٥-٦) وردت بهما عبارات تتعلق بالوصف التفصيلى للجزء المباع من الدار، حيث وردت هذه العبارة: «باب مربع يدخل منه إلى ساحة بها مخزنان مسقفان بالخشب النخل والقصب الفارسى على كل منهما باب خشبى مربع

---

(١)انظر فى ذلك: د. محمد كامل مرسى: العقود المسماة، جـ ٦، (عقد البيع) ص ٥١٢-٥١٦.. أحمد إبراهيم: كتاب المعاملات، ص ١٣١.

الجميع مبنيين بالطوب اللبنى محيط بذلك ولذلك منافع ومرافق وحقوق وحدود...».

وهى فى واقع الأمر عبارة بالغة الأهمية تكشف عن الوصف التفصيلى لهذا الجزء من الدار، وذلك من حيث طريقة البناء وتسقيفه بخشب النخل والغاب المستورد من بلاد فارس، وهى توضح لنا كذلك أن الحركة التجارية كانت شاملة بلاد فارس أيضًا، حيث كان يستجلب نبات الغاب (القصب)، الذى كان يستخدم فى تسقيف بعض المنازل، كما أن عبارة (الباب المربع) الواردة فى مطلع السطر الخامس منتصف الوثيقة، تفيد بأن باب هذا الجزء من البيت ذو عتب مستقيم، وليس عتبًا بقنطرة (ليس مقنطرًا) كما هو معروف وشائع فى مصطلح المعمار الإسلامى.

كذلك وردت فى منتصف السطر السادس عبارات تشير إلى (منافع ومرافق وحقوق وحدود) بيد البائع المذكور وملكه وتصرفه، وهى عبارات توضح أن كاتب هذا العقد كان حريصًا عند كتابته ذكر كل ما قد يترتب عليه فساد صيغة العقد، وهو بذلك قد تحرَّى الدقة وإنفاذ الشرع الحنيف لضمان حقوق المشترى[١].

٦ ـ السطران (٧-٨) من نص الوثيقة كشفت لنا معلومات مهمة عن حدود الدار، ومدى نصيب البائع الذى ورث نصف هذه الدار عن والده (نصر الله) الذى توفى، وعبرت عنه الوثيقة بكلمة (الهالك)، والسطر الثامن وردت به عبارة (ورق بلدى) وهى إشارة تفيد بانتشار واستخدام نوعًا معينًا من الورق فى هذه الفترة الزمنية، وكان أغلب أنواع الورق المستخدم آنذاك هو الورق الشامى أو الحموى (نسبة لمدينة حماه فى سوريا)، وكما هو معلوم فإن الورق الشامى كان على نوعين شهيرين هما: الورق الحموى وهو أقل طولًا من الورق البغدادى، وأقل من هذا النوع كان هناك نوع آخر من الورق وهو الورق المصرى، وكان أيضًا على نوعين أو قسمين: قسم يطلق عليه القطع المنصورى، والقطع العادة، والمنصورى أكبر قليلًا من الورق العادة، وقلما يصقل وجهاه جميعًا، بينما الورق المصرى العادة فكان يصقل وجهاه وكان يُسمَّى فى عرف الوراقين بالورق المصلوح[٢].

---

(١) انظر فى ذلك: الكاسانى: بدائع الصنائع، جـ ٦، ص ١٨٨.. الزيلعى: تبيين الحقائق (شرح كنز الدقائق) جـ ٤، ص ٩.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ ٢، ص ٤٨٧، جـ ٦، ص ١٩١. Grohmann. A: From the World of Arabic Papyrii P. 24-46.

٧ ـ السطور (٩-١٣) كشفت لنا معلومات مهمة عن تفاصيل بيع هذا الجزء من الدار وذلك من حيث حدود الدار، فقد ورد ذكر الجيران الملاصقين لهذا العقار، ويلاحظ أنهم أيضًا كانوا من النصارى، ورد منهم ذكر اسم (سالم بن السمين النصرانى الملكى المعروف بملك الدين).

٨ ـ السطور (١٤-١٧) وردت بها معلومات عن ثمن وطريقة سداد قيمة هذا الجزء من الدار وهو (٢٠) دينارًا من الذهب الأشرفى والظاهرى، ولقد اشترطت الوثيقة أن تكون الدنانير من الذهب الطيب أو العيار الجيد والوازن الخالص والخالى من الغش، ومن الدنانير المتعامل بها فى الأراضى المصرية، خاصة أن التعامل بالدنانير الرديئة والمزيفة كان قد انتشرت فى العديد من الأراضى المصرية آنذاك، الأمر الذى أضعف الثقة فى هذه العملات المملوكية، خاصة فى قلة عيارها من الذهب، مما جعل الأنظار تتجه إلى النقد الذهبى الأجنبى مثل الدنانير الأفلورية أو الأفرنتية أو الدوكات البندقية... وغيرها.

وتجدر الإشارة إلى بعض الأسباب التى أدت إلى تراجع التعامل بالنقد المملوكى الجركسى، وفساد السكة الذهبية الجركسية ـ وزنًا وعيارًا ـ بصفه عامة، وكانت بسبب قلة الحصول على الذهب الأوربى، هذا بالإضافة لقلة استخراج معدن الذهب من مناجمه فى الأراضى المصرية، يضاف إلى ذلك أيضًا انتشار نظام (المقايضة) فى الأسواق[1].

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن الدولة سعت جاهدة لتحقيق استقرار التعامل المالى والنقدى فى الأسواق فعمدت إلى إعداد صنج لعيار المسكوكات وتحقيق وضبط أوزانها عن طريق شخص أطلق عليه اسم (المحتسب)، كانت من أعماله أيضًا مراقبة دار العيار فى الدولة، وهناك صنج أخرى كانت مخصصة لعيار الذهب، وورد فى نص الوثيقة التى نحن بصددها ذكر (صنج فضة) ضمن نصوص السطر (١٥) من الوثيقة، والصنج الفضة المقصود بها فى نص هذه الوثيقة ربما كانت هى الصنج (الطيارة) التى يتم من خلالها عيار الصنج المعدنية[2].

---

(١) توفيق اسكندر: نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجية فى العصر الوسيط ـ مجلة الجمعية التاريخية مجلد ٦ سنة ١٩٥٧.

(٢) الشيرزى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، نشر العرينى، ص ١٩، حاشية (٥).

أيضًا أشارت نصوص السطور السابقة إلى أن وزن الدينار الأشرفى يعادل وزن الدينار الظاهرى، فكل منهما يزن درهمًا وقيراطين أو درهمًا وثمن تقريبًا، أى ما يوازى (٣,٥١جم) باعتبار وزن الدرهم (٣,١٢جم)، والقيراط أو الخروبة (٠,١٩٤-٠,١٩٦ جم).

وكما هو معلوم فإن الدينار الأشرفى ينسب للفترة الزمنية التى تم فيها سك هذه العملات فى ظل حكم السلطان الملك الأشرف أبى النصر برسباى (٨٢٥-٨١٤هـ) وكان وزن ديناره يتراوح بين (٣,٣٨-٣,٤١جم) ويعتبر من أجود أنواع الدنانير التى ضربت فى عصر المماليك الجراكسة[1].

أما الدينار الظاهرى فينسب إلى فترة حكم السلطان الملك الظاهر أبى سعيد جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ) وكان وزن ديناره يتراوح بين (٣,٣٧-٣,٤٢جم).

جدير بالذكر أيضًا أن السلطان الظاهر جقمق، سار على سياسة السلطان برسباى فى تمصير الدنانير الأفلورية وكذلك إصلاح السكة الذهبية[2].

٩ ـ السطور (١٨-٢١)، ورد بهذه السطور اعتراف البائع المعلم موسى بن نصر الله بن يوسف النصرانى بقبض الثمن المذكور من المشترى المعلم سالم بن بشارة بن عامر النصرانى، وقد ألزمت نقل ملكية نصف الدار فى مقابل التزام المشترى بدفع الثمن، ويعتبر التسليم إلى المشترى من أهم التزامات البائع، وكما هو معلوم فإن عقد البيع يلزم البائع بتسليم العين إلى المشترى بالحالة التى كانت عليها وقت البيع بالوصف والمقدار الذى عين فى صيغة العقد.

١٠ ـ السطور (٢٢-٢٦) من نص الوثيقة يكشف لنا عن العديد من أسماء الشهود الذين حضروا تحرير هذا العقد وعددهم (خمسة شهود) ورد منهم ذكر أحد علماء مدينة الطور وهو خطيب جامع الطور (عبد الله بن أحمد بن محمد الزواعى)، كما يلاحظ أن جميع الشهود الخمسة كانوا من المسلمين ولم يرد ذكر لمسيحى واحد ضمن أسماء الشهود فى الوثيقة.

---

(١) انظر فى ذلك Lavoix:. Cat. De Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque National. T. 111. PP. 419-425.، المقريزى: السلوك، جـ ١١، ص ٣٧١، ٣٧٦.

(٢) انظر فى ذلك: Lane Pode:. Cat. Of the Collection of Arabic Coins. PP. 270-271.

**ثانياً: عقد بيع حانوت ومخزن ببندر الطور بشبه جزيرة سيناء مؤرخ فى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٨٩٢هـ. وللعقد وثيقة هامشية ملحقة به مؤرخة فى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٨٩٢هـ**

هذا العقد النادر محفوظ أيضًا بمكتبة دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء برقم سجل (٣٠٦)، وهذا الرقم سُجل به النصان المدونان بالعقد، فالنص الأصلى وهو الأقدم والمتعلق ببيع حانوت ومخزن ببندر الطور مؤرخ فى ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٨٦٥، بينما النص الآخر (الهامشى) كُتب بعد تحرير العقد الأصلى بنحو ٢٧ سنة تقريبًا، حيث ورد فى نهايته التاريخ وهو ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٨٩٢ هـ[١]، كما يلاحظ أن المشترى فى الوثيقة الأصلية ويُدعى (خليل بن يوسف بن نصير النصرانى الملكى المعروف بابن الحداد) هو نفسه البائع فى الوثيقة الهامشية الثانية.

ففى العقد الأول (الأصلى) يلاحظ أن طرفى البيع والشراء هم:

**البائع: سلمان بن عيسى بن جودة النصرانى الملكى.**

**المشترى: خليل بن يوسف بن نصير النصرانى الملكى عرف بابن الحداد.**

بينما النص الآخر (الهاشمى) فيلاحظ أن طرفى البيع والشراء هم:

**البائع: خليل بن يوسف بن نصير النصرانى الملكى عرف بابن الحداد.**

**المشترى: القسيس مقارى بن مسلم بن شبرى النصرانى الملكى.**

وفى واقع الأمر إن كلا النصين فى هذه الوثيقة التى تحمل رقم سجل واحد بمكتبة الدير وهو رقم سجل (٣٠٦)، يكشفان معلومات مهمة عن أساليب البيع والشراء بين أهل الذمة خلال العصور الوسطى، ومدى ارتضائهم انفاذ شريعة الإسلام فى عقود بيعهم وشرائهم.

**أولًا: النص الرئيسى (عقد بيع حانوت ومخزن ببندر الطور):**

كتب هذا النص على قطعة من الجلد أطوالها: (٥ , ١٢٢×٣٨سم)، حالتها جيدة،

---

(١) د. عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٠٦.

والنص الرئيسى يتضمن كتابة منفذة بأسلوب خط التحرير المخفف، عدد سطورها (١٩) سطرًا.

**نص الوثيقة الرئيسة (الأم):**

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلى على جميع الأنبياء والمرسلين .

٢ ـ اشترى خليل بن يوسف بن نصير النصرانى الملكى عرف بابن الحداد وهو معروف بماله لنفسه من سلمان بن عيسى بن جودة

٣ ـ النصرانى الملكى عرف بجدة جميع الحانون والمخزن الآتى ذكر ذلك ووصفه وتحديده فيه الجارى ذلك بيد البايع

٤ ـ المذكور فيه وملكه وتصرفه وأحضر من يده مكتوب رق مؤرخ باطنه بالتاسع من شهر تاريخه يشهد له بذلك وخصم

٥ ـ المذكور فيه بقضية هذا التبايع المذكور فيه فى تاريخه بشهادة شهوده وهذه الحانوت والمخزن المبيعان فيه ببندر

٦ ـ الطور المبارك ومن صفتهما على ما دل عليه باطن المكتوب المذكور فيه وهو أن الحانوت المذكورة تشتمل على مصطبة وباب يُغلق عليه

٧ ـ زوجا باب ويحيط بذلك حدود أربعة: القبلى إلى ملك عبد الله بن حلاوة والبحرى إلى الطريق وفيه باب

٨ ـ الحانوت المذكورة والشرقى إلى حانوت محمد الحريرى والغربى إلى المخزن المذكور أعلاه ويشتمل المخزن المذكور فيه على باب

٩ ـ مسقف غشيما ويحيط بذلك حدود أربعة القبلى إلى مخزن سرور والبحرى إلى دكان الرهبان ودكان

١٠ ـ محمد حلاوة والشارع وفيه الباب والغربى إلى الدكان المذكورة فيه بحد كل من ذلك وحدوده

١١ ـ وحقوقه وما يعرف به وينسب إليه المعلوم ذلك عند المتبايعين المذكورين أعلاه العلم الشرعى النافى للجهالة اشترا

١٢ ـ شرعيا تاما بما مبلغه عن ذلك من الذهب الظاهرى والأشرافى الجيد المتعامل
به يومئذ بالديار المصرية حماها الله تعالى

١٣ ـ أربعون دينارًا نصفها عشرون دينارًا الجميع على حكم الحلول أقر البايع
المذكور فيه بقبض جميع الثمن المعين فيه على

١٤ ـ التمام والكمال ولم يتأخر له بسبب ذلك مطالبة واعترف المشترى المذكور فيه
بتسلم ما ابتاعه فيه تسلمًا شرعيًا بعد النظر

١٥ ـ والمعرفة والتخلية وصدر بين المتبايعين المذكورين أعلاه فى ذلك معاقدة
شرعية بالإيجاب والقبول وتصادقًا على ذلك

١٦ ـ التصادق الشرعى ووكلا فى ثبوت ذلك وطلب الحكم به التوكيل الشرعى وهما
فى صحة وسلامة وطوع واختيار فى اليوم

١٧ ـ السابع والعشرين فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين وثمانمائة
حسبنا الله ونعم الوكيل

١٨ ـ شهد عليهما بذلك: شهد عليهما بذلك
شهد عليهما بذلك

١٩ ـ عبد الرحمن أحمد الحسامى، محمد بن على المتوفى
عمر بن حسن النووي.

**ثانيًا: الوثيقة الهامشية:**

كما أشرت من قبل فإن نص هذا الجزء من الوثيقة يعتبر مكملًا للنص الأصلى، على الرغم من وجود فارق زمنى كبير بين كلا النصين، فى حدود ٢٧ سنة تقريبًا، كما يلاحظ أن المشترى فى النص الأصلى ويدعى (خليل بن يوسف بن نصير النصرانى) هو البائع فى الوثيقة الهامشية، ربما تعثرت أحواله بعد ٢٧ سنة فرغب فى بيع هذا العقار لأحد رجال الدين المسيحى ويدعى (القسيس مقارى بن مسلم بن شبرى)، والنص منفذ فى (٣٠ سطرًا) ومؤرخ فى ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٨٩٢ هـ، ويلاحظ ورود اسم شاهدين من المسلمين فى نهاية نصر العقد.

**نص الوثيقة الهامشية:**

١ ـ الحمد لله رب العالمين.

٢ ـ الحمد لله وحده.

٣ ـ جرى ذلك

٤ ـ بمجلس الحكم العزيز الشافعى بخط وكالة قوصون

٥ ـ بين يدى سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ

٦ ـ الإمام العالم العلامة سراج الدين شرف العلما

٧ ـ أوحد الفضلا مفتى المسلمين أبى حفص عمر النووى

٨ ـ الشافعى خليفة الحكم العزيز بالديار المصرية

٩ ـ أيد الله تعالى أحكامه وأحسن إليه اشترى

١٠ ـ القسيس مقارى بن مسلم بن شبرى النصرانى الملكى المعروف باسمه

١١ ـ وهو معرف بماله لنفسه من خليل المشترى المذكور قرينه

١٢ ـ وهو معروف جميع الحانوت والمخزن الموصوف

١٣ ـ كذلك المحدود قرينه ويستغنى بوصف ذلك وتحديده

١٤ ـ قرينه عن الإعادة ها هنا المعلوم ذلك عند المتبايعين

١٥ ـ المذكورين أعلاه العلم الشرعى النافى للجهالة اشترى

١٦ ـ صحيحًا شرعيًا بثمن جملته من الذهب الموصوف قرينه

١٧ ـ أربعون دينارا نصف ذلك عشرون دينارا

١٨ ـ الجميع على حكم الحلول أقر البايع المذكور فيه

١٩ ـ بقبض جميع الثمن المعين فيه على التمام

٢٠ ـ والكمال ولم يتأخر له بسبب ذلك مطالبة واعترف

٢١ ـ المشترى المذكور فيه بتسلم ما ابتاعه فيه تسلمًا شرعيًا.

٢٢ ـ بالتخلية الشرعية بعد النظر والمعرفة والتقليب الشرعى.

٢٣ ـ والمعاقدة الشرعية بالإيجاب والقبول الشرعيين.

٢٤ ـ وتصادقًا على ذلك التصادق الشرعى ولما تكامل ذلك.

٢٥ ـ وتم الإشهاد به عليهما وهم فى صحة وسلامة وطوع واختيار.

٢٦ ـ حكم سيدنا الحاكم المشار إليه أعلاه.

٢٧ ـ أدام الله تعالى شرفه وعلاه لكل منهما على الآخر بموجب ما أشهد به على نفسه أعلاه على ما نص وشرح أعلاه حكمًا صحيحًا شرعيًا تامًا معتبرًا مرضيًا مسيولًا.

٢٨ ـ فى ذلك متسوفيًا شرايطه الشرعية وأشهد على نفسه الكريمة بذلك فى اليوم المبارك السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنين وتسعين وثمانيمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٢٩ ـ شهد عليهما بذلك      شهد عليهما بذلك

٣٠ ـ محمد بن محمد بن عمر النووى      محمد بن عمر النووى

**التعليق على نص عقد بيع الحانوت والمخزن ببندر الطور بشبه جزيرة سيناء (من وثائق دير سانت كاترين المهمة**

المتأمل فى صيغة هذا النص الوثائقى النادر يلاحظ أنه تضمن العديد من المعلومات والبيانات والإحصاءات التى قلما نجدها فى نصوص مواد أخرى غير الوثائق التاريخية المملوكية، نذكر منها:

١ ـ ورود البسملة فى السطر الأول من النص، ملحقًا بها بالسطر نفسه أيضًا الصلاة على جميع الأنبياء والمرسلين، خاصة أن طرفى العقد كانا من أهل الذمة النصارى المقيمين ببندر الطور.

٢ ـ السطور (٢-٥) وردت بهذه السطور معلومات مهمة عن أسماء كل من البائع

والمشترى، كما أوضح السطر الرابع عبارة تفيد بكتابة عقد البيع على قطعة من (الرق) وهى إحدى أبرز مواد الكتابة فى العصر الإسلامى، خاصة فى العصور الوسطى.[1].

٣ ـ السطور (٦-١٠) وردت بها عبارات تفيد بوصف كامل اللعقار المباع وهو (حانوت ومخزن) ببندر الطور، كما أشارت السطور أيضًا إلى بعض التفصيلات فى هذه العقارات المباعة، منها ما ورد فى نهاية السطر السادس من اشتمال الحانوت على (مصطبة)، حيث كان من عادات بعض الحوانيت فى العصور الوسطى وجود مصاطب أمامها، ولذلك كانت أرضية هذه الحوانيت مرتفعة عن مستوى أرضية الشارع بمقدار متر تقريبًا، وكانت تمتد خارج باب الحانوت نفسه بوصفها مصطبة لعرض السلع والبضائع عليها، خاصة فى الشوارع التجارية الرئيسية فى المدن الرئيسة مثل القاهرة والإسكندرية ورشيد... وغيرها وقد تكون المصطبة عبارة عن عدة مجاديل من الحجر أو الرخام محمولة على كباش أو حرمدانات بارزة، وقد تبنى بالحجر وكانت تبلط فى بعض الأحيان، كما كان المحتسب يراعى نظافة هذه المصاطب ويأمر بعدم خروجها عن الحدود المنظمة للشارع حتى لا تصطدم بالمارة فى الشارع، وقد هدم كثير من المصاطب زمن الحملة الفرنسية على مصر[2].

٤ ـ السطور (١١-١٥) وردت بها معلومات مهمة عن ثمن هذه الصفقة (حانوت ومخزن) وهو (أربعون دينارًا) بالتمام والكمال، كما ورد فى مطلع السطر (١٤) من نص الوثيقة، كما وردت عبارة (الإيجاب والقبول) فى نهاية السطر (١٥) وهى عبارة يفهم منها أن العقد شرعى وصحيح وتحققت فيه الأركان والشروط التى لابد من وجودها وتنفيذها من قِبل البائع والمشترى، وكما هو معلوم فإن أى عقد هو عبارة عن ربط بين كلامين أو عبارتين صادر كل منهما عن طرف، والواقع أن كل عبارة تصدر من طرفى عقد البيع تعتبر إيجابًا، وأن تسمية إحداهما إيجابًا والأخرى قبولا ليست إلا تسمية اصطلاحية فقط.

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٢، ص ٤٨٤ - ٤٨٨. ابن خلدون: المقدمة ص ٣٩٩، ابن النديم: الفهرست، ص ٣١.

(٢) الشيرزى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، نشر العرينى، ص ١١، حاشية (٢)، الجبرتى: عجائب الآثار، جـ ٣، ص ١٦١، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جـ ٢، ص ١٤٠.

٥ ـ السطور (١٦-١٩) وردت بهذه السطور معلومات عن التصادق الشرعى لإنقاذ العقد، حسب رغبة وصحة وسلامة وطوع واختيار كل من البائع والمشترى، ثم ورد بهذه السطور أيضًا تاريخ إنفاذ العقد وهو السابع والعشرون من جمادى الآخرة سنة خمس وستين وثمانمائة. ثم ورود عدد ثلاثة أسماء من الشهود فى نهاية النص.

**التعليق على النص الهامشي:**

١ ـ بدأ هذا الجزء من نص الوثيقة الهامشية بـ (الحمد لله رب العالمين)، ثم ورود تفصيلات دقيقة لإنفاذ هذا العقد فى وقت آخر وهو سنة ٨٩٢ هـ.

٢ ـ السطور (٤-١٠) تفيد بتحديد دقيق لمكان كتابة هذا العقد وهو وكالة قوصون، على يد العالم والفقيه أبى حفص عمر النووى، كما ورد اسم المشترى وهو القسيس (مقارى بن مسلم بن سبرى النصرانى).

٣ ـ السطور (١١-١٧) وردت بها معلومات عن حدود العقارين والثمن المدفوع فيهما وهو (٤٠ دينارًا) ثم طرقة سداد هذا المبلغ.

٤ ـ السطور (١٨-٢٤) وردت بهما معلومات عن تمام إنفاذ الصفقة من حيث التسليم والتسلم (بالتخلية الشرعية) بعد النظر والمعرفة والتقليب الشرعى والمعاقدة الشرعية بالإيجاب والقبول.

٥ ـ السطور (٢٥-٣٠) وردت بها معلومات عن الإشهاد على إنفاذ الصفقة وأسماء الشهود وعددهم شاهدان ربما كانا رجل وابنه.

وعلى العموم فإن هذا النص الهامشى ربما يشير إلى حقيقة أن البائع الذى اشترى هذا الجزء من العقار وهو خليل بن يوسف بن نصير النصرانى ربما تعثرت أحواله وضاقت أمور معيشته، فبعد مرور ٢٧ سنة من شرائه العقار باعه لأحد رجال الدين المسيحى (القسيس مقارى بن مسلم بن شبرى) وهى إشارة واضحة للأمور المعيشية فى القرن التاسع الهجرى فى هذه البقعة من أرض مصر.

## الفصل السادس

## فهرس المصطلحات الكنسية الواردة فى بعض المراجع المسيحية

هذا الجزء من الدراسة يعتبر أهم الأجزاء المكملة، نظرًا لأهميته فى إبراز معلومات مهمة عن بعض المصطلحات الكنيسة التى تتردد كثيرًا فى أروقة الكنائس والمعابد حتى اليوم، رغبت فى إضافتها لهذه الدراسة وذلك لإبراز أهميتها العلمية والبحثية، وكذلك لعدم فهم بعض مقاصدها من قِبل بعض الباحثين العرب، وحرصت على أن تكون بشكل موجز ومختصر، تم اقتباسها وجمعها من بعض المصادر والمراجع والنصوص الدينية المسيحية العربية والأجنبية، وهى تعتبر إضافة بالغة الأهمية ومكملة للبحث، ويُلاحظ أن بعض هذه المصطلحات مازال يستعمل حتى اليوم فى العديد من الكنائس ودور العبادة المسيحية فى مصر وسوريا ولبنان والأردن... وغيرها.

ويعذرنى القارئ الكريم إذا ما صادف بعض العبارات النصرانية التى يتجنب ذكرها بعض المسلمين، حيث إنها مقتبسة أحيانًا من نصوص بعض الأناجيل، وقد حرصت على أن تكون هذه المصطلحات مفهرسة حسب الأبجدية العربية، وهى شاملة أغلب النصوص والطقوس الدينية فى الكنائس، ومازالت تُستعمل حتى اليوم فى هذه الأماكن، وفى الأمور اليومية داخل الكنيسة، وهى تتناسب كما ذكرت من قبل مع موضوع الدراسة وهو عن الأوقاف الإسلامية على رهبان دير سانت كاترين ومدى ما حظى به الرهبان من عناية سلاطين وخلفاء وأمراء وولاة أمور المسلمين فى العصور الوسطى.

١ ـ آب[١]

«الأب» هو الوالد أو المربى، وجمعه «آباء»، أما «الآب» بمد الألف فهى فى أصلها سريانية، دخلت اللغة العربية بمعنى الأصل أو الأساس، واختصت بالأقنوم الأول من الثالوث، وليس لها جمع. و«أبا» Abba بتشديد الباء، آرامية معناها «أب ـ Father» أو «آب» وقد وردت ثلاث مرات فى كتاب العهد الجديد (مرقس ١٤:٣٦، رومية ٨ : ١٥، غلاطية ٦ : ٤) حيث اقترنت الكلمة فى كل مرة بمرادفها اليونانى، فجاءت «أبا الآب» ومنها «آباس» فى اليونانية.

أما «أبوت ـ Abbot» فهو رئيس أى رهبانية غربية. ورتبة الأبوت فى الكنيسة الغربية تقابل رتبة «الإيغومانوس ـ القمص» الحالية، أو رتبة «الأرشمندريت ـ رئيس المتوحدين»، فى بعض الرهبانيات الشرقية، وهى رتبة قد اندثرت فى الرهبنة القبطية.

و«الأبا» بدون تشديد الباء فهى قبطية بمعنى «آب». ومازالت الكلمة «أبا» هى النداء الذى يوجه للوالد فى صعيد مصر. أما «الأباتي» فهى دخيلة من الإيطالية، وقد تخفف فتقال «أباتي» وهى تطلق فى الكنيسة المارونية على رئيس الرهبانية العام.

أما «أنبا» فهى ترجمة للكلمة القبطية «Abba»، المأخوذة أصلًا من اليونانية وهو لقب اختص فى الكنيسة القبطية بالآباء الأساقفة ومشاهير النسَّاك الأوائل الذين أسسوا الحياة الرهبانية، أو أثروها بسيرتهم الصالحة، حتى ولو لم يحملوا أى درجة كهنوتية.

وآباء الكنيسة هم معلمو الإيمان كما تسلموه من الذين سبقوهم بحسب التسلسل الأسقفى رجوعًا إلى الآباء الرسل القديسين. وفى الكنيسة القبطية يدعى الرهبان والكهنة والأساقفة بلقب «آباء». والعلمانيون الأتقياء يدعون أيضًا فى الليتورجية القبطية «آباء» وهم الأراخنة أى مقدمو الشعب. وفى الكنائس الشرقية، إن كان يلزم أن

---

(١)- Cross. F. L:. & Livingstone. E.A.:. the Oxford Dictionary of the Christian Church (ODCC). 2nd edition. 1988. p. 1306.

يكون «أب الاعتراف» من الآباء الكهنة، إلا أن «الأب الروحي» أو «المرشد الروحى» يمكن أن يكون من العلمانيين أيضًا، وهو ما نراه أكثر وضوحًا فى كنيسة روسيا وذلك فيمن يدعى «ستارتس ـ Startz. والكلمة فى الروسية تعنى: «رجل متقدم فى السن An old Man»، وهو بمثابة قائد دينى يتسم بتقوى شخصية وموهبة روحية تؤهله للإرشاد الروحى وقيادة النفوس للتوبة والخلاص. ولست له رتبة كنسية إذ يكون عادة واحدًا من الرهبان، ولكن يمكن أن يكون أيضًا أحد العلمانيين سواء كان رجلًا أو امرأة.

**٢ ـ الآباء الرسوليون The Apostolic Fathers** (١)

يظن أن القديس ساويرس البطريرك الأنطاكى (٤٦٥-٥٣٨م) هو أول من استخدام عبارة «الآباء الرسوليين». أما الاستخدام الحديث للاسم فكان على يد «كوتلييه J.B. Cotelier» الذى نشر بعض كتاباتهم فى باريس سنة ١٦٧٢م. ومنذ ذلك الوقت نشطت دراسة كتابات هؤلاء الآباء حتى كان القرن العشرين حين كانت الطفرة الكبرى فى دراسة كتابات هؤلاء الآباء. و«الآباء الرسوليون» هم الكتَّاب الكنسيون الذين عاشوا فيما بين القرنين الأول والثانى الميلاديين، وكانت لهم صلة بالآباء الرسل القديسين وتتلمذوا عليهم وسمعوا تعاليمهم، أو تتلمذوا على تلاميذ الرسل وسمعوا تعاليمهم المتناقلة عنهم، وعاشوا فى الفترة التى أعقبت مباشرة أولئك الذين دونوا الأسفار المقدسة الخاصة بالعهد الجديد.

**٣ ـ أجنبية Horologion** (٢)

الكلمة معربة عن اللفظة القبطية (آجب) أى «ساعة أو زمن»، لتشير إلى كتاب «صلوات السواعى»، فهو فى الكنيسة القبطية يسمى «أجنبية»، وفى الكنيسة السريانية يسمى «أشبية» ويضمها كتاب الإشحيم، وفى الكنيسة الأثيوبية يمسى «ساعاتات ـ

(١) أثناسيوس (الراهب القس أثناسيوس المقارى راهب من الكنيسة القبطية): معجم المصطلحات الكنسية، الجزء الأول، مطبعة دار نوبار، شبرا ـ الطبعة الأولى سبتمبر ٢٠٠١، الطبعة الثانية، سبتمبر ٢٠٠٤، ص ١٢.

(٢) الأنبا غبريال الخامس (البطريرك القبطى الـ ٨٨-١٤٠٩-١٤٢٧م): الترتيب الطقسى، مطبوعات المركز الفرنسيسكان للدراسات المسيحية الشرقية، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤ ص ٦٣-٦٤. كتاب السواعى الكبير: منشورات النور، سنة ١٩٨٧م، ص ١٠٠.

Sa'atat، وفى الكنيسة البيزنطية يسمى NoigoloroH، وفى الكنيسة اللاتينية يسمى «Breviarium» أو «Roman Breviar». فالأجنبية كتاب يحوى السبع صلوات الليلية والنهارية التى تعرفها الكنيسة الجامعة.

وخدمة صلوات المزامير هى خدمة كنسية قائمة بذاتها تسلمت الكنيسة المسيحية أصولها الأولى من صلوات الهيكل اليهودى، ومازالت تمارس بوصفها خدمة مستقلة فى جميع الأديرة. ولقد انتقل طقسها الرهبانى من مصر أولًا إلى كافة رهبانات العالم المسيحى شرقًا وغربًا. وكانت العادة القديمة فى أديرة الشرق أن يُقرأ كتاب المزامير كله (سفر المزامير) على مدى اليوم، ثم امتدت الفترة إلى ثلاث أيام، ثم أصبح يُقرأ على مدى الأسبوع. وقد قسم سفر المزامير إلى اثنى عشر جزءًا، يسمى كل جزء منها «Kathisma»، ويحوى كل جزء سبع أو ثمانى مجموعات من المزامير. وإن «تاب صلوات السواعى» هو من أكثر الكتب الطقسية فى الكنيسة تعرضنًا للتطور على مدى القرون المتتابعة.

أما فى كنائس المدن أو الكاتدرائيات فقد دخلت صلوات المزامير مؤخرًا وبالتدريج فى صلب صلوات القداس الإلهى بوصفها صلوات تهيئة واستعداد له، وهو ما صار واضحًا بعد القرن الخامس الميلادى. ولم تكن صلوات المزامير فى القداس الإلهى بطقسها التى هى عليه الآن طبقًا للمناسبات الكنسية المختلفة من أصوات وأعياد، حيث كان لحن «أللى القربان» هو اللحن كل الزمن الذى يحتاجه الكاهن منذ أن يبدأ فى فرش المذبح حتى ينتهى من اختيار الحمل.

والأجنبية فى الكنيسة القبطية تحوى ٧٧ مزمورًا، مع فصول من الأناجيل، وصلوات قصيرة تُسمى «قطع»، وكثير من هذه القطع أو الصلوات القصيرة هى قطع مشتركة بين الكنيستين البيزنطية والقبطية، ولاسيما كل قطع صلوات السواعى الثالثة والسادسة والتاسعة التى تصل بين الكنيستين إلى حد التطابق.

**٤ ـ أرثوذكس Orthodox** [١]

أرثوذكس تعريب للكلمة اليونانية (أرثودوكسوس) أو (أوثودوكسى) أى «مستقيم

---

(١)أثناسيوس (راهب من الكنيسة القبطية): معجم المصطلحات الكنسية، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م، الجزء الأول، ص ٦١.

الرأى» ومنها الفعل اليونانى (أورثودوكسيؤ) الذى يعنى «لديه فكرة صائبة صحيحة (عن شيء)». والإيمان الأرثوذكسى هو إيمان الكنيسة الجامعة قبل الانشقاق مقابل إيمان الهراطقة. وهو ما يذكره المرد القديم فى أوشية سلام الكنيسة، حين يقول الشمَّاس: «صلوا من أجل سلام الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية».

أما الأرثوذكس فهم شعب الكنيسة الشرقية بعد أن انفصلت الكنيستان الشرقية والغربية عن بعضهما نهائيًا فى مارس سنة ١٠٥٤م.

**وينقسم الأرثوذكس إلى:**

أرثوذكس لاخلقيدونين، وهم الذين لا يعترفون بقرارات مجمع خلقيدونية الذى عقد سنة ٤٥١م، وهم يمثلون اليوم ٦ كنائس فى الشرق هم: الكنيسة القبطية والكنيسة الإثيوبية، والكنيسة الإريترية، والكنيسة السريانية الأنطاكية، والكنيسة الهندية فى مقاطعة المالابار، والكنيسة الأرمينية.

أرثوذكس خلقيدونين، وهم يمثلون اليوم فى الشرق ١٩ كنيسة هم: أربع بطريركيات قديمة هى القسطنطينية ـ الإسكندرية ـ أنطاكية ـ وأورشليم. وخمس بطريركيات حديثة هى روسيا ـ صربيا ـ رومانيا ـ بلغاريا ـ وجيورجيا. وست كنائس مستقلة «Autocephalous Churches» هى: قبرص ـ اليونان ـ تشيكوسلوفاكيا (سابقًا) ـ بولندا ـ وألبانيا ـ وجبل سيناء. وأربع كنائس لها الحق الذاتى فى إدارة شئونها «Autonomous Churches» هى: فنلندا ـ اليابان ـ أمريكا ـ والصين.

وتعترف الكنائس الأرثوذكسية الرقية القديمة (اللاخلقيدونية) بثلاثة مجامع مسكونية فقط هى: نيقية (٣٢٥م)، والقسطنطينية (٣٨١)، وأفسس (٤٣١م). وبتسعة مجامع مكانية هى: قرطاجنة (٢٥٧م)، أنقرة (٣١٤م)، قيصرية الجديدة (٣١٥م)، غنغرا (٣٤٠م)، أنطاكية (٣٤١م)، سرديقة (٣٤٣م)، اللاذقية، القسطنطينية (٣٩٤م)، وقرطاجنة (٤١٩م).

**٥ ـ أرخن Chief** [1]

أرخن كلمة يونانية تعنى «حاكم ـ قائد ـ آمر ـ رئيس ـ ربُان»، وانتقلت الكلمة كما هى إلى القبطية. والقديس اسطفانوس الشهيد يدعو موسى النبى «رئيسًا وفاديًا».

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق جـ١ ص ٦٦.

وتُستخدم الكلمة فى المصطلح الكنسى حاليًا لتفيد معنى الرجل العلمانى المتقدم بين شعب الكنيسة، الأراخنة هم مقدمو الشعب. فإلى جانب مراكزهم الروحية والتقوية التى تجعل منهم قدوة صالحة لجميع العلمانيين فى الكنيسة، فهناك أيضًا مراكزهم الاجتماعية التى تؤهلهم لخدمة الكنيسة وشعبها.

ويختص الكتاب الأول من الكتب الثمانية للمراسيم الرسولية (النصف الأول من القرن الرابع) بالحديث عن: «وصايا عامة بخصوص العلمانيين»، سواء للرجال منهم أو النساء.

كما ورد ذكر الأراخنة أيضًا فى قوانين هيبوليتس «إذا عمل أحد الأراخنة وليمة أو عشاء للفقراء، فليكن الأسقف حاضرًا وقت إيقاد السراج، وليقم الشمَّاس ليوقده ...». وورد ذكرهم أيضًا فى القانون الثانى من قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية.

**٦ ـ أرشيدياكون Archdeacon** [1]

الكلمة يونانية وتعنى «رئيس الشمامسة» ويُسمى عند السريان «أرخيدياقون» ورتبة الأرشيدياكون قديمة فى الكنيسة، فحسب التقليد كان القديس اسطفانوس أول شهداء المسيحية، رئيسًا للشمامسة، ووضحت كرامة هذه الرتبة فى الكنيسة منذ أيام الباب أثناسيوس الرسولى حين كان رئيسًا لشمامسة كنيسة الإسكندرية فى زمن الباب ألكسندروس (٣١٢-٣٢٨م) الـ ١٩ من باباوات الكرازة المرقسية.

والأرشيدياكون هو راعى الطقوس الكنسية، وعليه مراعاة قلوب الطغمات التى دونه لأنه راعيهم. وهو عالم خبير بالكتب المقدسة وكتب الكنيسة الطقسية كلها، وهو يعتبر رأى ومشورة الأسقف فى تقدمه من يختار لرتبة من رتب الكهنوت. ويتلو بعض الصلوات الخاصة فى الرسامات الكهنوتية. وهو لسان البيعة فى كل ما يسأله الأسقف عنه. ويفصل فى منازعات الشمامسة دون أن يرفعها إلى الأسقف لأنهم تحت حكمه. وله أن يقرب الكأس المقدس. وهو يرتدى زيًا خاصًا.

وفى حال رسامته فى كل الطقوس الشرقية لا توضح عليه اليد لأنه رئيس رتبة

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ٧٠.

الشماسية، وسبق أن وضعت عليه اليد حينما سيم شماسًا، باستثناء الطقس السريانى الشرقى (طقس الكنيسة الآشورية، أى النسطورية) الذى يعتبر هذه الرتبة درجة كهنوتية تمنح بعد مراسيم خاصة، وفى هذه الطقس أيضًا تمنح هذه الرتبة لرئيس الأديرة العام.

وكان الأرشيدياكون فى بعض الطقوس الشرقية القديمة، يترأس القسوس، ويترأس بالتالى جميع الرتب الكنسية فى غياب الأسقف.

وقد أكتمل طقس هذه الرتبة بوضعه الذى نعرفه الآن منذ القرن التاسع الميلادى فى الكنيسة القبطية باستثناء تعديلات طفيفة مثل إبطال حمل الأرشيدياكون عكازًا فى الكنيسة رأسه بدون صليب تمييزًا له عن عكاز البابا البطريرك أو الأسقف.

وفى العقود الأخيرة غابت الملامح الرئيسة لهذه الرتبة فى معظم الطقوس الشرقية، وأصبحت رتبة شرفية أكثر منها رتبة ذات اختصاصات كنسية محددة.

**٧ ـ أرشميندريت** Archimandrite [١]

الكلمة اليونانية (أرشميندريتيس) تعنى «حاكم قطيع أو مدبر رعية»، واستُخدم هذا الاصطلاح فى الكنائس الشرقية منذ القرن الرابع الميلادى، باستثناء الكنيسة السريانية، وقد انحصر استخدامه فى معنيين:

المعنى الأول: راهب فى درجة متقدمة «Superior Monastic» وهو يقابل رتبة الـ«Hegumenos»، هيغومانوس (القمص) أى المدبر، فى الكنيسة الشرقية، أو رتبة الـ«Abbot» أى «أب الرهبنة» فى الكنيسة الغربية.

المعنى الثانى: رئيس مجموعة أديرة. ومثاله فى ذلك الأنبا شنودة رئيس المتوحدين فى الكنيسة القبطية، وهو مثال فريد فيها. ولقد وجد فى فلسطين فى القرن السادس اثنان من الأرشيمندريت، أحدهما مدبر لجماعة رهبانية تعيش حياة الشركة، والآخر مدبر لجماعة متوحدين.

ويستخدم هذا الاسم حاليًا فى الكنيسة اليونانية ليلقب به بعض الإكليروس من

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ١، ص ٧٣

الرهبان باعتبار ذلك نوعًا من التكريم، ولا يستوجب الأمر فيمن يسمى بهذا الاسم أن يكون مدبرًا لجماعة رهبانية كما كان سابقًا.

**٨ ـ أسقف** Bishop [١]

الكلمة اليونانية (إبيسكوبوس) تعنى (الناظر ـ الرقيب من أعلى ـ الحارس «Guardian»). وهى أعلى درجة كهنوتية فى الكنيسة المسيحية. فيتميز الأسقف عن باقى الدرجات الكنسية الأخرى بأنه يرسم الكهنة من دون رتبته، إثر تسلسل أسقفى يمتد راجعًا حتى إلى الآباء الرسل القديسين.

وهو أيضًا، مدبر الإكليروس ورئيس الشعب كله. فالأسقف هو مدبر الكنيسة وراعيها ومعلمها. وهو يدعى فى الكنيسة الجامعة بلقب «رئيس الكهنة». وهذا اللقب الأخير يرد فى نصوص الصلوات الليتورجية فى الكنيسة القبطية الخاصة ببطريرك كنيسة الإسكندرية.

وكل هذه الصفات أو الألقاب توضح المظاهر المختلفة لأبوته الروحية، واختصاصه المباشر بأسرار الكنيسة، وكل جوانب الحياة الليتورجية فيها فهو وحده المنوطة به مسئولية تتميم الأسرار الكنسية المقدسة، أو من ينيبهم عنه فى ذلك من الآباء الكهنة المساعدين له فى الإيبارشية.

**٩ ـ الاعتراف** The Confession [٢]

كلمة (أومولوجيا) تعنى: «الاعتراف أو الإقرار»، وهناك كلمة يونانية أخرى ذات مصطلح ذى معان كنسية كثيرة هى:

الاعتراف بالمسيح أو الإقرار بالإيمان.

ويقصد باصطلاح «الاعتراف» أيضًا اعتراف الإيمان الذى يردده الكاهن جهارًا فى الطقس القبطى، وذلك فى نهاية القداس وقبل التناول مباشرة.

وتطلق الكلمة أيضًا على سر التوبة والاعتراف حين يقدم النائب اعترافًا شفهيًا بخطاياه أمام الكاهن لقبول الحل وغفران الخطايا.

---

(١) انظر فى ذلك: Birger. A. Pearson:. the roots of Egyptian Christianity. U.S.A. 1986. P. 143.

(٢) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ١٠١.

وتطلب الكلمة أيضًا على أى هيكل بينى فوق قبر لأحد الموتى من يطلق عليهم (شهداء) وضعت فيه رفاته تحت المذبح. وفى العصور الوسطى أطلقت الكلمة على أى كنيسة تحوى رفات أحد الشهداء.

والاعتراف (أومولوجيا)، فى الكنيسة السريانية الشرقية (الأشورية) هو كتاب الاعتراف بصحة المعتقد، الذى يوقعه البطريرك الجديد قبل تقليده الرتبة، أو الأسقف قبل رسامته.

**١٠ ـ أغابى** Agape [1]

الكلمة يونانية تعنى «لمحبة ـ الحب ـ الوليمة المحببة»، ومن هذا المعنى الأخير جاء تعبير «لمشاركة الأخوية»، حيث ترجمت الكلمة فى اللاتينية إلى Caritus ومنها الكلمة الإنجليزية «Charity» أى المشاركة.

وأصل الفعل من الاسم «أغابي» أى «محبة» هو (أغاباؤ) أى «يحب» وهو يعنى كل أنواع المحبة: بين الله والإنسان، أو بين الإنسان والله، أو بين الإنسان ونفسه، أو بين الإنسان وأهل بيته أو أقرانه أو أعدائه، أو محبة الزوج لزوجته. وهناك فعل يونانى آخر فى العهد الجديد هو (فيليؤ)، أى «يحب» وهو إلى جانب أنواع المحبة التى أشرنا إليها من قبل، فهو يفيد أيضًا محبة الإخوة. ومحبة الحكمة والخير، وحتى محبة المال، وكذلك أيضًا محبة المرأة لرجلها.

**١١ ـ إكليروس** Clergy [2]

كلمة معربة عن الكلمة اليونانية «إكليروس»، والتى تعنى (نصيب)، فالإكليريكى أحد رجال الإكليروس، جدير بالذكر أن مؤلف المراسيم الرسولية لم يفرق بين تعبيرى «الإكليروس» و«الإكليريكيين»، فكان يستخدم أيهما محل الآخر ليشير إلى جميع الرتب الكنسية، كبيرها وصغيرها. وبحسب تقليد الكنيسة الجامعة منذ القديم، فإن كل الأحكام التى تكون ضد الإكليروس لا يؤتى بها نحو الأراخنة، بل نحو الأسقف أو أول القسوس ليحكم فيها عليهم.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ١٠٣.

(٢) نفسه ص ١١٧.

### ١٢ ـ إكليريكى Cleric [1]

الإكليريكيون هم الإكليروس، وهكذا تستخدم الكلمة فى الكنائس الشرقية الناطقة بالعربية. وهو نفس ما نجده عند مؤلف المراسيم الرسولية منذ القرن الرابع الميلادى. فهو مثلًا يدعو كل الرتب الكنسية بما فيها القسوس والشمامسة بتعبير «الإكليريكيين» عندما يقول: «والأسقف يجرد كل إكليريكى يستحق التجريد...».

### ١٣ ـ إكليل Crown [2]

إكليل فى العربية هو (اسطفانوس) فى اليونانية، وهناك كثير من الأكاليل فى طقوس وممارسات وصلوات الكنيسة منها:

١ ـ إكليل الشوك. ٢ ـ إكليل الرسولية. ٣ ـ إكليل الشهادة.

٤ ـ إكليل البر. ٥ ـ إكليل البتولية. ٦ ـ إكليل المعمد حديثًا.

### ٧ ـ إكليل الزواج:

هو الإكليل الذى يضعه الكاهن على رأس العروسين أثناء تتميم سر الزيجة المقدس، ويعتبره القديس يوحنا ذهبى الفم رمزًا لتتويج البتولية التى حفظها العروسان فى نفسيهما وجسديهما حتى يوم الزواج. ولذلك لا تقام صلاة الإكليل إلا إذا كان العروسان بكرين، أو إذا كان أحدهما مترملًا والآخر بكرًا.

وهذا الإكيل فى الكنيسة القبطية على شكل منطقة نصف دائرية مطلية بالذهب، ينتهى طرفاها بخيطين من الحرير. وهو فى الكنيسة اليونانية (الأروام) من الفضة أو الذهب أو أى معدن آخر، وعلى شكل دائرى مثل تيجان الملوك. أما الآن فاستعيض عنه بإكليل من زهور صناعية يحفظها العروسان بمنزلهما بعد انتهاء صلوات الإكليل.

### ١٤ ـ آمين Amen [3]

كلمة عبرية انتقلت بنطقها نفسه إلى كل لغات العالم، وتعنى «حقًا» أو «فليكن ـ

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ١١٨.

(٢) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ١١٩.

(٣) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ١٢٣.

So Be It». وتُستخدم لتُظهر الموافقة أو التصديق على أى صيغة عقائدية سواء عند اليهود (تثنية ٢٧ : ١٥... إلخ) أو المسيحيين (١ كورنثوس ١٤ : ١٦). وهى ختام قانون الإيمان المسيحى. وتعد من أقدم مردات الشعب فى الكنيسة المسيحية.

**١٥ ـ أنبا [١]**

كلمة من أصل سريانى تعنى الأب والمعلم، وهو لقب أساقفة الكنيسة القبطية، وآباء الرهبنة الكبار فيها، حتى لو لم يحملوا أى درجات كهنوتية. ونادرًا ما تستخدمه الكنائس الشرقية الأخرى. ويظن أن كلمة «أنبا» تعريب للكلمة القبطية «آفا ـ ABBA» المأخوذة أصلًا عن اليونانية. وهناك مرادف للكلمة القبطية «آفا» وهو «أبا» ويمكن أن يحل أيهما محل الآخر دون فرق بينهما، كما فى مجمع القديسين فى تسبحة نصف الليل القبطية.

ولقد «أنبا» يقابله لقب «كير» وهو ترخيم لكلمة «كيريوس» اليونانية التى تعنى «السيد» وهو اللقب المستخدم عادة فى التقليد البيزنطى للأساقفة والمطارنة.

**١٦ ـ إنجيل Bible – Gospel [٢]**

الكلمة يونانية تعنى «أخبار سارة»، وهكذا ترجمت فى الإنجليزية القديمة «God Spel» أى «Good News». وتطلق كلمة «إنجيل» على الأربعة أناجيل المعروفة، إلا أنها تعنى أيضًا كل كتاب العهد الجديد.

ويحتل الإنجيل مكانًا مهمًا فى الليتورجيا فى جميع الطقوس، وهناك طقوس مطولة ممهدة. ويسبقها دائمًا هتاف «هلليلويا» مصحوبًا بآية أو أكثر من المزامير. ويعقبه تقبيل الإنجيل المقدس. ويعطى التقليد القديم للشمَّاس (دياكون) امتياز قراءته فى جميع الطقوس الشرقية باستثناء الطقس القبطى القديم الذى جعل ذلك من اختصاص رئيس الشمامسة حسب شهادة المؤرخ «سوزومين» (أوائل القرن الخامس). واستقر فى الطقس القبطى أن يقرأ فصل الإنجيل الأب البطريرك أو

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ١٢٧.

(٢) انظر فى ذلك: القانون السادس من قوانين البابا غبريال بن تريك. Burmester. O. H. E:. the canos of gabrial Ibn Turaik. (OCP). Vol. I. P. 49.

الأسقف، أو كبير الكهنة القائم بالخدمة الليتورجية، لاسيما فى الآحاد والأعياد، وهكذا الحال فى القسطنطينية حسب الطقس البيزنطى، ففى عيد القيامة يقرأ الأسقف القائم بالخدمة الإنجيل.

وبحسب الطقس القبطى، إذا كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضرًا، فإنه يقرأ الإنجيل وهو متجه إلى الغرب ناحية الشعب، وهو واقف فى باب الهيكل، أو من فوق الإنبل أو من على المنجلية، ورأسه مكشوف، تمثلًا بالكهنة الذين يخلعون تيجانهم. وفى أثناء ذلك يقف الكاهن الشريك بجانب المجمرة غربى باب الهيكل متجهًا إلى الشرق نحو الإنجيل. أما إذا لم يكن الكاهن هو الذى قرأ الإنجيل، فيقف أثناء قراءته ووجهه إلى الغرب متجهًا ناحية الشعب، كمثال على أنه هو الذى يقرأ الإنجيل ولكن بصوت الشمَّاس الذى يقوم بقراءته نيابة عنه.

وتضاء الشموع والأنوار وقت قراءته الإنجيل المقدس للدلالة على أن نور الإنجيل قد سطع فى كل أقطار الأرض.

**١٧ ـ إيبارشية** The government of a province [1]

النطق اليونانى للكلمة هو «إيبارشيا»، ومنها كانت الكلمة «إيبارشية» أو «إبرشية». وتعنى حكومة مقاطعة أو إقليم أو مدينة (عدا العاصمة). وهى مقر الأسقف، الرئيس الدينى لتلك المقاطعة أو الإقليم أو المدينة، ولكنه ليس أسقف المدينة العاصمة.

وكان المجمع المسكونى الأول قد شرع فى تنظيم الكنيسة على غرار نظام الدولة الرومانية، فأعطى أسقف عاصمة الولاية حق التقدم على أساقفة مدنها الأخرى، وجعله «متروبوليتا» عليها كلها. وكانت الولايات الرومانية المئة والعشرون قد انتظمت فى اثنتى عشرة مقاطعة (ذيقوسية). وجاء مجمع «ترولو» الذى عقد سنة ٦٩٢م، فذكر فى قانونه رقم (٣٨): «... عندما تجدد مدينة بأمر إمبراطورى، فالنظام فى تدبير الشئون الكنسية وتبع النظام المدنى العام».

وكان الأباطرة البيزنطيون يتدخلون أحيانًا فيقسِّمون الإيبارشية الواحدة إلى إيبارشيتين خلافًا لشرائع الكنيسة، أو كان الإمبراطور يمنح أحد الإيبارشيات لقب

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ١٤٠.

مطرانية بموجب مرسوم مكتوب منه، مما دفع المجامع الكنسية إلى إصدار تشريعات للحد من انتشار هذه الظاهرة، قد تدارك هذا الأمر منذ القديم حيث يذكر القانون (٣٠): «أى أسقف يستولى على كنيسة بمساعدة السلطة الزمنية فليخلع وليقطع من الشركة مع كل المشتركين معه». ومن مجموعة القوانين الإفريقية التى وضعها مجمع قرطاجنة سنة ٤١٩م، نعرف أن الإيبارشية لا تقسم إلى إيبارشيتين إلا برأى الأسقف المتقدم (البطريرك أو المتروبوليت)، وموافقة أسقف الإيبارشية، فيقول القانون رقم (٩٨): «استحسن المجمع أن الجماعة التى لم يكن لها أسقف خاص، لا تمنح هذا الحق إلا إذا صدر مرسوم من مجمع الإيبارشية كلها برأى الأسقف المتقدم، وموافقة أسقف الإيبارشية التى كانت تلك الكنيسة جزءًا من إيبارشيته».

**١٨ ـ أيقونة Icon** [١]

الإيقونة هى الصورة التى ترسم للسيد المسيح أو السيدة العذراء أو الشهداء أو القديسين، طبقًا لتقليد كل كنيسة، حيث يخضع رسم الأيقونة لأسلوب فنى خاص ضمن علم يعرف بعلم الأيقونات «Iconography». وفى الكنيسة الشرقية تحمل الأيقونات فنونًا مختلفة مثل: الفن القبطى، والفن السريان، والفن البيزنطى. إلا أنه يخشى تداخل هذه الفنون إلى الحد الذى يتعذر معه تمييز كل فن عن الآخر.

ظهرت الأيقونات فى البداية بوصفها رموزًا تعبر عن تعاليم مسيحية، أو شخصيات كتابية. ومن أقدم الرموز المسيحية رمز «السمكة»، وهو رمز يرقى إلى القرن الثانى الميلادى. وكان سبب اختيار السمكة رمزًا هو أن حروفها الخمسة اليونانية (إخثوس) هى أول حروف لكلمات خمس. وهناك رمز أخرى مثل الحمل الصغير، والسفينة (رمز الكنيسة)، والمرساة أو الهلب (رمز الخلاص)، ويونان النبى وسط البحر الهائج (رمز الموت والقيامة)، وغيرها من مئات الرموز. وابتداء من عصر الإمبراطور قسطنطين الكبير اتجهت الأيقونات من الرموز إلى الحقيقة. ومنذ القرن الخامس فصاعدًا كثرت الأيقونات على نحو كبير، ورسمت أيقونات واضحة للسيد المسيح، وأخرى للعذراء تحمل طفلها على ذراعيها... إلخ.

---

(١) انظر فى ذلك: Cross. F. L:. Livingstone. E. A. the Oxford Dictionary of the Christian Church (ODCC). 2nd . Edition. 1988. p. 686.

فثمة آلاف الكنائس والمخطوطات تزينها الأيقونات الرائعة، بالإضافة إلى لوحات المتاحف العديدة فى كل أنحاء العالم. وفى العالم البيزنطى شنت ضد الأيقونات ومكرميها حملة اضطهاد شديدة على مدى القرنين الثامن والتاسع للميلاد، عرفت باسم «حرب الأيقونات»، راح ضحيتها كثير من الرهبان. وانتهت فى عهد الإمبراطور ثيؤدورا.

والأيقونات تحتل مكانًا مكرمًا لدى الشعب، ويُقدم أمامها كل أنواع الإكرام من تقبيل وتقديم بخور وطلب معونة.

**١٩ ـ البابا Pope** (١)

أجمع المؤرخون المسيحيون على أن أول من لُقب بلقب «البابا» من بطاركة الكرازة المرقسية هو البابا هيراكلاس الثالث عشر (٢٣٠-٢٤٦م). فهو أول من سام معه أساقفة لمعاونته فى الخدمة التى اتسعت آنئذ. ولشدة اعتبار الكهنة والشعب لهذا البطريرك هيراكلاس ومحبتهم إياه دعوة بابا. فصار الأسقف يُدعى أبًا، والبطريرك يسمى أب الآباء، أو البابا.

ويتكلم البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨-٢٦٥م) عن سلفه البابا هيراكلاس ملقبًا أباه «بابا» فيقول: «لقد تسلمت من بابانا المطوب هيراكلاس هذا القانون وهذا الرسم عينه...».

وبعد ذلك بحوالى ثمانية قرون انتشر هذا اللقب بين أساقفة الغرب، حيث كان يُدعى به أى أسقف، حتى حصره البابا غريغوريوس السابع (١٠٧٣م) بقرار مجمعى ليكون وقفًا على أسقف رومان فقط.

وجاء فى كتاب الخطط للمقريزى (١٣٦٥-١٤٤١م): «صار الأساقفة يجعلون لفظة البابا تختص ببطريرك الإسكندرية ثم انتقل هذا الاسم عن كرسى الإسكندرية إلى كرسى رومية».

وورد فى مقدمة ابن خلدون: أرادوا أن يميزوا البطريرك عن الأسقف فى التعظيم، فدعوه بـ«البابا»، وظهر هذا الاسم مرة فى مصر ثم نقلوه إلى صاحب كرسى رومية.

---

(١) الشمَّاس منسى القمص يوحنا: تاريخ الكنيسة، الطبعة الثالثة، القاهرة، سنة ١٩٨٢، ص ٨٠.

ويقول المؤرخ (ستانلى لين بول) فى كتابه «محاضرات عن الكنائس الشرقية» الذى طبع فى أكسفورد سنة ١٨٦٤م، وذلك فى معرض حديثه عن مجمع نيقية: «لم يكن ألكسندروس أسقف أول كراسى العالم المسيحى من الوجهة العلمية. وكان بطريرك الإسكندرية هو المنفرد بلقب «بابا»، لا يعرف به رسميًا فى المجمع سواه. لأن كلمة بابا رومية كانت وقتئذ هى ما لم يتمخض عنه التاريخ بعد. وأما بابا الإسكندرية فكان علمًا يشار إليه بالبنان، ولقب إعزاز وحبٍ ومهابةٍ وإجلالٍ، عُرف به رأس كنيسة الإسكندرية، وكان هو الذى يخاطب به بصفة خاصة».

ويذكر الأرشيمندريت جراسيموس مسرة فى كتابه «تاريخ الانشقاق»: كان أسقف أنطاكية يُسمَّى بطريركًا، وأسقف الإسكندرية بابا، وأسقف رومية أسقفًا، وكلمة بابا ليست كلمة لاتينية ولا غربية، بل هى شرقية محضة، وأول من سُمِّى بها هو أسقف الإسكندرية من أبناء إيبارشيته بالقطر المصرى».

والباب (بتفخيم البائين) هو البابا فى عصر المماليك بمصر، وقد ورد هذا اللفظ غير مرة فى كتابات الديوان السلطانى وفى بعض المخطوطات مثل مخطوط باريس رقم (٤٤٣٩)، وذلك فى معرض حديثٍ عن بطاركة النصارى ووصفٍ لبعض تقاليدهم.

واللقب الرسمى التقليدى لبطريرك كنيسة الإسكندرية هو: «صاحب الغبطة والقداسة بابا وبطريرك ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية وكل أرض مصر والمدينة المقدسة أورشليم، والنوبة والحبشة والخمس مدن الغربية، وسائر أقاليم الكرازة المرقسية». وأضيف إليه فيما بعد: «وكل إفريقيا وبلاد المهجر».

**٢٠ ـ بازيليكى kingly-Royal** [1]

الكلمة اليونانية (بازيليكى)، هى مؤنث كلمة (بازيليكوس)، ومنها كلمة «بازيليكا»، وكلها تعنى «ملوكى». وهو أحد أشكال المعمار الكنسى الذى يظن البعض أنه تأثر بالشكل المعمارى لساحات القضاء الرومانى.

وأصل البازيليكا الرومانية هو ساحة مفتوحة تحيط بها بواكى على أعمدة. ثم

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ١٦٩.

تطور هذا التصميم فصارت هذه الساحة مغطاة بسقف. ثم أهملت البواكى الجانبية فصارت البازيليكا الرومانية صالة عالية يغطيها قبو مستطيل.

أما الطراز البازيليكى للكنيسة فهو عبارة عن صالة مستطيلة بسيطة يقسمها عقد دائرى يفصل بين الهيكل والصحن، أضيف إليه فيما بعد جناحان جانبيان طوليان، ثم حدثت إضافة ثالثة فى المداخل.

وجاء وقت تطابق فيه التصميمان البازيليكى الرومانى والبازيليكى الكنسى، حيث يغطى هياكل الكنيسة وصحنها جملون من الخشب أو الطوب القرميد، وتعتبر كنيسة الملاك ميخائيل بقصر الشمع مثالًا لذلك، وهى الآن كنيس يهودى بمصر القديمة.

ويتفق كل من جلبرت والدكتور مراد كامل والدكتور جوا ألفريد بتلر على أنه لا يوجد أى ارتباط بين البازيليكا الرومانى والطراز البازيليكى الكنسى، إذ أن للأخير أصلًا مستقلًا به. فالطراز البازيليكى هو طراز مصرى أصيل نجده فى قاعات الاحتفال بمعبد الكرنك التى شيَّدها تحتمس الثالث حوالى سنة ١٤٠٠ ق.م. وتعتبر كنيسة المغارة الواقعة أسفل كنيسة أبى سرجة بمصر القديمة والتى يرجع تاريخها إلى القرن الثانى أو الثالث الميلادى شاهدًا على ذلك. كما أن طقس الهياكل الثلاثة فى الكنيسة الواحدة الموجود فى أقدم الكنائس القبطية هو بحد ذاته برهان قاطع على أن وجود الرواقين الجانبيين هو طقس هندسى كنسى أكثر منه فنًا. وهو معمارى هندسى موغل فى القدم.

وغالبًا ما يكون للكنيسة المبدئية على شكل الطراز البازيليكى اثنا عشر عمودًا فى صحن الكنيسة تمثل الاثنى عشر رسولًا الذين كرزوا للمسكونة، ولقد دعا الرسول بولس التلاميذ أعمدة (غلاطية ٢ : ٩).

**٢١ ـ بخور Incense** [١]

كان تقديم البخور وحرق المواد العطرية أمرًا شائعًا فى الاحتفالات الدينية عند كل الأمم القديمة تقريبًا (المصريين، والبابليين، والآشوريين، والفينيقيين... إلخ).

---

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية: الجزء الثانى، دار الثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ١٩٩٠م، ص ١٠١.

وكان لتقديم البخور فى خيمة الاجتماع، وفى هيكل سليمان مكانًا بارزًا فى العبادة اليهودية. والبخور الذى استخدم فى خيمة الاجتماع كان يسمى «بخورًا عطرًا» (خروج ٢٥ :٦)، وكان مركبًا بمقادير محددة من الأعصار (خروج ٣٠: ٣٤) ومقصورًا على استخدامه فى العبادة فقط، ولم يكن مسموحًا لأحد أن يصنع مثله ليشمه.

**٢٢ ـ بردية Papyrus [١]**

«بردية» وجمعها «برديات» نسبة إلى نبات البردى الذى نبت على ضفاف النيل فى مصر، واستخدم فى الكتابة فى مصر الفرعونية أولًا. بل كان هو الوسيلة الرئيسة الوحيدة للكتابة فى العالم اليونانى الرومانى «Roman – Greco» بدءًا من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادى عندما حلت محله تدريجيًا الكتابة على الرقوق.

فالبرديات إذن هى المخطوطات التى كانت تدون على الورق المصنوع من البردى. وكان نبات البردى ينمو بكثرة فى مصر فى المستنقعات التى كانت تتخلف عن فيضان مياه النيل. وهو ذو ساق مخورطية الشكل، فى سمك ذراع الرجل، مثلثة الزوايا، لا تزيد فى ارتفاعها على أربعة أمتار ونصف المتر، هذه السيقان استخدمها الإنسان للكتابة عليها. ومن سيقان النبات أيضًا صنع المصريون القوارب، أما اللحاء الداخلى، فكانوا ينسجونه، ليصنعوا منه الزكايب والحصر والأغطية والحبال وحتى الثياب.

ويصف «بلينى» عملية صنع الورق من نبات البردى، حيث كانت تبسط شرائح سيقان البردى على لوح مُندى بماء النيل، ويضاف إليها سائل طينى يقوم مقام الغراء، وكانت تبسط أولًا طبقة طولية، مع قص أطرافها، من الناحيتين، ثم تبسط فوقها طبقة عرضية متعامدة عليها. وقد وصل طول لفائف البردى إلى حوالى ٣٥ قدمًا ( أحد عشر مترًا).

وكانت الكتابة على هذه الأسطوانة الورقية فى أعمدة طولية، عرض العمود منها ما بين ٦-٩ سنتيمترات. وكانت الكتابة على وجه واحد من هذه الأسطوانات الورقية.

---

(١) يمتد عصر البطالة بين أعوام (٣٢٣-٣٠ق.م)، والعهد الرومانى يمتد بين سنوات (٣٠ق.م ـ ٢٩٣م)ـ ثم العهد البيزنطى يمتد بين سنوات (٢٩٣-٦٤٠م).

وترجع أقدم البرديات المصرية إلى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد، ولكن لابد أن صناعة ورق البردى بدأت قبل ذلك بقرون عديدة.

وحوالى العام الألف قبل الميلاد استخدمت أوراق البردى فى خارج حدود مصر. ولكن لم ينج من البرديات خارج مصر إلا القليل، إذ ساعد مناخ صعيد مصر على الحافظ على البرديات القديمة فى حالة جيدة.

والبرديات اليونانية، يقصد بها البرديات التى دُونت باللغة اليونانية فى مصر منذ غزو الاسكندر الأكبر إياها سنة ٣٣٢ ق.م. وتدل الثلاثمائة بردية (يونانية وقبطية) التى نشرها بل وكرام سنة ١٩١٠م ترجع إلى سنة ٦٩٨ -٧٢٢م - على استمرار استخدام اللغة اليونانية فى مصر فى السنين الأولى التى أعقبت الفتح العربى لها.

وكان أول اكتشاف للبرديات اليونانية فى سنة ١٧٥٢م بالقرب من نابلى فى إيطاليا، أما أول بردية يونانية تُكتشف فى مصر فكان سنة ١٧٧٨م فى الفيوم (أرسينوى). وبدءًا من سنة ١٨٧٧م اكُتشفت هذه البرديات اليونانية بأعداد كبيرة، وهو العصر الذهبى لاكتشاف البرديات. وفى سنة ١٨٩٧م اكُتشفت أكبر مجموعة من البرديات فى «البهنسا» بلغت عدة آلاف، وهى برديات يونانية ترجع إلى العصر الرومانى. وقامت جامعة أكسفورد بنشر جزء منها فى تسعة مجلدات بلغت ثلاثة آلاف صفحة بعضها بالغ الأهمية. كما وجدت فى سنة ١٩٠٠م كمية أخرى فى الفيوم تعود إلى عصر البطالسة لا تقل أهمية عن برديات البهنسا.

وإلى جانب البرديات القبطية واليونانية، فهناك البرديات العربية أيضًا. وكانت أول بردية عربية تظهر إلى النور فى سنة ١٨٢٥م ونشرت فى فرنسا. وأهم مجموعاتها توجد فى مكتبات فيينا، وبرلين، والقاهرة، ودير سانت كاترين بسيناء، وجمع هذه البرديات يعود بلا شك إلى ما بعد الفتح العربى لمصر سنة ٦٤٠م. وهناك برديات لاتينية أيضًا.

لقد كانت البهنسا أكبر مركز فى العالم القديم لصناعة ورق البردى، وتصديره إلى كل أنحاء المعمورة، وكانت أشبه بدار نشر عالمية، إذ أن نصف برديات العهد الجديد التى اكتُشفت حتى اليوم جاءت من البهنسا، وترجع فى معظمها إلى الفترة من القرن الثانى إلى القرن السادس الميلادى.

ومازالت البرديات حتى يومنا هذا تحتل الأهمية القصوى فيما يختص بنصوص أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. ولقد اكتشفت عشرات البرديات تحوى الترجمة السبعينية للتوراة، لعل أهمها هى بردية التكوين المحفوظة الآن فى برلين، وتعود هذه البردية إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادى، وكانت قد اشتريت من أخميم سنة ١٩٠٦م.

**٢٣ ـ برديات البهنسا Oxyrynchus Papyri** (١)

هى مجموعة وثائق بردية تصل فى مجموعها إلى عدة آلاف. اكتشفت بدءًا من سنة ١٨٩٧م قرب البهنسا الحالية فى صعيد مصر، والتى تبعد عشرة أميال غرب النيل.

وهى تحوى وثائق بردية من كل نوع. وقد رُتبت ترتيبًا زمنيًا من أواخر القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادى. بعضها فى نصوصه الأصلية اليونانية واللاتينية للأدب المسيحى المبكر، ومن بينها مخطوطات «أقوال يسوع» وأسفار العهدين القديم والجديد، وكتابات أو كريفية أخرى مثل رسالة بطرس الشهيد أسقف الإسكندرية (٣١١م).

وقد وجدت هذه البرديات مع تقويم للسنة الكنسية «Ecclesiastical Calender» لسنة ٣٥٥، ٣٥٦م، (وهو مخطوط رقم ١٣٥٧)، ومخطوط آخر يحوى لحنًا مسيحيًا موقعًا عليه بإشارات موسيقية كنسية وهو يعتبر أقدم قطعة موسيقية معروفة حتى اليوم، وتعود إلى أواخر القرن الثالث الميلادى (المخطوط رقم ١٧٨٦).

**٢٤ ـ بُرنُس Chasuble** (٢)

البرنس فى الأصل هو رداء الأنبياء والملوك. وأصبح فى الكنيسة المسيحية أحد الحلل الرئيسة التى يرتديها القس والأسقف والبطريرك، ويسمى فى اللغة القبطية أو (أمفوريون). كما يُسمى أحيانًا «Phelonion أو Phenolion» ويطلق عليه فى اللغة الإنجليزية «Chasuble». وتسميه الكنيسة اليونانية «مانتيه».

---

(١) - Cross. F.L:. Livingstone. E. A. the Oxford Dictionary of the Christian Church (ODCC). 2nd . Edition. 1988. p. 1020.

(٢) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ١، ص ١٧٨.

والبرنس رداء طويل متسع وبلا أكمام، ومفتوح من فوق إلى أسفل، ويكون من الكتان أو الحرير المُحَلّى بخيوط الذهب أو الفضة. وقد كان من عادة رهبان دير القديس أنبا مقار أن يلبسوه أثناء رفع بخور عشية وباكر، وهو ما يذكره مخطوط يعود إلى القرن السادس عشر (١٥٤٦م) فى مكتبة دير القديس الأنبا أنطونيوس. وكذلك مخطوط رقم (٣٧٥) بالمتحف القبطى بالقاهرة. أما اليوم فهم يلبسون الشملة عند رفع البخور فى عشية وباكر. ويمكن أن يستعاض عن الشملة بالطيلسانة، ويرتديها الكهنة العلمانيون دون الكهنة الرهبان.

والبرنس ومعه القصلة يخص البطاركة والأساقفة دون القسوس، إذ أنهم يرتدون البرنس بدون قصلة.

**٢٥ ـ البشارة Gospel** [١]

البشارة السارة، أى الإنجيل. والبشارة هى الإنجيل الذى يغلق بغلاف معدنى يصنع غالبًا من الفضة، ويحوى الأناجيل الأربعة. ويوضع دائمًا على المذبح، ويستخدم أثناء أوشية دورة وقراءة الإنجيل فى رفع البخور، وفى الليتورجيا. وهو يسمى «كتاب البشارة». وفى غير أوقات الصلاة يكون مكانه دائمًا فوق كرسى الكأس.

ويُحتفل به فى الكنيسة القبطية بطقس الفرح إذا وقع فى سبوت أو آحاد أو أيام الصوم المقدس الكبيرة، ويُلغى الاحتفال به إذا وقع فى الفترة الواقعة من يوم جمعة ختام الصوم إلى اليوم الثانى من عيد القيامة المجيد. أما فى الكنيسة البيزنطية فترتيب العيد عندها هو أنه إذا اتفق عيد البشارة مع يوم الجمعة أو يوم السبت العظيم فينقل العيد إلى أحد الفصح، وترتل خدمته مع خدمة القيامة، وهذا النقل حصل منذ أواخر القرن الثامن عشر، وخص بكنائس المدن والقرى منعًا للاختلاف والتشويش فى آذان الشعب من ترتيل المفرحات والمحزنات معًا. أما الأديرة فهى حرة فى أن تحافظ على الترتيب الذى أسست عليه أى ترتيل الخدمتين معًا أو حسب وقوعهما احترامًا لمؤسسى رهبناتهما.

---

(١) كتاب (التيبكون) العربى، ترتيب الفروض الكنسية، ترجمة وجمع الأرشمندريت جراسيموس مسرة، طبع فى مصر سنة ١٨٩٩م.

## ٢٦ ـ بطريك Patriarch [(١)]

وردت الكلمة فى السبعينية، وهى تعنى «أب قوم» أو «أب شعب»، ومن الجهة الإنجيلية تطلق الكلمة على إبراهيم واسحق ويعقوب. وعلى أبناء يعقوب الاثنى عشر.

ومن وجهة التقليد الكنسى العام، فهى تطلق على السبعين رسولًا. والقديس مرقس الرسول هى البطريك الأول لكرسى كنيسة الإسكندرية.

وتعنى هذه الكلمة فى الكنيسة المسيحية «أب الآباء»، أو «رئيس الآباء». ولم تُعرف كلمة «بطريرك» إلا فى القرن الخامس الميلادى، فقد استعمل هذا اللقب لأول مرة فى عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير (٤٠١ - ٤٥٠م). وكان الإمبراطور ثيؤدوسيوس هذا هو أول من دعا أسقف روما بطريركًا. فمجمع نيقية المسكونى الأول سنة ٣٢٥م، كان يدعو بطاركة الكنائس أساقفة، ولكن أسقف الإيبارشية الأولى كان يُدعا الأول أو المتقدِم بين الأساقفة، وهو متروبوليت الإيبارشية الرئيسية، والتى تتبعها الأقاليم المحيطة بها. وكان مركز البطريك الإدارى أكبر من متروبوليت حسب تفسير العلماء للقانون السادس لمجمع نيقية.

أما الكراسى الأسقفية القديمة فهى: أسقف الإسكندرية ويتبعه مصر كلها وكذا ليبيا والخمس مدن الغربية، وأسقف رومان ويتبعه إيطاليا كلها، وأسقف أنطاكية ويتبعه سوريا كلها وكذا كليكية وما بين النهرين والعربية وفينيقية، وأسقف أورشليم وتتبعه بلاد فلسطين، وأسقف القسطنطينية ويتبعه جانب كبير من آسيا الصغرى، وكل روسيا.

وفى العصور الحديثة ظهرت بطريركيات جديدة مثل بطريركية روسيا وبطريركية صربيا (يوغوسلافيا)، وبطريركية رومانيا، وبطريركية بلغاريا، وبطريركية جيورجيا، وبطريركية أثيوبيان وبطريركية إريتريا.

وطبقًا لقوانين المجامع المسكونية يجب أن تتم رسامة أى أسقف بحضور

---

(١) أرشمندريت جنانيا كساب: مجموعة الشرح الكنسى، منشورات النور، طبع دمشق، سنة ١٩٧٥م، ص ٥٨.

المتقدم (الأول) بينهم، أى البطريرك. وطبقًا لقانون الرسل رقم (٣٤): «أساقفة كل قطر، يجب أن يعرفوا الأول بينهم، ويعتبرونه رأسًا (لهم)، ولا يفعلون شيئًا كبيرًا بدون رأيه. بل كل واحد يدبر شئون إيبارشيته فقط، والأقاليم التى تخضع لها. ولكن لا يعمل (الأول) شيئًا بدون رأى الجميع».

ولقد دخل لقب «بطريرك» فى الليتورجية القبطية فى زمن البابا بنيامين الأول فى القرن السابع الميلادى، وقبل ذلك وبدءًا من القرن الخامس فى زمن البابا كيرلس الأول عمود الدين كان البطريرك يُلقَّب فى الليتورجية باسم «رئيس الأساقفة».

### ٢٧ ـ بيت Home [1]

الكلمة العربية «بيت» هى نفس الكلمة العربية لفظًا ومعنى. وهى فى اليونانية. ووردت كلمة «بيت» فى الكتاب المقدس بمعانٍ كثيرة. ومن أصحاح واحد هو الإصحاح السابع من سفر صموئيل الثانى نقرأ هذه المعانى: ففى الفقرتين (١، ٢) بمعنى «قصر» وفى الفقرتين (٥-٧، ١٣) بمعنى «معبد»، وفى الفقرتين (١١، ١٦، ١٩، ٢٥ – ٢٧) بمعنى «أسرة حاكمة»، والفقرة (١٨) بمعنى: مكانة الأسرة أو مركزها.

وفى المصطلح الكنسى لدينا تعبيرا، «بيت لحم»: «بيت لحم» هو «بيت القربان» الذى فيه يتسم تجهيز القربان وخبزه فى فرن ملحق بأحد المبانى الخاصة والمجاورة للكنيسة.

### ٢٨ ـ بيزنطي [2]

نسبة إلى مدينة بيزنطة القديمة، التى أسست سنة ٦٥٧ ق. م، وقد سُميت بيزنطة على اسم «بيزاس Byzas»، أحد قادتها البحريين، والذى يرجع إليه الفضل الأول فى اختيار الموقع. وهى المدينة التى قامت على أنقاضها العاصمة الجديدة سنة ٣٢٤م التى شيدها الإمبراطور قسطنطين الكبير مؤسس الدولة الجديدة، واتخذها عاصمة لإمبراطوريته الرومانية الشرقية (البيزنطية)، ودعيت القسطنطينية.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ٢٠٢.
(٢) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ٢٠٣.

والطراز البيزنطى هو أحد فنون المعمار الكنسى، وهو يمتاز بكثرة القباب. وتعا
كنيسة «أجيا صوفيا» بالقسطنطينية التى بنيت سنة ٥٢٧م، وكنيسة مارقرس بالبندقي
بإيطاليا أوضح مثالين لهذا الفن الكنسى.

ولقد ظلت القبة عند الأقباط هى النموذج المفضل لأسقف الكنائس سواء كانت
قبة واحدة أو عدة قباب، حتى أن أقرب الكنائس القبطية إلى الطراز البازيليكى لا
تخلو من قبة تغطى هيكلها الأوسط. وغالبًا ما تكون القبة الوسطى فى منتصف صحن
الكنيسة محمولة على أربعة أعمدة تمثل البشيرين الأربعة.

والقبة تعود إلى أصل شرقى، فقد كانت معروفة فى بابل القديمة، وكانت المبانى
ذات القباب شائعة الاستخدام فى أيام الساسانيين. ومن المحتمل جدًا أن يكون الطرا
البيزنطى قد استعارها من الإسكندرية بالذات وليس العكس، لأن التأثير المصرى فى
فنون العمارة والنحت والتصوير على اليونان شىء لا يجحد ولا يمارى فيه. ويلزم أ
نوضح أن معمار الكنيسة القبطية القديمة مستقل فى هندسته عن الطرازين البازيليكى
والبيزنطى. وإن وجد فيما بعد، فنلاحظ أن التصميم المعمارى للكنائس القبطي
أصبح يجمع دائمًا فى تناسق بين الطرازين البازيليكى والبيزنطى.

**٢٩ ـ تابوت العهد** Ark of the convenant [1]

صندوق من خشب السنط مغشى بالذهب النقى من كل ناحية، أى من الداخل
والخارج، وله أربع حلقات من ذهب على قوائمه الأربع، على جانبه الأول حلقتان
وعلى جانبه الآخر حلقتان كذلك، وصُنعت عصوان من خشب السنط وغشي
بالذهب وأدخلت العصوان فى الحلقات على جانبى التابوت ليُحمل التابوت بهم
وتبقى العصوان فى حلقات التابوت لا تنزعان منها، لكى لا يمس حاملو التابوت
التابوت نفسه لئلا يموتوا.

وكان التابوت من أهم المقدسات الموجودة فى الهيكل قبل السبى البابلى. وكا
موضعه فى قدس الأقداس. وكان التابوت يضم فى داخله لوحى العهد أو لوحى
الشهادة وقد دعيا كذلك لأن عليهما كلمات العهد أو الوصايا العشر.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ٢٠٨.

أما غطاء التابوت المسمى «كرسى الرحمة ـ Mercyseat» فكان من ذهب نقى، أبعاده مثل أبعاد التابوت ذاته، وعليه كاروبان من ذهب صنعهما خرَّاطة على طرفى الغطاء، بحيث يكون وجه كل واحد منهما إلى الآخر. وكان الكاروبان على شبه إنسان.

**٣٠ ـ التاج الأسقفى Corporal Mitre** [١]

فى الإنجليزية «crown». وفى اليونانية لذلك فاسمه الطقسى لدى البيزنطيين هو «Mitre».

ولقد عُرف التاج الأسقفى فى الكنيسة الشرقية بعد سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣م. ولبسه رئيس الكهنة آنئذ نيابة وتعويضًا عن ملك الروم. ومن الكنيسة البيزنطية انتقل التاج الأسقفى إلى باقى الكنائس الشرقية ومازال منطوق صلوات الرسامية الأسقفية فى الطقس البيزنطى يحتفظ بصلاة طقسية عند استلام الأسقف عصا الرعاية، فى حين لا يُتلا شيء من الصلوات عند وضع التاج على رأسه، وهو ما نجده فى طقس الكنيسة القبطية أيضًا.

وفى الكنيسة الغربية يصنع التاج الأسقفى من القماش الستان والحرير الأبيض المشغول، والمُحَلَّى أحيانًا بالذهب والأحجار الكريمة. ولم يعرف فى روما قبل القرن الحادى عشر.

**٣١ ـ تجليس الأسقف Enthronement** [٢]

هو طقس تجليس الأسقف الجديد على كرسيه الأسقفى فى إيبارشيته التى سيم عليها مجددًا. وعند ابن كبر (١٣٢٤م) يجيء الأسقف إلى بلد قريب من المدينة التى كرز عليها فى يوم قريب من يوم الأحد، فيخرج الكهنة وجميع الشعب من المدينة تاركين كل أعمالهم، ليستقبلوه حاملين الصلبان والمباخر والشموع ومعهم الإنجيل المقدس. ويقرأون فصل الإنجيل أمامه: «ولما قربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجى عند جبل الزيتون... إلخ» (متى ٢١:١). ويرتلون أمامه بما يجب حتى يدخل إلى المدينة ومنها إلى الكنيسة الكاتدرائية مكملين باقى طقس التجليس.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ١، ص ٢١٤.

(٢) أبى البركات المعروف بابن كبر: مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الأول، ص ١١٤.

## ٣٢ ـ تغطيس Immersion [1]

هو نزول المعمد فى جرن المعمودية، ودفنه فى الماء ثلاث مرات وخروجه منه. وبحسب كتاب التقليد الرسولى (الترتيب الكنسى المصرى ) (فصل ٢١):

والبابا غبريال الخامس (١٤٠٩ -١٤٢٧م) هو أول من أشار إلى حالات خاصة يستثنى بموجبها التغطيس ثلاث مرات فى الماء فى الطقس القبطى، حيث يكتفى بتغطيس الطفل لوسطه فقط فى الماء فى الغطستين الأولتين، ثم يغطس كاملًا فى الثالثة. ومنذ حوالى القرن السابع عشر جرت العادة على أن يُغطِّس الكاهن الجسم حتى الرقبة، وفى المرة الثالثة يغطى الماء رأس الطفل. ومازال الأقباط والأحباش يحفظون حتى اليوم ممارسة التغطيس كاملًا دون صب الماء على الرأس، فالقوانين القبطية صريحة جدًا حول هذه النقطة، حيث تجيز الرش فقط ثلاث مرات فى حالة تعميد طفل ضعيف أو مريض. وتذكر قوانين ابن العسال التى دونت فى القرن الثالث عشر: «إذا لم يوجد ماء يغمر به المتعمد، فليكن ملء ثلاث كفوف يحم بها على رأسه»، فصب الماء على الرأس لا يكون إلا فى حالة الطفل المحتضر، ولكن حتى فى هذه الحالة الحرجة، فإن المعمودية تُمنح للطفل فى الكنيسة، لأن التقليد القبطى حتى اليوم يمنع منح المعمودية للأطفال فى البيوت خارجًا الكنيسة.

ومارست الكنيسة السريانية التغطيس فى الماء، ولكنها منذ بضعة قرون خلت قد هجرت تلك الممارسة بالكامل، وتمارس حاليًا سكب الماء على الرأس ثلاث مرات، ولكن التقليد السريانى القديم كان يبيح سكب الماء على الرأس فى حالات خاصة فقط، وليس باعتبار ذلك تقليدًا مستقرًا.

وطبقًا لأقدم المخطوطات الأرمينية، وهو ما يراعيه الطقس الحالى أيضًا، فهم يجمعون بين الرش والتغطيس فى الماء، حيث يصب الماء ثلاث مرات على رأس المعمد حديثًا، ثم يغطس جسده بالكامل فى جرن المعمودية ثلاث مرات أيضًا.

وتذكر التعليمات الطقسية البيزنطية: «... بعد أن يدهن الكاهن جسد الطفل

---

(١) الصفى أبى الفضائل بن العسال: المجموع الصفوى، نشر جرجس فيلوثاوس عوض، الباب الثالث (بدون تاريخ).

بالزيت المقدس، يأخذه من عرابه ويضبطه بيديه مستقيمًا موجهًا إياه نحو الشرق ويعمده مغطسًا إياه كله فى الماء».

وفى الكنيسة الأشورية يقف المعمد فى الماء حتى يصل الماء إلى عنقه ويقوم الكاهن بتغطيس رأسه فى الماء ثلاث مرات.

أما الكنيسة الغربية فقد استبدلت التعميد بالتغطيس بالتعميد بالرش «Affusion» ابتداءً من القرن الثامن على الرغم من وجود أمثلة لحالات تغطيس فى مياه المعمودية حتى نهاية القرن السادس عشر.

### ٣٣ ـ تقبيل الإنجيل والصليب [١]

الطقس القديم لتقبيل الإنجيل كان يتم قبل وبعد قراءته وهو ما يذكره البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) حيث يذكر الآتى:

فبعد دورة الإنجيل حول المذبح ـ وكانت تتم بكتاب الإنجيل نفسه وليس بكتاب البشارة الذى صار بديلًا عنه الآن ـ يقول البابا غبريال:

«يتناول (الكاهن) الإنجيل من الشمَّاس على يديه، ويلتفت إلى إخوته الكهنة، فيضعون عكاكيزهم، ويخلعون طيالسهم، ويمشون (ويأتى الكهنة) عند الإنجيل، ويخضعون برؤوسهم، ويقبله كل واحد منهم».

ويذكر ابن كبر (١٣٢٤م) عادة تقبيل الإنجيل نفسها بعد انتهاء دورته حول المذبح فيقول: يطرح المزمور ويبخر الكاهن الإنجيل ويطوف به الشماس الهيكل مفتوحًا على يديه ويقبله الكهنة الحاضرون مفتوحًا.

وعند انتهاء الشمَّاس من قراءة الإنجيل يقول البابا غبريال الخامس: «عند فراغ قراءة الإنجيل يحضر الشمَّاس القارئ الإنجيلَ عند الكاهن، فيعطيه البخور قائلًا: مبارك الآتى.

ثم يحمله الكاهن على ذراعيه ويأتى الكهنة عنده، ويخضعون برؤوسهم ويخلعون طيالسهم ويقبلوه حسب طقوسهم، ثم فى آخر الجميع يقبله هو، ويناوله إلى الشمَّاس يضعه على الإنجيلية».

---

(١) القمص عبد المسيح المسعودى الداموس: كتاب الخولاجى المقدس، طبعة القاهرة، سنة ١٩٠٢م.

ويضيف القمص عبد المسيح المسعودى الداموسى: «وإن كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضرًا، فيقدم إليه الكاهن الإنجيل فيقبله وحده دون باقى الكهنة».

فالآباء الكهنة هم الذين يمشون إلى الإنجيل لتقبيله إكرامًا له، لا أن يمر الإنجيل عليهم. إلا أن عادة تقبيل الإنجيل بعد قراءته مباشرة قد توقفت. وأول إشارة تصل عن زمن سقوط هذا الطقس نقرؤها عند ابن كبر (١٣٢٤م) قس كنيسة السيدة العذرا المعلقة فى الباب السادس عشر من مؤلفه «مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة» فيقول «وكانت العادة فى المعلقة وغيرها أنه عند فراغ قراءة الإنجيل يقبله الشعب، الرجال ثم النساء، فأشار الأب البطريرك الآن إلى اعتماد عادة الرهبان، وهى تأخير تقبيله إلى انتهاء الصلاة، فيقبل مع الصليب».

وهذه الإشارة بالغة الأهمية من وجهة تاريخ الطقس، إذ تطلعنا على الزمن الذى توقفت فيه هذه الممارسة الطقسية فى الكنيسة المعلقة بالذات، وهى الكنيسة البطريركية فى ذلك الوقت، ولم يكن انتشار هذه التعليمات الطقسية الجديدة سريعًا لأنه بعد ذلك بما يقرب من مائة سنة، أى فى القرن الخامس عشر نقرأ عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) أن طقس تقبيل الإنجيل بعد قراءته مباشرة كان طقسًا معمولًا به، إلا أنه قد اقتصر على الإكليروس وحدهم دون بقية الشعب، حيث أرجع تقبيل الشعب للإنجيل، الرجال والنساء، إلى نهاية صلوات رفع البخور.

وكانت العادة أن يقبِّل الكهنة الإنجيل مفتوحًا، أما الشعب فيقبلونه مقفولًا. وفى شرح متأخر لهذا الطقس نقرأ: «يحمل الإيبودياكون الإنجيل ويغطيه بستر من حرير ويدور به على الشعب ليقبلوه مقفولًا تصديقًا لما سمعوه واقتداء بالكهنة».

**٣٤ ـ التقويم القبطى Coptic Calender** [1]

فى سنة ٢٦ ق. م أدخل أغسطس قيصر اليوم الكبيس للتقويم المصرى القديم فأضاف يومًا لشهر النسئ كل أربعة أعوام، فصار التقويم مضبوطًا إلى حد معقول وحدد المصريون المسيحيون بدء تاريخهم القبطى بيوم ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤م وهو اليوم الذى اعتلى فيه الإمبراطور ديوكلتيانوس العرش الرومانى، وكان أكث

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٥٨.

الأباطرة الرومان وحشية وتنكيلًا بالمسيحيين. وسمى «تقويم الشهداء» أو «التقويم القبطي» وهو التقويم نفسه الذى كان مستخدمًا فى مصر الفرعونية والذى يبدأ كل سنة مع ظهور نجم الشعرى اليمانية، فظل كما هو فى مصر المسيحية، ولكن ببداية جديدة له تخليدًا لشهداء الكنيسة القبطية الذى استشهدوا حفاظًا على الإيمان.

وهناك التقويم القبطى الشمسى، وهو لضبط المناسبات والأعياد الكنسية الثابتة كأعياد الميلاد والغطاس وعيد النيروز... إلخ. والتقويم القبطى القمرى وغرضه إحصاء الدورات القمرية وتحديد موعد ظهور كل هلال جديد، وهو لضبط موعد عيد الفصح اليهودى ليكون الفصح المسيحى بعده وليس قبله، ومن ثم ضبط بقية الأعياد المتنقلة الأخرى.

والتقويم القبطى الشمسى أو تقويم الشهداء يتماشى مع الحساب اليوليانى. فالتقويم القبطى الحالى واليوليانى والإثيوبى يعتبر أن السنة ٣٦٥ يومًا و ٦ ساعات، فى حين أن التقويم الغريغورى يعتبرها ٣٦٥ يومًا و٤٨ دقيقة و ٥٠ ثانية. وقد أثبتت المعايير الفلكية الحديثة أن السنة ٣٦٥ يومًا و٤٨ دقيقة و ٤٦ ثانية. علمًا بأن التقويم اليهودى يعتبرها ٣٦٥ يومًا و ٥٥ دقيقة و ٢٥ ثانية.

ولهذا نجد أن الخطأ المتراكم بين الحساب اليوليانى والحساب الغريغورى قد بلغ ١٣ يومًا فى التقويم القبطى حتى الآن. وإذا لم يتدارك هذا الخطأ التراكمى ويُصَحح ستتغير أيام الاحتفال بالأعياد الكنسية من الوجهة التاريخية على المدى البعيد، وكذلك المواسم الزراعية. وباختصار إذا تم حذف ثلاثة أيام كل ٤٠٠ سنة سنحصل على تصحيح أدق وبه يتوقف الخطأ المتراكم حتى سنة ٤٠٠٠م.

أما التقويم القبطى القمرى فهدفه هو إحصاء الدورات القمرية وتحديد موعد ظهور كل هلال جديد. وقد زاد اهتمام الأقباط بالحساب القمرى بعد دخول المسيحية مصر، لأن عيد القيامة وبعض الأعياد الأخرى المتصلة به، تحدد بالدورة القمرية وتتصل بالدورة الشمسية.

وحينما تقدمت العلوم أخذ الإنسان يبحث عن الاختلاف بين مدة دورية قمرية وأخرى، وكذلك متوسط مدة الدورة القمرية. ومعروف أن المدة الواقعة بين لحظة ظهور الهلال الجديد والهلال الجديد التالى تُسمَّى شهرًا قمريًا. وقد يتغير طول

الشهر القمرى حتى يصل الفرق إلى ٩ ساعات تقريبًا. وهناك دورة كاملة لحركة القمر فى الفضاء بالنسبة لنا تبلغ مدتها ١٨,٦ سنة شمسية، كما أن هناك متوسطًا عامًا لطول الشهر القمرى فى الدورة الكاملة وهو ٢٩ يومًا و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٣ ثوانٍ. ويعتبر هذا المتوسط دقيقًا ويمكن التنبؤ بمقتضاه بالأهلة الجديدة وأوجه القمر لمدة ألف سنة شمسية دون أن يتجاوز الخطأ يومًا كاملًا.

ومن هنا نشأت فكرة استخدام طول متوسط الشهر القمرى لحساب ظهور القمر الجديد، وأوجهه لمئات السنين، ويُسمَّى ذلك بحساب الأبقطى.

**٣٥ ـ تكريس** Consecration [١]

التكريس أى التخصيص. وحين نقول: كرس الأسقف البيعة أو الأوانى الكنسية وغيرها يعنى أنه خصصها لكذا.

**٣٦ ـ تلمود** Telmod [٢]

«التلمود» أى «الدراسة والتعليم»، وهو دائرة المعارف لأدب الأمة اليهودية فى اثنى عشر مجلدًا ضخمًا وهو يشمل: «المشنة» وهى العقيدة اليهودية غير المكتوبة، وتفسيرها. وكلمة «مشنة» مأخوذة من الفعل «شنا» بمعنى يكرر أو يتعلم أو يعلم. وتتكون المشنة من ٦٣ فصلًا وقد ترجمت إلى الفرنسية بواسطة العالم العبرانى «موبزشوراب». و«الجمارة» وهى التفسير الملحق بالمشنة. والكلمة مأخوذة من «جمار» بمعنى «أكمل أو أنجز» للدلالة على إكمال تفسير المشنة. ويطلق هذا الاسم منذ القرن التاسع على مجموعة مناظرات المعلمين الذين قاموا بمهمة التعليم من سنة ٢٠٠ إلى سنة ٥٠٠ ميلادية. ويشتمل التلمود على ستة أقسام هى: الزراعة، والأعياد، والنساء، والقانون المدنى والجنائى، والذبائح، والتطهيرات. وهو المرجع فى كل ما يتعلق بالناموس اليهودى الشفاهى، فكل ما أضيف إلى ناموس موسى كان ينتقل شفاهًة على مدى زمن طويل، كما يقول يوسيفوس وفيلو. ومع ازدياد حجم المادة صار ترتيبها أمرًا ضروريًا، وقد تم ترتيبها بالفعل حسب الموضوع فى القرن الأول الميلادى، أما ترتيبها الطقسى فيرجع إلى ما قبل ذلك. وعند اليهود الأرثوذكس لا

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ١، ص ٢٦١.

(٢) نفسه، ص ٢٦١.

يكون أى قرار صحيحًا من الوجهة العقيدية إذا جاء مخالفًا لشيء فى التلمود.. أما اليهود المتحررون فيقولون إن التلمود فى حد ذاته ليس مستندًا أو أساسًا للإيمان والحياة.

والعالِم الإنجليزى الأب الدكتور لايتفوت «D. Lightfoot» ـ الذى استغرق كل عمره تقريبًا فى دراسة التلمود ـ يقرر الحقيقة التالية: «صعوبة فى الإنشاء لا يتغلب عليها المرء إلا فيما نذر. خشونة التعبير متعبة، تقلب مدهش فى البحوث. وهذه كلها أمور تؤلم وتؤذى وتضعف إلى حد كبير ذهن قارئ هذه الكتب، لأنها ملأى بالنزهات المستحيلة الفهم، والتى تضطر المطالع الذى يريد التغلب عليها إلى أن يكون صبورًا من الأول للآخر».

وهناك التلمود الفلسطينى الذى جمعت مادته أساسًا من طبرية، فى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد. والتلمود البابلى، الذى كتب فى مدارس سورا ونهارديا وسيبوريس وبوميديا، من القرن الثالث حتى نهاية القرن الخامس بعد الميلاد.

والتلمود البابلى أكبر حجمًا من نظيره الفلسطينى، كما أنه يعتبر مرجعًا أقوى عند اليهود.

**٣٧ ـ جاثليق General** [١]

كلمة «**جاثليق**» هى كلمة أرمينية من أصل يونانى هو (كاثوليكوس). وتفيد معالم اللغة أن الكلمة تعنى «متقدم الأساقفة» أى المشرف على أكثر من أسقفية محلية، ويكون تابعًا للبطريرك الذى هو رئيس جميع الإكليروس.

وكانت كلمة «جاثليق» تطلق على كبار الأساقفة الذين يمنعهم طول المسافات بين مقرهم ومقر البطريرك الذى يتبعونه من الاتصال به فى كل أمر، فصار لهم التصرف شبه المطلق فى تدبير شئون رعيتهم. وكان هناك كثيرون من «الجثالقة» فى العراق تحديدًا.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٧٣.

### ٣٨ ـ جبرائيل Gabriel [1]

الاسم عبرى، وهو أحد رؤساء الملائكة السبعة. ويرد اسمه فى سفر دانيال (٨ : ١٥، ٩: ٢١)، حيث ساعد دانيال النبى على فهم رؤياه. وفى العهد الجديد هو الذى بشَّر زكريا الكاهن بميلاد يوحنا المعمدان، وكذلك بشَّر العذراء القديسة بميلاد يسوع. وهو يأخذ ترتيبه بعد رئيس الملائكة ميخائيل مباشرة فى كلا التقليدين اليهودى والمسيحى وهو يدعى فى التقليد المسيحى باسم «جبرائيل المبشر».

### ٣٩ ـ جرس الكنيسة Church bell [2]

غايته دعوة المؤمنين إلى الكنيسة لحضور الصلوات الليتورجية، أو لأمور أخرى مثل دخول الأسقف إلى الكنيسة، أو إعلان انتقاله. وبحسب قوانين القديس باخوميوس، يظن أن استخدام البوق لدعوة المؤمنين للصلاة سابق على استخدام الأجراس. ويشير القديس يوحنا كاسيان إلى استخدام مطرقة من خشب لدعوة الرهبان إلى الكنيسة.

وعرف استخدام الأجراس فى الشرق قبل الغرب. والكنيسة القبطية أقدم كنيسة فى الشرق استخدمت الأجراس. فقد كانت معروفة ومنتشرة فى أنحاء البلاد قبل دخول العرب مصر سنة ٦٤٢م. وكان منع استخدامها فى الكنيسة القبطية أحد مظاهر المضايقات التى تعرض لها الأقباط. أما الكنيسة اليونانية فلم تستخدم الأجراس إلا فى أواخر القرن التاسع، وبالتحديد فى عهد الإمبراطور ميخائيل سنة ٨٦٥م الذى بنى برج الجرس (المنارة) فى كنيسة آجيا صوفيا، وعلق فيه اثنى عشر ناقوسًا.

وفى الغرب، هناك دليل ضعيف على أن بولينوس أسقف نولا «Paulinus of Nola» (٣٥٣-٤٣١م) فى كامبانيا «Campania» هو أول من أدخل استخدام الأجراس فى العبادة الكنسية فى سنة ٤٢٠م. أما غريغوريوس أسقف تورس «Gregory of Tours» (٥٤٠-٥٩٤م) فهو أول كاتب مسيحى يذكر أجراس الكنيسة فى كتاباته، وكان ذلك فى سنة ٥٨٥م. ومع حلول القرن الثامن تعمم تقريبًا استخدام الأجراس فى كل

---

(١)- Cross. F.L:. F.L:. Livingstone. E. A. the Oxford Dictionary of the Christian Church (ODCC). 2nd Edition. 1988.p.543.

(٢) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ١، ص ١٧٨.

كنائس الغرب. ومنذ هذا التاريخ صار الأسقف يبارك الأجراس حين يرش عليها ماءً مُصَلًّى عليه، ويمسحها بالميرون. ومن جهة أحجام الأجراس وأوزانها، فقد تباينت جدًّا بين أجراس صغيرة، وأخرى ضخمة تزن أحيانًا ٢٧ طنًا مثل جرس كاتدرائية كولونيا «Catedral of Cologne».

### ٤٠ ـ الجناز Funeral [١]

فى اللغة العربية نقول: «جنز الكاهن الميت» أى صلى عليه، فالجَناز (بفتح الجيم) هو الصلاة على الميت. والجَنازة (بفتح الجيم) أو الجِنازة (بكسر الجيم) وجمعها «جنائز» هى المأتم والاحتفال الذى يقوم به أهل الميت وأقرباؤه من بدءًا من لحظة موته إلى حين دفنه. وحين نقول: «جنز فلان» أى مات وجعل فى الجنازة.

### ٤١ ـ حبر Pontiff [٢]

«حبر الشىء» أو «حبر الشىء» أى زينة وحسَّنه، وهو أحد المعانى الكثيرة لهذا الفعل. أصل الفعل لهذه الكلمة يتضمن سبعة معان: حبر الشئ أى زينه ـ حبره أى سره ـ حبِرت (بكسر الباء) الأسنان أى اصفرت ـ حبِر (بكسر الباء) الجرح أى برئ وبقيت له آثار ـ أحبرت الأرض أى كثر نباتها ـ حبر الدواة أى وضع فيها حبرًا. أما الحبَّار فهو أحد الرخويات، جسمها بيضوى مغطى بغلاف صدفى تفرز سائلًا أسود يستعمل فى الصباغة. و«الحَبْر» (بفتح الحاء وتسكين الباء) ـ وجمعها «أحبار وحبور» ـ هو السرور والغبطة. أما «الحِبْر» (بكسر الحاء وتسكين الباء) ـ وجمعها «حبور» ـ فلها أربعة معان هى:

الحسن: فتقول: فلان حسن الحبر أى جميل الهيئة.

المداد الذى نكتب به، ووردت الكلمة بهذا المعنى مرة واحدة فى العهد القديم.

الأثر: فنقول «فى يده حِبار (بكسر الحاء) العمل أى أثر العمل، وفى الكتاب المقدس هناك أيضًا كلمة «الحُبُر» (بضم الحاء والباء) وهى ما يبقى فى الجلد من أثر الضرب الشديد (مزمور ٣٨: ٥، إشعياء ٥٣: ٥).

---

(١) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: اللغة، ص ١٠٥.

(٢) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ١١.

المثيل والنظير: فنقول: فلان ليس له حِبر (بكسر الحاء) أى ليس له مثيل أو نظير.

وحين تطلق كلمة «الحبر» على أحد رؤساء الدين، فتعنى العالِم الصالح المنوط به تحبير العلم وتحسينه. وهو لقب رئيس الكهنة عند اليهود. وفى الكنيسة المسيحية، تطلق الكلمة على الأساقفة، وفى الكنيسة القبطية يدعى الباب البطريرك «رئيس الأحبار»، أما «الحبر الأعظم» فهو لقب بابا الكنيسة الكاثوليكية.

**٤٢ ـ حواريون** Apostles - Disciples [(١)]

«الحواري» مرادف لكلمة «القصار» الذى يبيِّض الثياب. فـ«حور الثوب» أى «بيضة»، وعلى ذلك فالحوارى هو الذى يحور الثياب أى يبيِّضها، فيجعلها ناصعة البياض. وجمعها «الحواريون» وهو لقب أطلق على تلاميذ السيد المسيح، وقيل سموا كذلك لخلوص نيتهم، ونقاء سريرتهم.

والاسم المؤنث من الكلمة هو «الحوارية» وجمعها «الحواريات». وحين نقول «أحور العينين»، أو «حوراء العينين»، أى ما اشتد بياض بياضهما وسواد سوادهما، والصفة المذكرة «أحور» أو المؤنثة «حوراء» جمعها «حور».

وفى حين لم ترد كلمة «الحواريين» ولا مرة فى الكتاب المقدس فى طبعته العربية، إذ يحل محلها كلمة «التلاميذ» أو «الرسل» أو ما يرادفها، فهى ترد مرة واحدة فى الليتورجية القبطية، وذلك فى مقدمة الإبراكسيس العربية كما أوردها كتاب خدمة الشمَّاس فى أول طبعة له سنة ١٨٥٩م.

**٤٣ ـ حوض الاغتسال** Font [(٢)]

كان يوضع فى مؤخرة الكنيسة ويستخدم فى غسل اليدين أو الوجه وربما الرجلين أيضًا قبل دخول الكنيسة فقد سادت فى ذلك الزمان عادة دخول الكنيسة بقدمين حافيتين، فيقول أحد قوانين البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) البطريك الـ

---

(١) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق، ص ١٦٠.

(٢) البطريرك الأنطاكى أغناطيوس أفرام الثانى: المباحث الجلية فى الليترجيات الشرقية والغربية، دير الشرفة، لبنان، بيروت سنة ١٩٣٤م، ص ٦٣.

(٦٦) من باباوات الكنيسة القبطية: «لا يدخل أحد إلى الكنيسة إلا حافيًا مكشوف الرأس».

وقد بطل استخدام هذا الحوض حاليًا بعد أن أصبح التحفى مقصورًا على دخول الهيكل وليس على دخول الكنيسة، وهو التطور الذى طرأ مع حلول القرن الرابع عشر كما يشير إلى ذلك ابن كبر (١٣٢٤م) قس الكنيسة المعلقة. ولكن مازال طقس صلوات اللقان وغسيل الأرجل يوم خميس العهد يتم فى المكان الطقسى لهذا الحوض فى مؤخرة الكنيسة.

وحوض الاغتسال هذا تعرفه أيضًا الكنائس الشرقية، ولكن موقعه فى الكنيستين الأنطاكية والبيزنطية ليس فى مؤخرة الكنيسة، بل فى فناء الكنيسة الخارجى ليغسل فيه الداخلون أيدهم أو وجوههم.

**٤٤ ـ خاتم الزواج** Wedding ring [١]

المقصود بـ«الخاتم» أصلًا هو «الختم» فكان كل من يستعمل شيئًا خاصًا به يلزم أن يضع عليه ختمه علامة ملكيته إياه.

وأقدم إشارة إلى خاتم الزواج نجدها عند العلامة كليمندس الإسكندرى (١٥-٢١٥م) فيقول:

(ينبغى للعريس أن يعطى عروسه خاتمًا من ذهب، لا لتفتخر به، بل لتختم به الأشياء البيتية التى تسلم إليها).

ويبدو أن الخاتم كان يعطى للعروس فقط، ولكن فيما بعد صار لكل من العروسين خاتم.

فخاتم الزواج إلى جانب أنه يرمز إلى الأمانة الزوجية، وإلى الكرامة التى نالتها المرأة لدى رجلها، فهو يشير أيضًا إلى الحقوق الخاصة بالزوجة التى هى ربة البيت وأم العائلة.

---

(١) كريستيان ديروش نوبلكور: المرأة الفرعونية، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م، ص ٢٤٣.

والقديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ -٤٠٧م) يصف الخاتم على أنه الختم المسيحى، وإشارة الخطبة، وعربون العرس، وعلامة المحبة.

والخاتم يوضع فى الأصبع البنصر، حتى أن هذا الأصبع قد سمى باسم الخاتم «Annulaier». وهو يتميز بحسب علم البيولوجيا اليونانى بارتباطه بالقلب بواسطة شريان خاص.

ومن الطريف أن عالم المصريات «سونيرو» كان قد اكتشف نصًا ورد فى أحد النصوص المصرية القديمة يشهد على أن المصريين القدامى عرفوا «دبلة الخطوبة» التى كانت تعرف باسم «سيلويين» والنص المكتشف يقول: يكفى الحصول على كمية صغيرة من دم الأصبع الثانية المجاورة للخنصر باليدى اليسرى، والذى كان يتطابق أحيانًا مع الطحال، وهو الأصبع الذى يسمى «أصبع القلب».

**٤٥ ـ خُبز Bread** [1]

ترجمت الكلمة اليونانية (أرتوس) فى كتاب العهد الجديد إلى كلمة «خبز»، أما فى معجزة إشباع الجموع كما أوردها البشيرون الأربعة فوردت الكلمة اليونانية باسم «أرغفة».

والخبز نوعان رئيسيان، إما خبز مختمر وإما خبز غير مختمر، وهذا الأخير يسمى فطيرًا. وكان خبز عيد الفصح اليهودى والأيام لسبعة التى تعقبه، خاليًا من الخمير (خروج ١٢ : ٨ لاويين ٢٣: ٦)، لذلك دعيت تلك الأيام بأيام الفطير. وكانت كل التقدمات التى تقدم للرب فى العهد القديم يلزم أن تكون خالية من الخمير (لاويين ٢ : ١١، ١٠: ١٢).

«خبز الوجود» أو «خبز الحضرة» هو الخبز الذى كان يوضع على مائدة خبز الوجود. وكان يرفع كل سبت ليوضع بدلًا منه خبز آخر جديد، تعبيرًا عن أنه خبز غير باقٍ، ولا يدوم، انتظارًا للخبز الحى الذى يبقى معنا وفينا إلى الأبد.

وكان مجرد الشراكة فى تناول الخبز تعنى المصالحة والصداقة، وهى إحدى مظاهر المحبة الأخوية أو الشراكة الأخوية فى الكنيسة الأولى. أما قوانين البابا

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٣.

أثناسيوس بطريرك الإسكندرية فقد ألزمت الأسقف بأن يوفر الخبز لفقراء شعبه، إذ يعد هذا من أعماله الأساسية.

وللتعبير عن أهمية الخبز وكونه قوام الحياة الأرضية، أوردت الأسفار المقدسة استخدامات مجازية للخبز، فهناك «خبز الدموع»، و«خبز الشر»، و«خبز الكسل»، و«خبز الضيق»، و«خبز الأتعاب»، و«خبز الكذب».

ولقد وصف «المن» الذى أعطى للشعب قديمًا ليعولهم به فى البرية أنه «خبز السماء».

**٤٦ ـ ختان Circumcision** [١]

الفعل «يختن» فى اليونانية هو (بريتمنو) ويعنى يُقطع أو يُقلم أو يُشذب أو يُجز دائريًا. فالختان هو استئصال لحم الغزلة عند الذكر، وهى عادة مازالت سائدة حتى اليوم بين كثير من الشعوب والأجناس، كما كانت شائعة بين الساميين من عبرانيين وعرب وموآبيين وعمونيين وأدوميين ومصريين، لكنها لم تكن معروفة عند الأشوريين والبابليين. وكان الفلسطينيون فى كنعان استثناء من المنطقة كلها، لذلك كانوا يدعون دائمًا «الغلف» أى غير المختونين.

ويرى هيرودت أن الختان عند قدماء المصريين كان الدافع إليه دافعًا صحيًا، ولكننا لا نستطيع أن نغفل تأثير الديانة المصرية القديمة على حياة وسلوك المصرى القديم، لذلك ليس من المستبعد أن يكون الختان عندهم كان تنفيذًا لشريعة دينية.

وكثيرًا ما يورد كتاب العهد القديم استخدامات مجازية عن الختان، فهناك «غلف الشفتين» أى التعثر وعدم الفصاحة فى الكلام، و«غلف الأذنين»، و«غلف القلوب» أى القلوب المنغلقة عن سماع صوت الرب، والتى لا تتأثر بكلمته المقدسة.

وحقيقة أن الولد العبرانى كان يختتن عندما يبلغ كمال أسبوع واحد من عمره، تُظهر أن دخوله فى العهد لم يكن مبنيًا على أى فعل من جانبه، أى من جانب هذا الطفل العبرانى، بل على تدبير العناية الإلهية لحياته عندما شاء الله له أن يولد من أبوين ينتميان إلى شعبه المقدس؛ فصار الختان بذلك هو العهد الذى اختار به الله هذا الولد ليصير واحدًا من شعبه قبل أن يدرك الولد هذا الاختيار أو هذه الدعوة.

---

(١) Liddle and Scott:. Greek English lexicon. Oxford 1986. p. 633.

ويظل الختان هو أحد أبرز الرموز التى تشير إلى المعمودية فى العهد الجديد، بل يتميز عليها كونه رمزًا شخصيًا يمارسه الإنسان فى ذاته بوصفه علامة عهد لا تمحى من جسده، وبوصفه أيضًا سمة تميز الإنسان على غيره من البشر. فكما أن المعمودية هى ختم العهد الجديد، فالختان هو ختم العهد القديم (رومية ٤ : ١١).

### ٤٧ ـ **خطبة** Engaging [١]

«الخِطبة» بكسر الخاء، هى مصدر، أما الفعل منها فهو «خطب»، فالرجل يخطب المرأة أى يدعوها للزواج. وكانت الخطبة ـ فى معظم بلاد الشرق الأوسط ـ تعتبر ملزمة مثل الزواج تمامًا. فكثيرًا ما تُسمَّى المخطوبة فى الكتاب المقدس بزوجة، ومن ثم كانت تحت الالتزام بالأمانة. كما كان الخطيب يسمى «بعلًا» أو «زوجًا».

أما الآن فإن كل الطقوس الرقية تميز جيدًا بين الخطبة والزواج، باستثناء الطقس الكلدانى الذى يجمع بينهما. كما أن الشكل الدينى للخطبة لا يجعل لها أى صفة إلزامية. وإن كانت فترة الخطبة غير محددة فى معظم القوانين، إلا أنه يلزم أن تكون كافية ليتعرف كل طرف على الآخر معرفة كافية.

وشروط إتمام الخطبة هى:

- الرضا التام بين الخطيبين.
- عدم وجود موانع شرعية.
- بلوغ السن القانونية.
- إعلان أو إشهار الخطبة.
- كتابة محضر الخطبة.

وفى الطقس البيزنطى يقام طقس الخطبة بعد «ذبيحة الإفخارستيا» عند باب الهيكل. ويُوضع على المذبح خاتمان: أحدهما من الذهب والآخر من الفضة. ويستقبل الكاهن الخطيبين عند مدخل الكنيسة، ويباركهما ويسلم كل منهما شمعة موقدة، حيث يدخلان إلى صحن الكنيسة.

---

(١) الأب هنرى دالميس الدومينكى: الطقوس الشقية، تعريب الشمَّاس كامل وليم، المعهد الكاثوليكى، المعادى، سنة ١٩٧٨م، ص ١٥١.

والكنائس السريانية والأرمينية تمنح البركة بالصلاة على حلى وملابس الخطيبة ضمن طقس محدد. وأقدم عادة لدى الكنائس السريانية فى الخطبة هى تثبيت الخطوبة، فهى عادة سريانية من صميم التقليد بشهادة قوانين ابن العبرى.

كما أننا نجد هذه العادة مذكورة باعتبارها طابعًا مميزًا للخطوبة فى كتاب خدمة الأسرار فى الكنيسة الأرمينية يرجع إلى القرن العاشر. والصلاة التى تصحب وضع هذا الصليب مازالت مستعملة لدى الأرمن الكاثوليك برغم اختفاء الطقس نفسه. وفى الطقس الأرمينى ترد أطول قراءات كتابية بين جميع الطقوس الشرقية.

ولا يذكر الكتاب المقدس حقوق الخطيبة فى حالة فك الخطبة، ولكن قانون حمورابى (المواد ١٥٩، ١٩٠) يقرر أنه إذا فك زوج المستقبل الخطبة، كان لأب العروس الحق فى الاحتفاظ بكل هداياه للعروس. ولكن إذا كان أبو العروس هو الذى فك الخطبة، فكان عليه أن يعوض العريس بضعف قيمة الهدايا.

### ٤٨ ـ خلاص Salvation [١]

والخلاص هو خلاص من الخطية والموت والعالَم والشيطان والذات. ويتحقق بالمعمودية من الماء والروح، وبالتوبة والاعتراف أمام الكاهن.

### ٤٩ ـ خمر Inew [٢]

فى كتاب العهد القديم ترد كلمات عبرية كثيرة تعنى كلها أنواعًا مختلفة من الخمر، ومن بينها كلمتان تتكرران كثيرًا: الأولى هى «يايين ـ Yauin»، والثانية هى «تيروش ـ Tirosh».

الكلمة الأولى «يايين» هى أول كلمة استخدمت للدلالة على الخمر، وهى تعنى كل أنواع الخمر، سواء عصير العنب الطازج، أو الخمر المركَّز المعتق. واستخدمت الكلمة نفسها للدلالة على خمر «السكيب» الذى كان يقدم مع الذبائح أمام الرب.

أما الكلمة الثانية «تيروش»، فتستخدم للتعبير عن عصير العنب الطازج غير المختمر، وهى التى تترجم فى اللغة العربية إلى كلمة «سلاف».

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٤٠.

(٢) البطريرك الأنطاكى أغناطيوس أفرام الثانى: المرجع السابق، ص ٩٦.

أما الخمر فى العهد الجديد فله كلمة يونانية واحدة هى (إينوس)، ما عدا موضع واحد فى سفر أعمال الرسل (٢: ١٣)، حيث تُستخدم كلمة (غليفكوس).

كان الخمر فى العهد القديم سلعة أساسية مثل الحنطة والزيت. وفى العهد القديم كانت الخمر تشرب دون أن تخفف بالماء، إذ كانت الخمر الممزوجة بالماء تعد مغشوشة، بل رمزًا للغش الروحى.

أما الخمر الممزوجة فى العهد القديم فهى الخمر التى أضيفت إليها عند تخميرها أنواع مختلفة عن الأعشاب العطرية لتجعلها قوية المفعول. وكانت الخمر الممزوجة بالمُر خمرًا مخدرة. وفيما بعد استخدم اليونانيون الخمر المخفف بالماء، إذ أصبح تخفيف الخمر بالماء شيئًا طبيعيًا حتى عند اليهود أنفسهم، وهو ما أشار إليه سفر المكابيين الثانى (٢ مكابيين ١٥: ٤٠).

وينهى كتاب العهد الجديد عن السكر بالخمر، وما أوصى به الرسول بولس ابنه تيموثاوس (١ تيموثاوس ٥: ٢٣) ليستعمل خمرًا قليلًا من أجل أسقامه، فكان كعلاج لظروف مرضية خاصة.

وتضع بعض قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية حدودًا لشرب الخمر. ففى القانون السابع منها يُمنع الذى يكثر من شرب الخمر من الاقتراب من الموضع المقدس، أى الكنيسة، واضعة إياه ضمن جماعة الزناة والمرائين والشتَّامين الذين يُمنعون من دخول بيت الرب.

وفى القانون (٢٩): «لا يشرب أحد من الشمامسة أو ممن هو منسوب إلى الكهنة خمرًا مسكرًا، ولا يشربوا فى المواضع المقدسة، ولا يشرب أحد من الكهنة خمرًا بالنهار، ولا كأسًا أو اثنين، وإذا شربوا لا يخرجوا من المدينة لئلا يهين أحد صورة المسيح».

وفى القانون (٣٠): «لا يشرب أحد من الكهنة خمرًا البتة فى أيام البصخة». وفى القانون (٧٢): «لا تشرب واحدة من العذارى خمرًا بالجملة ولا أحد من الرهبان الذين يتمسكون بالطهارة، وإذا سقط الناسك فى مرض يشرب قليلَ خمرٍ». وفى القانون (٩٨): «لا تشرب (العذراء) خمرًا، لئلا ينطفئ مصباح بتوليتها».

والخمر هو المادة الثانية ـ بعد القربان ـ التى تقدم على المذبح فى كنيسة العهد الجديد، لتتميم سر الإفخارستيا المقدس. ويجب أن يكون الخمر المقدم من عصير الكرمة نقيًا. وقد أجمعت على ذلك كل الكنائس الشرقية والغربية. واتفقت الكنائس الشرقية على مزج الخمر بالماء ما عدا الكنيسة الأرمينية.

أما نسبة الماء الممزوج بالخمر فاختلفت من كنيسة إلى أخرى، فقد اتفقت الكنيستان القبطية واليونانية على أن يمزج الخمر بنحو الثلث أو الربع أو أقل من هذه النسبة حتى إلى العشر بالماء، ولا يزيد الماء عن الثلث. أما عند السريان فيمكن أن يكون النصف خمرًا والنصف الآخر ماء. ويمزج السريان الخمر بالماء فى إناء خارجى قبل وضع المزيج فى الكأس. ويوضع فى هذا الإناء بعد ذلك ماء ليغسل به الكاهن أطراف أصابعه كلما لمست القربان. وأجازت بعض قوانين السريان النساطرة أن يكون مقدار الماء الذى يمزج بالخمر ثلثيها. ولكن تفردت الكنيسة البيزنطية بسكب الماء الحار فى الكأس بعد تقديس الماء الممزوج، وقبل التناول، ولا يُعرف تحديدًا متى دخلت إليهم هذه العادة.

والقانون الأخير من قوانين البابا أثناسيوس بطريك الإسكندرية، وهو القانون (١٠٧) يختص بخمر القربان، وهذا نصه:

«الخمر الذى يُرفع قربانًا لا يذوق أحد منه شيئًا حتى تكمل الصعيدة. وإذا فتحوا الخمور فى جميع البيوت فلا يذوق أحد منها شيئًا حتى يأخذوا منها البكور. وإذا أخذوا «الأبركا» (عصير الكرم) ووضعوها فى كأس، حينئذ يأخذون خمرًا ويصبونه فى إناء نظيف ويسكبون عليه «الأبركا»، وإذا لم تكن الخمر طيبة فيردوها، وخبزًا سخنًا نقيًا سالمًا من العيب، وأيضًا أقدم لك صعيد دسمة ومحرقات مختارة وقرابين طاهرة.

### ٥٠ ـ خمير Enzyme [1]

هو الخمير الذى يدخل فى عمل الربان، إذ يقدم على المذبح خبز خمير وليس خبز فطير. وهو ما تمارسه كل الكنائس ما عدا الأرمن واللاتين والموارنة.

---

(١) البطريرك الأنطاكى أغناطيوس أفرام الثانى: المرجع السابق، ص ١٠٣.

وهو جزء من القربان المقدس الذى يقدسه الأسقف، والذى يرسل إلى الكنائس التى تتبع كنيسة الأسقف الكاتدرائية.

**٥١ ـ ( أ ) خميس العهد** Maundy Thursday [1]

العهد هو الميثاق، ولقد جب العهد الجديد الوحيد كل العهود القديمة الكثيرة التى كان أولها فى أيام نوح بقوس يظهر فى الحساب علامة عهد.

ثم عُهِدَ مع إبراهيم ونسله بأن يختتن كل ذكر فى لحم غزلته فيكون الختان علامة عهد أبدى.

وعهد آخر مع موسى على جبل حوريب، وهو يسلمه الوصايا مكتوبة على لوحين من الحجر. وهما «لوحا العهد» أو «كتاب العهد».

بل إن دم الذبائح دُعى أيضًا «دم العهد» وكان موسى يرشه على الشعب لتطهيره، فكان رش الدم هو علامة هذا العهد.

**٥١ ـ (ب) تابوت العهد**[2]

أو تابوت الشهادة. وهو صندوق مجوف من خشب السنط، مغشى من الداخل والخارج بذهب نقى، وله إكليل من الذهب حول حافته العليا لتثبيت الغطاء. طوله ١١٢,٥ سنتيمتر، وعرضه مثل ارتفاعه ٦٧,٥ سنتيمتر.

وللتابوت غطاء، يسمى «كرسى الرحمة» وهو من ذهب نقى طوله وعرضه مثل أبعاد التابوت، ويعلوه كاروبان من ذهب يبسطان أجنحتهما إلى فوق مظللين بهما على الغطاء، ووجه كل واحد نحو الآخر، وناظران إلى الغطاء.

**٥٢ ـ دُف** Timbrel [3]

«الدُف» آلة من آلات الإيقاع الموسيقية. ولا يزال مستخدمًا إلى اليوم لضبط النغمات وحركات الرقص.وورد ذكر الدفوف كثيرًا فى كتاب العهد القديم إما بمفردها، وإما مع غيرها من الآلات الموسيقية.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٤٧.

(٢) وليم وهبه بباوى، وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، الجزء الثانى، ص ٤٣٦.

(٣) Aziz. Sorial A. The Coptic Encyclopedia. P. 1738. 1739.

والدُف نوع من الطبل يُحمل باليد الواحدة وينقر عليه بالأخرى. وهو عبارة عن إطار خشبى دائرى يبلغ قطره نحو ٣٠ سم، وارتفاع الإطار نحو خمسة سنتيمترات. تشد على هذا الإطار رقعة من الجلد الرقيق شدًا محكمًا. وتوجد فى الإطار عادة خمس فتحات تعلق فيها بطريقة سائبة أقراص معدنية تجلجل محدثة صوتًا عند اصطدامها ببعضها عند هز الدُف باليد التى تحمله، والنقر عليه باليد الأخرى. وهناك أنواع من الدفوف والطبول منقوشة على آثار المصريين والأشوريين، فهى مستخدمة منذ القدم.

وفى الكنيسة القبطية هناك آلة تستخدم لضبط إيقاع الألحان الطويلة التى تتميز بها الكنيسة القبطية، تسمى «دُف» إلا أنها تسمية غير دقيقة، وهو يصنع غالبًا من الفضة، ولم يرد ذكر كلمة «دُف» فى الكتب الطقسية الكنسية. وزمن دخول الدُف إلى الكنيسة غير معروف بالضبط.

أما كلمة «ناقوس» وهى الكلمة المستخدمة فى الكتب الطقسية فربما لا تشير إلى الناقوس أو الدُف المعروف لنا اليوم، بل تشير إلى استخدام ناقوس قديم كان يُحدث صوتًا بطرق إطاره الخارجى بقضيب يوضع فى داخله ولكنه اختفى اليوم.

**٥٣ ـ دورة احتفالية** Procession [1]

«دورة» اصطلاح طقسى قبطى يقابله فى السريانية «زياح». وهو موكب طقسى كنسى ذو مغزى عقدى و روحى محدد، ومشروحًا بالطقس. والدورة الطقسية تكون مصحوبة بالألحان والمردات المختلفة المناسبة مع البخور والشموع والصلبان.

وأول ذكر لهذه الدورات أو المواكب الطقسية نقرأ عنه فى مذكرات السائحة الإسبانية إيجيريا (أواخر القرن الرابع الميلادى) فى وصفها مواكب أسبوع الفصح (أسبوع الآلام) التى تنتقل بين الأماكن المقدسة التى شهدت أحداث الأيام الأخيرة من حياة المخلص على الأرض فى مدينة أورشليم.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٧٧.

## ٥٤ ـ دير Monastery [1]

«دير» هو مسكن الرهبان، وتقابله الكلمة اليونانية (موناستيريون)، وتعنى قلاية متوحد «Hermit's»، وأصل الفعل هو (مونازو) أى يعيش منفردًا فى وحدة، كما نجده فى السبعينية (مزمور ١٠٢: ٧). وانتقلت الكلمة بنطقها اليونانى إلى القبطية، ومنها أيضًا كانت الكلمة اللاتينية «Monasterium». ومن اللاتينية ظهرت الكلمة الإنجليزية القديمة فى العصور الوسطى «Minister» التى صارت تعنى كاتدرائية أو كنيسة كبيرة، والتى يقوم بخدمتها إما كاهن إكليريكى وإما كاهن علمانى على حد سواء. أما الآن فقد صارت الكلمة الإنجليزية «Monastery» تعنى أديرة الرجال فى حين صارت الكلمة «Convents» تعنى أديرة البنات.

وفى اللغة العربية «الدير» غير «الدار»، فالدير هو مسكن الرهبان، وأما الدار فهى مسكن أو محل العلمانيين. و«دير» جمعها أديرة وديورة وأديار. أما «دار» فجمعها دور وديار وأدؤر وأدور وأدوره وديارة وأدوار ودورات وديارات ودوران وديران وبالاختصار فإن «دير» جمعها أديرة وأديـار، أما «دار» فجمعها هو دور وديا وديارات.

وإن كان القديس أنبا أنطونيوس أب الرهبان هو مؤسس الرهبنة فى مصر وك العالم، فإن القديس أنبا باخوميوس هو أول من أسس ديرًا سنة ٣١٨م فى طبانسي بصعيد مصر، قبل تأسيس الأديرة بشكلها المعروف اليوم فى برية شيهيت بخمس قرون تقريبًا.

فلقد نشأت الأديرة فى برية شيهيت فى البداية بوصفها قلالى منفردة فى الج حول قلاية الأب الكبير، ثم بُدئ فى بناء كنيسة مجاورة لإقامة الصلوات، كان يجت فيها المتوحدون يومى السبت والأحد من كل أسبوع. ومن ثم ظهرت المائدة ال تجمع الرهبان كلهم بعد حضور القداس لتناول وجبة الأغابى. وكان لابد من وج بئر للماء وبعض المخازن البسيطة وفرن لتجهيز الربان... إلخ. ومع تكرار الغار على الأديرة بُدئ فى بناء الحصون فى القرن الخامس الميلادى. أما أسوار الأديرة برية شيهيت فلم تظهر إلا فى القرن التاسع الميلادى. حيث أصبح السور يضم

(١) المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق، طبعة دار المشرق، بيروت ١٩٨٦م، (اللغة)، ص ٢٩

داخله الكنيسة بملحقاتها، وقلالى الرهبان حولها، والحصن، والمائدة، والمخازن، وبئر الماء، فصار الدير على شكله الذى نراه به اليوم.

لم تمنع أسوار الأديرة من وجود قلالى ومنشوبيات منفردة خارج هذه الأسوار حتى القرن الرابع عشر تقريبًا، حتى صار التوحد فى الحياة الرهبانية هو الاستثناء بعد أن كان هو القاعدة.

**٥٥ ـ ذبيحة** Sacrifice [١]

كل الديانات القديمة للشعوب المختلفة فى العالَم القديم تعرف تقديم الذبائح بوصفها جزءًا أساسيًا فى العبادة. وتقديم الذبيحة لله يكون لاسترضاء وجهه أو للتكفير عن الخطأ، أو لتقديم الشكر له، أو للتعبير عن الإيمان به.

كما أن نوحًا وإبراهيم وأيوب وإسحق ويعقوب قدموا ذبائح أيضًا. أى أن الذبائح كانت معروفة قبل موسى، ثم جاءت شريعة موسى لتقرها وتقننها، وتشير إلى أنواعها وطرق تقديمها.

**٥٦ ـ راع** Pastor [٢]

رعى الشىء أى حفظه وتولى مسئوليته. والراعى هو من يحفظ قطيعه ويرعاه، ويزود عنه، ويقوده إلى المراعى الجيدة.

وكانت حياة الراعى خير إعداد لمن يختاره الرب ليرعى شعبه. فكان هابيل راعيًا للغنم، وكذلك كان إبراهيم وإسحق ويعقوب وأولاده، وموسى النبى أيضًا.

والراعى الصالح يسير فى مقدمة القطيع ولا يسوقه أمامه، لأن الخراف تعرف صوت راعيها، وتميزه من صوت الغرباء. والراعى الحقيقى يحمى قطيعه من الوحوش المفترسة، ومن اللصوص، ويهتم بالمريض من رعيته، ويصحب المجروح، ويجبر الكسير، ويسترد المخطوف، ويطلب الضال حتى يجده. أما الحملان الضعيفة فيحملها فى حضنه أو حتى على منكبيه.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٨٧.

(٢) نفسه، ص ١٠٣.

وكانت أدوات الراعى فى القديم هى عصا الرعاية، وعكاز للتوكؤ. ومزمار للعزف، ومقلاع للدفاع عن نفسه وعن الغنم، وجراب من الجلد يضع فيه حاجياته.

**٥٧ ـ رب Lord** [١]

«رب» أى «السيد» أو «المالك» وجمعها أرباب وربوب. وتأتى كلمة «رب» فى الكتاب المقدس فى ترجمته العربية نقلًا عن عدة كلمات عبرية وآرامية ويونانية. وأهم هذه الكلمات هى:

«يهوه» وتترجم دائمًا «الرب»، وكلمة «يهوه» لا تُطلق إلا على الله الخالق، ويرد هذا الاسم أيضًا فى العبرية فى صورة مختصرة هى «ياه» (خروج ١٥: ٢، ١٧: ١٦، مزمور ٧٧: ١١، ٨٩: ٨، ٩٤ : ٧، إشعياء ٢: ٢، ٢٦: ٤، ٣٨: ١١).

«أدوناي» كان اليهود تكريمًا لاسم الله «يهوه» لا ينطقون باسمه «يهوه» إذ كانوا يكتفون بكتابته «يهوه»، ولكن ينطقونه «أدوناي»، وهى كلمة عبرية تعنى «السيد ـ المولى». وهناك كلمة عبرية أخرى هى «أدون» للدلالة على إنسان عظيم.

«مار»: وهى كلمة آرامية استُخدمت فى نبوة دانيال بمعنى «رب ـ سيد».

«كيروس»: هى الكلمة اليونانية المستخدمة فى العهد الجيد، والتى ترجمت كثيرًا إلى «الرب» أى «السيد».

**٥٨ ـ الرتب الكنسية الكهنوتية** [٢]

هى: الأسقف، القس، الشمَّاس. وهذه هى الرتب الكنسية الكهنوتية القديمة كما ترد فى أقدم المصادر الطقسية. ومع مرور السنين صار هناك سبع طغمات كهنوتية فى الكنيسة هى: البطريرك، المطران (المتروبوليت)، الأسقف، الخورييسكوبوس، القمص، القس، الشمَّاس.

وبعد أن تقلص دور الخورييسكوبوس فى الكنيسة صارت الطغمات الكهنوتية سبع أيضًا وهى: البطريرك، المطران، الأسقف، القمص، القس، رئيس الشمامسة، الشمَّاس.

---

(١) وليم وهبة بباوى وآخرون: المرجع السابق، جـ٢، ص ٤٧. أثناسيوس: المرجع السابق، جـ٢، ص ١٠٨.
(٢) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ٢، ص ١١٦.

إلا أننا لا نسمع عن رتبة «رئيس الشمامسة» باعتبارها رتبة مستقلة بذاتها فى صلوات الليتورجية، إذ يقتصر ذكره فى طقس الرسامات، حين يفرد الطقس له صلوات أو مردات خاصة به.

**٥٩ ـ أما الرتب الكنسية غير الكهنوتية**[١]

هى الإيبودياكون (مساعد الشماس)، الأغنسطس (القارئ)، الإبصلتيس (المرتل)، الشمَّاسة المرأة، المعزم، القندلفت، البوَّاب. وهى أيضًا سبع طغمات. إلا أن بعض هذه الرتب قد خبا، مثل رتبة البوَّاب، وبعضها الآخر لم يبق منه سوى اسمه فقط مثل رتبة المعزم حيث يرد ذكره فى القداسين الغريغورى والكيرلسى فى الكنيسة القبطية، وكان له عمل أساسى فى طقوس المعمودية فى القرن الرابع الميلادى. وبعضها الآخر هو فى الأساس طقس سيريانى وليس قبطيًا مثل رتبة الشمَّاسة المرأة.

**٦٠ ـ رسامة Imposition of the Had**[٢]

الفعل «رسم» أى كتب أو خط. فنقول: رسم الكتاب أى كتبه. وفى المصطلح الكنسى حين نقول: رسم الأسقف فلانًا، أى أعطاه درجة كنسية. والاسم هو «الرسامة». وفى قولنا: ارتسم الرجل أى ارتقى إلى درجة كنسية.

وهناك فعل آخر قريب من فعل «رسم» هو «رشم» أى كتب وختم. والاسم هو «الرشم» أى الختم. ونقول «يرشم الكاهن فلانًا بالزيت»، أى يختمه بالدهن أو بالزيت، ولكننا لا نقول: «يرسم الكاهن فلانًا بالزيت». أما عن الرسامة فى كتب المراسيم الرسولية فهى تقع كلها فى الكتاب الثامن. والمؤلف يركز على أمرين فى كل الرسمات التى أوردها بدءًا بالأسقف، وانتهاءً بالشمَّاسة المرأة. أما عن طقس الرسامة نفسه، فلم يوضح المؤلف شيئًا عنه سوى فى رسامة الأسقف وحسب، أما فى باقى رسامات الرتب الكنسية الأخرى، فقد أشار فقط إلى وضع اليد، بالإضافة إلى أنه عند رسامة القس أو الشمَّاس أو الشمَّاسة، يلزم حضور رفقائه أو رفيقاتها من الرتبة نفسها.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ٢، ص ١١٦، ١١٧.

(٢) نفسه، ص ١٢٢.

### ٦١ ـ رسول Apostle [١]

الكلمة اليونانية المترجمة «رسـول» فى كلا العهدين القديم والجديد هى (أبوسطولوس) وهى مشتقة من الفعل (أبوستيلو) أى يرسل، فالرسول هو المرسل من قبل آخر لتتميم عمل محدد موكل إليه. وجدير بالذكر أن كلمة «ملاك» هى تعريب لكلمة «ملاك» العبرية، وتعنى أيضًا «رسولا». وكما استخدمت الكلمة لتشير إلى مبعوثين من الكنائس.

### ٦٢ ـ رُفات Relics [٢]

فى اللغة العربية «الرفات» هو الحطام أى كل ما تكسر وبلى. وفى المصطلح الكنسى «الرفات» هو بقايا عظام الشهداء أو القديسين الذين تحتفظ بهم الكنيسة.

وجرت العادة فى القرون المسيحية المبكرة أن تبنى المذابح على رفات الشهداء والقديسين، حيث توضع الرفات تحت المذبح. وكان وضع رفات واحد من هؤلاء الأبرار تحت المذبح بمثابة تكريس له، وذلك قبل أن يعرف طقس تكريس المذابح فيما بعد.

وتوضع الرفات عادة فى صندوق أو أنبوب صغير يصنع من أحد المعادن النفيسة أو من الخشب المطعم والمزخرف بنقوش بديعة. ويسمى هذا الصندوق أو الأنبوب «Reliquary». وتوضع هذه الرفات الغالية فى مقصورة بالكنيسة حيث توقد أمامها القناديل والشموع. وتفخر الكنيسة التى تحتفظ لديها برفات أحد الشهداء أو القديسين.

### ٦٣ ـ روح Spirit [٣]

الكلمة اليونانية (إبنفما) فى الكتاب المقدس بمعنى «روح ـ نفس ـ ريح ـ نفخة». وفى اللاهوت المسيحى تعنى «الروح» النقاط الأربع الآتية:

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ١٢٥.

(٢) نفسه، ص ١٣٣.

(٣) انظر فى ذلك: Cross. F. L. Livingstone. E. A:. Oxford dictionary of the Christian Church (ODCC) 2nd. edition. 1988. p. 130

* الأعلى الذى لا يحده زمان أو مكان.

* الروح القديس، وهو الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس.

* بعض الخلائق الروحانية، سواء الخيرة أم الشريرة، أى الملائكة والشياطين.

* الجزء العاقل غير المادى فى الإنسان، أى روح الإنسان، أو النفس «Soul» البشرية التى تتحد بالجسد فى حياة الإنسان، أو تنفصل عنه عند موته. ومن هنا تكون روح الإنسان أو نفسه هى مركز إحساساته وانفعالاته وتجاوبه مع كل ما هو إلهى وسماوى.

وفى الحقيقة يصعب التفريق بين «الروح ـ Spirit» و«النفس Soul».

**٦٤ ـ زنار Girdle** [1]

«زنار» تعريب للكلمة اليونانية (زوناريون)، ومنها جاءت القبطية بنطقها نفسه. وهو يُسمَّى أيضًا فى القبطية (أوراريون) من الكلمة اليونانية (أوراريون). وتسميه الكنيسة السريانية بشقيها الغربى والشرقى «زنارا ـ Zunnara»، ويسمى فى الكنيسة الأرمينية «كودى Kodi»، وهو فى الإنجليزية Elgird.

والزنار هو المنطقة أو الحزام «Belt» أو الوشاح المصنوع من القماش «Sash» الذى يشد على الخصر أو الصدر لتثبيت الرداء أو الثوب على الجسد. وقد ورد ذكره فى العهد القديم.

وفى الكنسية العهد الجديد يرتديه الأب البطريرك أو الأسقف سواء فى الكنيسة الشرقية أو الغربية. وهو كبقية الملابس الكهنوتية يصعب تحديد الزمن الذى دخل فيه الكنيسة بوصفه أحد ملابس الخدمة. ولكن من رسم فريسكو على أحد الأعمدة فى كنيسة العذراء المعلقة بقصر الشمع بمصر القديمة يعود إلى القرن الثامن أو قبل ذلك، يتضح لنا شكله غير البدائى، وأنه ليس مجرد شريط عادى، ولكنه حزام مطرز ذو مشبك «clasp» لتثبيته، مما يعنى أنه كان مألوفًا فى استخدامه فى ذاك الوقت باعتباره أحد ملابس الخدمة الكنسية. ويعنى أيضًا أن استخدام الزنار أو المنطقة فى الكنيسة القبطية هو أكثر قدمًا من استخدامه فى الغرب المسيحى لاسيما روما.

---

(١) انظر فى ذلك: Alfred. J. Butler:. the Ancient Coptic Churches. vol. 2. p. 104. 124-127.

وأول ذكر واضح للزنار بوصفه أحد الملابس الكهنوتية منذ القرن الثامن الميلادى، كان بواسطة القديس جيرمانوس «Germanus» من القسطنطينية. وبعد حوالى قرن من الزمان ورد ذكره فى الغرب فى كتالوج الملابس الكهنوتية لمولفه رابانوس موراس «Rabanus Moras».

وذكر بوصفه أحد الملابس الكهنوتية للبطريرك فى الكنيسة اليونانية، وهو مطرز بالذهب والفضة والأحجار الكريمة. ولكنه أحيانًا يكون مجرد شريط بشراشيب مدلاة من طرفه يلف حول الصدر والظهر محمولًا على الكتف كما يستخدم على هذا الشكل البسيط فى سير المعمودية وفى سير الزيجة المقدس.

وفى الكنيسة الأرمينية يلبسه الكهنة (القسوس) فوق البطرشيل باعتباره أحد ملابس الخدمة العادية. وشكله فى الكنيسة السريانية كما فى الكنيسة القبطية. ويعرفه الموازنة أيضًا باعتباره أحد ملابس الخدمة. وأحيانًا يطلق الزنار على بطرشيل الشمَّاس بالذات.

**٦٥ ـ زواج Marriage** [1]

الكلمة اليونانية (جاموس) تعنى زواجًا أو عرسًا. وقد وردت فى كتاب العهد الجديد عدة مرات فى الثلاثة أناجيل للبشيرين متى ولوقا ويوحنا، ومرة فى رسالة العبرانيين، وأخرى فى سفر الرؤيا. أما إنجيل القديس مرقس فأورد الفعل (جاميسكو) أى «يزوج». والزواج بامرأة واحدة واضح من قصة آدم وحواء.

ومن مراسم الزواج القديمة أن العريس هو الذى يذهب إلى العروس وليس العكس، وفى ذلك يقول القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧-٤٠٧م): إن العريس يأتى إلى العروس حتى لو كان هو فى غاية الثراء وهى فى منتهى الفقر. وهو تعبير مبدع عن أن المسيح أتى إلى عروسه الكنيسة مع أنها لم تطلب منه أن يضع حياته لأجلها.

ويتقدم الزواجَ الخطبةُ، وفى فترة الخطبة أو الخطوبة يقدم الخطيب لخطيبته نوعين من الهدايا:

النوع الأول: «المهر» الذى هو بمثابة هدية من العريس لعائلة العروس، وختم

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ١٥٢.

للعهد الذى يربط الأسرتين، وكان ولد الفتاة هو الذى يحد قيمة المهر فى العهد القديم. ولا يلزم أن يكون المهر أموالًا تدفع، بل يمكن أن يكون هبات عينية. وفى المجموع الصفوى لابن العسال لا يجوز التزويج بلا جهاز ولا مهر (باب ٢٤، فصل ٣: ٥١). أما ابن كبر فيدعو «المهر» بـ«الأربون» أى «العربون».

النوع الثانى: هدايا العريس للعروس، وهى عادة من الحلى والثياب، ولا علاقة لها بالمهر، وكانت تقدم بوصفها نوع من المكافأة على قبول الخطوبة.

وهناك تفصيلات وافية عن مراسم الزفاف فى العهد القديم، فهناك الحديث عن ثياب العريس والعروس، وجوارى العروس وصديقاتها، وموكب الزفاف الذى كان يتم عادة فى المساء، وتغطية العروس بثياب العريس، وبركة الوالدين والأصدقاء للعروسين، والعهد بين العروسين بالوفاء والأمانة، ومخدع الزيجة، وعلامة عذرة العروس، والاحتفال بالعرس الذى كان يمتد أسبوعًا وأحيانًا أسبوعين، وكان يتخلل هذه الاحتفالات الغناء والعزف على الآلات الموسيقية.

**٦٦ ـ زيت Oil** [1]

تستخدم كلمة «زيت» فى الكتاب المقدس غالبًا للدلالة على «زيت الزيتون» إلا إذا ذكر غير ذلك مثل «زيت المر». وكثيرًا ما استُخدم زيت الزيتون فى الطقوس الدينية، فاستخدم فى تكريس الكهنة والأشياء المقدسة. وفى التقدمات والنذور وغيرها، فكان زيت الزيتون يقدم باعتباره أحد باكورات الثمار إلى الكنيسة.

كما استخدم زيت الزيتون النقى فى إيقاد المنارة ذات السبعة سرج فى خيمة الاجتماع ثم فى هيكل سليمان، واستُخدم أيضًا فى كنيسة العهد الجديد فى إنارة القناديل فى شرقية الهيكل وأمام أيقونات القديسين.

وفى طقس المعمودية، يحتل المسح أو الدهن بالزيت أهمية كبيرة سواء فى مراحل الإعداد للمعمودية، أو بعدها حيث يكون الدهن بالميرون المقدس الذى هو الختم. وبينما تستخدم الكنيسة القبطية ثلاثة أنواع من الزيتون فى طقس المعمودية فباقى الكنائس الشرقية كلها تستعمل نوعين فقط.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ١٥٨.

### ٦٧ ـ سبت Saturday [١]

كلمة «سبت» تعنى «راحة» فمن الفعل «استراح» اشتقت كلمة «سبت»، ولقد ور
كلمة «سبت» لأول مرة فى الكتاب المقدس ضمن التعليمات المتعلقة بجمع الم
فى برية سيناء، حين جمع بنو إسرائيل فى اليوم السادس من الأسبوع ضعف ما كانو
يجمعونه كل يوم، مما يدل على أن يوم السبت باعتباره يوم عطلة كان معروفًا للشعب
قبل إعطاء الشريعة على جبل سيناء، لذلك جاءت الوصية الرابعة لتنبه إلى أمر معروف
من قبل، فتبدأ بكلمة «أذكر»: اذكر يوم السبت لتقدسه.

وإن الأسبوع اليهودى المكون من سبعة أيام، بما فيه من يوم للراحة الإنسانية
هو أمر تنفرد به الديانة اليهودية، وهو من أثمن ما قدمته الديانة اليهودية للحضار
البشرية. فتاريخ الإنسان يثبت حاجته إلى تجديد طاقاته الجسدية والذهنية بتخصيص
يوم من الأسبوع للعبادة الروحية.

كانت عقوبة تدنيس يوم السبت بالعمل فيه هى الموت. وفى هذا اليوم نفسه كا
الكهنة يقومون بخدماتهم فى خيمة الشهادة، كما كان يلزم تقديم محرقة إضافية كل
سبت، وكان الختان يتم فى يوم السبت لو وقع فيه اليوم الثامن من مولد الطفل، ولق
ورد ذكر حفظ يوم السبت فى الأسفار التاريخية والنبوية فى العهد القديم، إلا أ
كان أحيانًا حفظًا شكليًا. وفى فترة السبى وبعده، أصبح للسبت أهمية أكبر من سا
الأعياد الدينية.

### ٦٨ ـ ستر Veil-Cloud [٢]

«الستر» فى الكنيسة القبطية يعنى ثلاثة أمور:

هو الستر المدلى على باب الهيكل، وهو غالبًا من القطيفة الحمراء المطر
بصليب كبير فى المنتصف.

* الستر الحريرى الذى يغطى القرابين فى نهاية طقس تقديم الحمل، أى طق
التقدمة، والذى يرفع عند نداء الشمَّاس بالقبلة المقدسة إيذانًا ببدء قدَّاس المؤمنين

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ١٦٥.

(٢) نفسه، ص ١٨٤.

* الستر الذى كان يعلق على أعمدة القبة التى تعلو المذبح، والذى كان يسدل عند بدء التقسيم. وقد اختفى اليوم من الطقس القبطى، ولكن لدى السريان والأرمن سترًا يحيط بالمذبح أثناء الترديد اليدوى للقربان.

**٦٩ ـ سر كنسى Sacrament** [١]

الكلمة اليونانية (مستريون) تعنى «الشىء المخفى أو المستور»، الذى لا يمكن للإنسان بذاته أن يدركه، وفى حين يقتصر استخدام كلمة «سر» فى العهد القديم على سفر دانيال، نجد أنها تتردد مرارًا فى العهد الجديد، فإلى جانب ذكرها ثلاث مرات فى الأناجيل وأربع مرات فى سفر الرؤيا، فهى تذكر فى رسائل القديس بولس إحدى وعشرين مرة. فهناك مثلًا: «سر الإنجيل ـ سر الملكوت ـ سر الإيمان ـ سر التقوى ـ سر المسيح».

**٧٠ ـ سلام (تحية) Greeting** [٢]

وهو تحية السلام التى يقولها الكاهن للشعب، وعلى أساس هذا السلام المتبادل بين الكاهن والشعب تبدأ الصلاة، فهذه التحية هى بداية كل صلاة فى كل الطقوس. و«ثر البر يزرع فى السلام» (يعقوب ٣: ١٨).

**٧١ ـ سماء Sky** [٣]

السماء فى العبرية هى «شماييم»، وهى مشتقة من السمو والارتفاع، فهى تعنى «الأعالى أو المرتفعات»، وهو المعنى نفسه للكلمة اليونانية (أورانـوس). أما السماويات فهى (إيبورانيا).

ويطلق لفظ السماء على:

الغلاف الجوى المحيط بالأرض، وهو سماء الطيور، وهى تدعى السماء الأولى.

الفضاء الشاسع الذى تدور فيه الأجرام السماوية من سدم ونجوم وكواكب وأقمار، وهذه تُدعى السماء الثانية.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ١٩٢.

(٢) نفسه، ص ٢٠٤.

(٣) نفسه، ص ٢٠٥.

ثم سماء الملائكة.

**٧٢ ـ سنكسار** Synaxarion [١]

الكلمة «سنكسار» تعريب للكلمة اليونانية (سنكساريون)، وهو اسمه نفسه فى القبطية. وهو كتاب يحوى سير مختصرة لشهداء الكنيسة وقديسيها، وكذلك أعيادها على مدار السنة الطقسية. فهو بمثابة تقويم كنسى يعتد على التقويم القبطى الذى يبدأ فى ١١ سبتمبر من كل عام ميلادى.

ومنذ شهادة القديس بوليكاربوس فى سنة ١٥٥م؛ بدأت الكنيسة تقيم تذكارات أعياد الشهداء وتحتفل بهم سنويًا فى أيام استشهادهم. وفى أيام القديس كبريانوس الشهيد (٢٨٥م) وضعت الكنيسة تقويمًا بأسماء شهدائها وتاريخ أعيادهم. والسنكسار كتاب نجده فى كل الكنائس الشرقية. حيث تتم راءته فى خدمة الصباح الباكر «Orthros». وهو نفس ما يشير إليه ابن كبر (١٣٢٤م).

**٧٣ ـ سنودس** Synodicon [٢]

الكلمة فى أصلها يونانية تعنى «اجتماع» أو «مجمع»، وقد انتقلت بنطقها إلى القبطية كما نقرأ عنها فى ذكصولوجية القديس أنبا شنودة رئيس المتوحدين: «بالحقيقة قد ارتفعت جدًا فى وسط مجمع آبائنا الأرثوذكسيين فى مدينة أفسس».

فالسنودس هو المجمع الكنسى سواء المكانى أو المكسونى. وانحصر استخدام الكلمة فى جميع الكنائس الشرقية ليشير إلى مجمع أساقفة كل كنيسة عند اجتماعه ليبحث فى أمور الكنيسة، ولقد درجت الكنيسة القبطية فى القرون الأخيرة على تسمية مجمع أساقفتها باسم «المجمع المقدس».

**٧٤ ـ الشعانين** Palm Sunday [٣]

«**شعانين**» من الكلمة الأرامية «هوشعنا» أى «خلصنا». وهى فى اليونانية (أوصنا)

---

(١) أبو البركات المعروف بابن كبر: كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثانى (مخطوط)، الباب ١٦.

(٢) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ٢، ص ٢٢٩.

(٣) نفسه، ص ٢٤٣.

بالمعنى السابق نفسه. وأحد الشعانين أو أحد السعف هو عيد دخول السيد المسيح أورشليم. ويسميه اللاتين «عيد الأغصان».

وهتاف «أوصنا» دخل فى الليتورجية المسيحية منذ عصور مبكرة جدًا إذ نجده فى الديداخى (١٠: ٦) فى أواخر القرن الأول الميلادى. كما صارت عبارة «أوصنا فى الأعالى» ضمن الصلوات الليتورجية لهذا اليوم من السنة فى الكنيسة القبطية. ولكل أيام السنة فى الكنيسة البيزنطية، وكذلك فى الطقس اللاتينى أيضًا.

وموكب الشعانين فى يوم عيد الشعانين تعرفه كل الطقوس شرقًا وغربًا. وأول ذكر ورد عنه كان فى مذكرات السائحة الإسبانية إيجيريا (القرن الرابع) فى حديثها عن موكب الشعانين فى أورشليم فى ذلك اليوم. وهو الموكب الذى يمثل دخول السيد المسيح إلى أورشليم، فتقول:

«يجتمع الناس عند الفجر فى كنيسة القيامة، ومن هناك ينتقلون إلى كنيسة الجلجلة حيث تقام خدمة الأحد العادية، ثم يقومون بطواف كبير فى أوائل فترة بعد الظهر إلى جبل الزيتون حيث يقيمون خدمًا أخرى، ومن ثم ينتقلون حوالى الساعة الثالثة إلى المكان الذى صعد منه المسيح حسب التقليد ويقيمون خدمة أخرى. ومن هناك يتجهون حوالى الساعة الخامسة بعد الظهر إلى أورشليم حاملين السعف وأغصان الزيتون، ويقيمون صلاة الغروب فى كنيسة القيامة، ثم يعودون مجددًا إلى كنيسة الجلجلة وينهون النهار بصلوات أخيرة».

وتحتفل الكنيسة القبطية بموكب الشعانين فى صلوات رفع بخور باكر لهذا العيد. وهو يُدعى فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر «دوران الزيتون». وكانت كل كنيسة تقرأ فصول الأناجيل التى تناسبها كما اعتادت، ثم توحدت فصول الأناجيل بعد ظهور الطباعة وانتشار كتاب «دورة عيدى الصليب وأحد الشعانين». ويفرق ابن سباع بين: دورة الشعانين ودورة الصليب فى عيدى الصليب فيقول:

«أما دوران الزيتون الذى يعلمه الناس اليوم وأنهم يدورون بها فى الأديرة: الطاحونة، والدوقية (الدياكونية) وخارج الدير، وموضع الربيتة، وكل مكان. وهذا العمل لا يجوز فى الزيتونة».

أما الكنيسة البيزنطية فتحتفل به بعد انتهاء القداس. ولم يُعرف موكب الشعانين فى

كنيسة روما إلا بدءًا من القرن الثامن أو التاسع للميلاد، وقد نُقل عن الشرق، حيث
يحتفل به بعد قراءة فصل إنجيل القدَّاس.

والتقليد اللاتينى يعرف طقس مباركة السعف الذى يحمله الشعب فى هذ
اليوم. وقد كان طقسًا مطولًا فى البداية، ولكنه اختصر الآن. فى حين أن هذا الطقس
غير معروف فى كل الكنائس الشرقية باستثناء الكنيسة المارونية نقلًا عن الكنيس
اللاتينية.

ويلزم الإشارة إلى أن رش الماء فى نهاية قداس عيد الشعانين هو للشعب وليس
للسعف، وهو الطقس العادى الذى يعقب نهاية كل قدَّاس. وليس ثمة علاقة بين رش
الماء هذا وصلوات التجنيز العام التى تقام فى نهاية قداس هذا اليوم.

**٧٥ ـ شماس** Deacon [١]

«شمَّاس» تعريب لكلمة سريانية الأصل هى «شاموشو» أى «خادم» ومنه
«شمَّاس» و«شمَّاسة» فى العربية.

**٧٦ ـ شمَّاسة** Diakoness [٢]

الشمَّاسة هى امرأة تُكلف رسميًا بخدمة محددة فى الكنيسة. وخدمتها معرو
فى الكنيسة منذ عصر الآباء الرسل، إذ اختار الرسول بولس «فيبي» خادمة (شمَّاس
لكنيسة كنخريا. وهى الكلمة اليونانية نفسها التى وردت عن وظيفة (فيبى) بوصف
خادمة.

**٧٧– شمعة** Candle [٣]

استُخدمت الشموع فى الكنيسة منذ بداية مبكرة حيث كانت هى وسيلة الإضاءة ف
الكنائس إلى جوار القناديل، قبل ظهور المصابيح الكهربائية حديثًا. ومن المعرو
أن المصابيح الكهربائية لا تغنى عن إيقاد الشموع والقناديل فى الكنيسة.

وتُصنع الشموع من شمع عسل النحل، أو من زيت الزيتون حسب ما أمر به موس

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٥٢.
(٢) نفسه، ص ٢٥٢.
(٣) نفسه، ص ٢٥٥.

ولقد استخدم الأقباط فى القرن الثالث عشر بحسب شهادة بتلر لمبات زجاجية ملونة مطلية بألوان المينا، متشابكة مع بعضها بأشكال هندسية مبدعة (كالنجف الذى نعرفه اليوم). ويوضع فى كل زجاجة منها شمعة موقدة. وكانت تعلق هذه الثريات أمام الهيكل الرئيسى فى معظم الكنائس القبطية. ولكن بطل استخدامها الآن. ويوجد منها أشكال مبدعة جميلة الصنع فى المتحف البريطانى بلندن، وفى كثير من متاحف الغرب.

وفى كنيسة الغرب هناك ما يعرف باسم «شمعة الفصح ـ Paschal Candle»، حيث توقد شمعة كبيرة فى الجهة الشمالية من المذبح وتوقد أثناء الصلوات الليتورجية منذ عيد الفصح (القيامة) وطيلة الخمسين المقدسة.

**٧٨ ـ شملة** Amice [١]

وهى قطعة من القماش الأبيض تغطى رأس الكاهن وتتدلى على كتفيه. وفى أصلها كانت طويلة يلف بها الكاهن الخديم رأسه، ويتدلى الباقى منها على كتفيه حتى إلى قدميه من ظهره. وفى كنائس المدن حل محلها الطيلسانة التى يرتديها الكهنة العلمانيون، ولكنها مازالت مستخدمة عند الكهنة الرهبان فى الأديرة.

ويذكر بتلر أنه كان هناك نوع من الشملة يطلق عليه اسم «Fanon» كان يلبس فوق رأس البابا أثناء القداس بدلًا من التاج فى يوم خميس العهد، عند قيام البابا بأداء طقس غسيل الأرجل.

والشملة إلى جانب استخدامها الواسع فى الكنيسة القبطية حتى اليوم، فهى شائعة الاستخدام فى الكنائس البيزنطية والسريانية والأرمينية، ولكنها عند الأرمن صغيرة وذات ياقة صلبة. وهى معروفة أيضًا عند الموازنة. واستخدام الشملة ظهر أولًا فى الشرق ومنه انتقل إلى الغرب.

**٧٩ ـ صلاة** Prayer [٢]

هى علاقة بين طرفين، والصلاة من الممكن أن تكون فى عبارات عفوية حرة من كل قيد حين تكون النفس فى ضيق محكم، أو فى فرح غامر.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٥٥.

(٢) نفسه، ص ٢٦٥.

والصلاة إما فردية فى خفية المخدع، وإما جمهورية فى الكنيسة أو فى أى مكان يحقق عنصر الخفاء. وحين ينتفى الشعور بالذات.

**٨٠ ـ صليب Cross** [١]

كان شكل الصليب فى البداية مجرد عمود يعلق عليه المحكوم عليه بالصلب. ثم تطور على مراحل حتى أصبح فى عهد الرومان عمودًا تثبت فى طرفه الأعلى خشبة مستعرضة فيصبح على شكل حرف «T»، أو قبل النهاية العليا بقليل، وهو الشكل المألوف للصليب، والذى يُعرف بسام الصليب اللاتينى. وقد تكون الخشبتان المتقاطعتان متساويتين، وهو الصليب اليونانى، أو أن يكون الصليب على شكل حرف «X» ويعرف باسم صليب القديس أندراوس. وقد استخدم هذا الشكل الأخير للصليب فى العصور الرومانية المتأخرة.

وعلامة الصليب ترسم على الأشخاص كما على الأشياء أيضًا، فهى ترسم على الرؤوس، كما على المياه والزيت والمذبح.

وعلامة الصليب تلازم كل أسرار الكنيسة، وكل صلواتها، وتظهر بغزارة فى أسرار المعمودية والميرون والصلوات الليتورجية... إلخ، فبها تبدأ كل صلاة وبها تنتهى.

وفى القرون الأولى للكنيسة كانت ترسم علامة الصليب على الجبهة بإبهام اليد اليمنى، ثم بعد ذلك امتدت لترسم من الجبهة على القلب (الصدر)، ثم أضيف إليه فيما بعد من الكتف الأيسر إلى الكتف الأيمن كما فى الطقسين القبطى واللاتينى، أو من الكتف الأيمن إلى الكتف الأيسر كما فى الطقس البيزنطى والطقوس الشرقية الأخرى.

وطبقًا للتقليد الكنسى شرقًا وغربًا، فإن علامة الصليب بوصفها رمزًا للنصرة قد أعلنت لقسطنطين الملك سنة ٣١٤م حين رأى علامة الصليب فى قرص الشمس ومكتوبًا تحتها «بهذه العلامة تغلب ـ IN HOC SIGNO VINCES» وهى فى اليونانية «بهذا تغلب».

وهيئة الصليب عند الشرقيين قاطبة هى أن يكون متساوى الأطراف، بخلاف هيئة صليب اللاتين، فإن الجزء القائم منه أطول من الجزء المستعرض.

---

(١) دائرة المعارف الكتابية، جـ ٥، ص ٢٩.

### ٨١ ـ صوم Fast [(١)]

الصوم هو الامتناع عن الطعام والشراب لفترة محدودة من الوقت، يتناول بعدها الصائم أطعمة نباتية خلال مدة الصوم، والصوم يكون فى وقت التوبة والندم، أو فى أوقات الشدة والضيق والخطر.

وأول ذكر للصوم فى الكتاب المقدس هو صوم موسى أربعين نهارًا وأربعين ليلة وهو على جبل سيناء لاستلام لوحى الشرعية.

وصام كثيرون عدة أيام، فقد صامت الملكة أستير ثلاثة أيام، وصام الملك داود سبعة أيام، وصام دانيال النبى ثلاثة أسابيع، وكان الفريسيون فى زمن السيد المسيح يصومون يومى الإثنين والخميس من كل أسبوع... الخ. وفى العهد الجديد علّم يوحنا المعمدان تلاميذه أن يصوموا كثيرًا.

### ٨٢ ـ طست Bassin – Trough [(٢)]

«طَسْت» ـ بفتح الطاء وتسكين السين ـ كلمة أصلها فارسى، وجمعها «طسوت». ومنها الكلمة الدارجه «طَشت» ـ بفتح الطاء ـ وجمعها «طشوت». والطست إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه، وهو أيضًا من الأوانى المستخدمة فى كنيسة العهد الجديد. فيستخدم الطست فى غسيل يدى الكاهن قبل تقديم الجمل فى القدَّاس. ويستخدم أيضًا فى يوم خميس العهد فى طقس غسل الأرجل.

### ٨٣ ـ طقس Rite–order [(٣)]

كلمة «طقس» معربة عن الكلمة اليونانية (تاكسيس)، والكلمة واسعة المعنى، فهى تعنى من الوجهة العسكرية أو السياسية تنظيم وترتيب الجيش أو الدولة، فهى تفيد إذا «ترتيب أو نظام ـ order». وتعنى أيضًا إحدى الرتب العسكرية، فهى تفيد معنى «رتبة». وهى تعنى كذلك «دستور». وتعنى عمومًا ما يجب أن يؤديه الواحد تجاه الآخر.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ٢، ص ٢٧١.

(٢) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام، طبعة دار المشرق، بيروت ١٩٨٦، ص ٤٦٦.

(٣) الراهب القس أثناسيوس المقارى: الكنائس الشرقية وأوطانها، جـ١، ص ٨٠.

أما فى المعنى الكنسى، فتندرج تحت تعبير «طقس» كل نظام عبادة الكنيسة، وصلواتها، وتسابيحها وأسرارها، وأعيادها.

وفى الكنيسة القبطية، انتقلت الكلمة اليونانية (تاكسيس) إلى اللغة القبطية بنطقها اليونانى نفسه لتعنى «طقس أو رتبة» فمؤلف قوانين هيبوليتس القبطى فى القرن السادس استخدم التعبيرين فى قوانينه. وتستخدم الكنيسة القبطية الآن كلمة «طقس» أكثر من استخدامها لكلمة «رتبة»، حيث اختصت هذه الكلمة الأخيرة بالرتب الكنسية فى سر الكهنوت.

أما الكنيسة السريانية بشقيها الشرقى والغربى، ويتبعها الكنيسة المارونية، فهى تستخدم دائمًا تعبير «رتبة» لتعنى بها «طقس».

**٨٤ ـ الطقس القبطى أو الطقس الإسكندرى**[١]

وهو ينقسم إلى:

الطقس القبطى.

الطقس الإثيوبى.

**الطقس القبطى:**

كتاب التقليد الرسولى الذى يعود إلى أوائل القرن الثالث الميلادى، والذى عرف فى مصر باسم «الترتيب الكنسى المصرى» قد ساهم إلى حد بعيد فى تشكيل الطقس القبطى بكل قوانينه وشرائعه. كما يعتبر خولاجى سيرابيون (القرن الرابع الميلادى هو إحدى الوثائق الأصلية لهذا الطقس. وفى القرن السادس كانت قوانين هيبوليتس القبطية دليلًا واضحًا لم كان عليه الطقس القبطى آنئذ. ومازالت الكنيسة القبطية تحتف بليتورجية القديس مرقس الرسول اليونانية، وهى معروفة لدينا منذ القرن الثالث أو الرا للميلاد تحت صيغة أكثر اختصارًا مما هى عليه الآن. بالإضافة إلى ليتورجية القديس باسيليوس الكبير، والقديس غريغوريوس النزينزى، وسمتهما أيضًا مصرية.

---

(١) الأب فانسليب Vansleb الدومينكى: تاريخ كنيسة الإسكندرية، باريس ١٦٧٧م، رنيودوت enaudot تاريخ الكنيسة الشرقية المقدسة، طبعة لندن، ١٨٤٧م، ألفريد جوا بتلر: الكنائس القبطية القديمة مصر، لندن، ١٨٨٤م، الفيتس وبتلر: الكنائس القبطية القديمة فى مصر، لندن، سنة ١٨٩٥م.

ولقد اتضح لدينا شكل الطقس القبطى منذ زمن البابا أثناسيوس الرسول (٢٩٦-٣٧٣م)، وفى القرون الوسطى كان لبعض باباوات الكنيسة تأثير عليه مثل البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٨م) والبابا غبريال الثانى (١١٤٦م)والبابا كيرلس الثالث (١٢٣٥-١٢٤٣م)، مضافًا إلى ذلك مجموعات قوانين فرج الله الأخميمى، والصفى بن العسال فى القرن الثالث عشر. أما البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) فكان له تأثير واضح على استقرار الطقس القبطى لما هو عليه الآن، لاسيما ليتورجية القداس. فضلًا عن تاريخ أبو ذقن الذى نشر فى القرن السابع عشر.

أما المصادر الحديثة التى تطلعنا على تاريخ طقوس الكنيسة القبطية فأهمها:

«تاريخ كنيسة الإسكندرية» الذى نشر فى باريس سنة ١٦٧٧م، للمؤرخ الأب فانسليب Vansleb الدومينكى، الذى زار مصر فى القرن السابع عشر، وتجول فى كنائسها، وشاهد طقوسها آنئذ رؤيا العين.

«تاريخ الكنيسة الشرقية المقدسة» الذى نشره رينودوت «Renaudot» فى لندن سنة ١٨٤٧م.

«الكنائس القبطية القديمة فى مصر «الذى نشر فى لندن سنة ١٨٨٤م، للمؤرخ المدقق ألفريد جوا بتلر «A.J.Butler» الذى زار مصر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وجاب كنائس الوجه البحرى، واطلع على طقوس الكنيسة القبطية، بوصفه شاهد عيان.

«كنائس وأديرة مصر» ونشر فى لندن سنة ١٨٩٥م، بواسطة العالمين: إيفيتس وبتلر «Evetts &Bulter».

**الطقس الإثيوبى:**

هو ولى الطقس القبطى، ولكنه فى الوقت ذاته ليس مجرد ترجمة له، فالطقوس الإثيوبية طقوس تتواءم مع سمات الشعب الأثيوبى وهويتها الذاتية.

## ٨٥ ـ عبرية The Hebrew Language[1]

اللغة العبرية هى لغة الشعب الإسرائيلى، كما أنها اللغة الأصلية لأسفار العهد القديم. وهى إحدى اللغات السامية. وبتعبير أدق هى فى أصلها ـ إحدى اللغات الكنعانية، ولذلك تسمى «لغة كنعان». ولكن نشأت عبرانية الكتاب المقدس باعتبارها لغة منفصلة عن اللغة الكنعانية فى القرون الأولى من الألف الثانية قبل الميلاد.

ولم تكن العبرية هى لغة إبراهيم قبل هجرته إلى كنعان، إذ دعى «أراميا» (تثنية ٢٦ : ٥). كما كانت لغة لابان الأصلية هى الآرامية، كما أن كلمة «البحر» التى تستخدم للدلالة على الغرب، و«النقب» للدلالة على الجنوب، هو ما لا ينطبق إلا على أرض كنعان، موطن هذه اللغة. وحيث إن سكان كنعان الأولين لم يكونوا ساميين، فلا يمكن العودة بنشئة اللغة العبرية إلى ما قبل هجرة الساميين إلى أرض كنعان، أى إلى الألف الثالثة قبل الميلاد. فهى بذلك أحدث عهدًا من اللغة الأشورية البابلية.

وسميت أول مرة بالعبرانية فى مقدمة سفر حكمة يشوع بن سيراخ، كما أنها تسمى «بالعبرانية» فى العهد الجديد، كما تسمى أيضًا «اللسان اليهودى».

وكانت اللغة المصرية القديمة هى أول اللغات التى أثرت على العبرية، أما اللغة الآشورية فكانت أقواها تأثيرًا إذ استعارت العبرية منها عددًا كبيرًا من الكلمات، وبعد السبى دخل إلى اللغة العبرية الكثير من الكلمات والأساليب الآرامية. كما دخلته بعد ذلك كلمات فارسية ويونانية.

ونعرف مما جاء فى سفر القضاء (١٢ : ٦) أن نطق الحروف قد اختلف باختلاف الأسباط والمواقع. وكان السبى البابلى ضربة مميتة للعبرية. فأصبح استخدام العبرية مقصورًا على أمور الديانة. وفى فترة ما بعد السبى حلت الآرامية محل العبرية فى الحديث، ولكن ظلت العبرية هى لغة الكتابة والعبادة. ومنذ ثورة اليهود وتدمير الهيكل وخراب أورشليم فى القرن الثانى الميلادى لم تعد اللغة العبرية تُستخدم بصورة عامة.

وفى العصور الوسطى جرت محاولات لإحياء اللغة العبرية، وفى خلال القرون

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٦٠-٦٣.

من العاشر إلى الخامس عشر بعد الميلاد ـ وبخاصة بين يهود الأندلس ـ أصبحت عبرية العصور الوسطى أداة للثقافة الشعرية والفلسفية والعلمية، وكان يظهر فى عبرية الأندلس تأثير اللغة العربية بقوة، سواء فى الكلمات أو التراكيب.

واستعادت اللغة العبرية قوتها بظهور الحركة الصهيونية فى القرنين التاسع عشر والعشرين. ومع أنها قامت أساسًا على عبرية الكتاب المقدس، فإنها تأثرت بشدة بالمجتمع التكنولوجى الغربى، وكثيرًا ما تختلف الآن عن عبرية الكتاب المقدس الفصحى.

وتتكون اللغة العبرية من ٢٢ حرفًا، هى على الترتيب: أبجد، هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت. وهى تخلو من حروف الروادف وهى الثاء، والخاء، والذال، والضاد، والغين. ومع أنه توجد نحو أربع عشرة علامة من علامات ضبط الحروف، فإنهم لم يستخدموا شيئًا منها فى العهود القديمة، بل كان نطق الكلمات ينتقل شفاهَةً من جيل إلى جيل. وفيما بين القرنين الخامس والعاشر للميلاد قامت جماعة من علماء اليهود، عرفوا باسم «الماسوريين» أى الناقلين، بإضافة علامات الترقيم، وضبط حركة الحروف.

وكسائر اللغات السامية، يتكون أصل الكلمة العبرية فى الغالب من ثلاثة أحرف أساسية، ومنها تأتى كل المشتقات بإضافة بعض الأحرف فى البداية أو فى الوسط أو فى النهاية، وهو أشبه بما يجرى فى تصريف الكلمات فى اللغة العربية. كما أن الاسم يرفع وينصب ويجر. وله ثلاث صور هى: المفرد والمثنى والجمع. ومنه المذكر والمؤنث. والفعل يفرد ويثنى ويجمع ويذكر ويؤنث. ومنه الماضى والمضارع والأمر والشرط والمبنى للمعلوم والمبنى للمجهول. والمتكلم والمخاطب والغائب. وتتكون الجملة عادة من فعل وفاعل ومفعول وظرف أو جار ومجرور.

* * *

**٨٦ ـ عذارى** Virgins [1]

العذراء هى الفتاة البكر التى لم تتزوج. وفى اللغة العبرية هناك كلمتان للتعبير عن هذا المعنى:

---

(١) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام، المرجع السابق، طبعة بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٦.. دائرة المعارف الكتابية، الجزء الخامس، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

الأولى: «بتولة» وهى مشتقة من أصل يعنى «فصل». وفى اللغة العربية أيضًا: بتل أو بتل الشيء أى قطعة وأبانه عن غيره. والفعل تبتل أى انقطع عن الدنيا إلى الله وترك الزواج. و«البتول» هو الذى لم يتزوج، أو هى التى لم تتزوج. أما الاسم فهو «البتولية» أو البتولة». والبتولية أيضًا هى العذراوية.

الثانية: «عَلمَه»، وتعنى «عذراء أو فتاة غير متزوجة». وترد هذه الكلمة فى العهد القديم سبع مرات، وتترجم فى العربية إلى «فتاة ـ فتيات ـ عذراء ـ عذارى».

والفرق بين الكلمتين غير واضح تمامًا، فكلتاهما تُستخدمان فى وصف رفقة، فتستخدم كلمة «بتولة» فى (تكوين ١٦:٢٤)، وكلمة «علمه» فى (تكوين ٢٤: ٤٣)، حيث توصف رفقة فى الموضع الأول بأنها كانت «عذراء لم يعرفها رجل» وهى إضافة تمنع أى غموض أو شك فى المقصود بالكلمة.

فبحسب شريعة العهد القديم، لو مات خاطب المرأة فى أثناء الخطبة، فإنها كانت تعتبر أرملة خاضعة لشريعة الزواج من أخى الزوج. ولم يكن فى إمكان الفتاة المطلوبة أن تتخلص من خاطبها إلا بوثيقة طلاق. ومع ذلك كان أى اتصال جنسى بين الخطيبين قبل أن يشهر الزواج ويتم الزفاف يعتبر زنى.

أما فى العهد الجديد فالكلمة المستخدمة فى اليونانية هى (بارثينوس)، وتترجم فى جميع الحالات إلى «عذراء» وترجمت مرة واحدة إلى «أطهار».

**٨٧ ـ عشور** Tithe [١]

كان تقديم العشور عادة شائعة عند الشعوب السامية من قبل عصر موسى. وأمرت الشريعة أن يعطى كل يهودى أبكار ثمار أرضه. والبكور غير العشور. وقد أسهبت الأسفار الخمسة فى الحديث عن شريعة العشور.

والعهد الجديد لا يحدد نسبة معينة للعطاء، ولكن العظة على الجبل تشرح ا أسلوب الصدقة وكيف تكون فى خفية، وبسرور.

ومن خلال كتابات الآباء فى العصر الرسولى وما بعده نعرف أن الكنيسة قد قنن أسلوب تقديم العطايا.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٧٧.

## ٨٨ ـ عصا الرعاية Crosier [(١)]

وهى العصا التى يحملها الأسقف، وأحيانًا يحملها رؤساء أديرة الرهبان «Abbots»، أو رئيسات أديرة الراهبات «Abbesses». وهى فى أصلها عصا لها تقوص أو انحناء فى أعلاها «Crook- Shaped» كالعصا التى يحملها راعى الأغنام. وكان الغرض منها فى البداية هو التوكؤ عليها أثناء المشى. أما أول ذكرٍ ليتورجى لها فكان فى القرن السابع الميلادى. وفى الكنيسة الشرقية يعلو عصا الرعاية صليب بين ثعبانين. وعصا الرعاية تشير إلى أن الأسقف هو راعى الكنيسة أو الإيبارشية التى ائتومن على رعايتها.

## ٨٩ ـ علمانى Layman [(٢)]

العلمانى هو أحد أفراد شعب الكنيسة، أى من غير طغمة الإكليروس فيها. ولقد خصص مؤلف المراسيم الرسولية الكتاب الأول من كتبه الثمانية لتعليم العلمانيين، حيث يرد تعبير «العلمانى» أكثر من خمسين مرة. وفى الفصل الأول من الكتاب الأول يتحدث إلى الرجال، ثم يخاطب النساء فى الفصل الثانى، حيث يتحدث إليهن عن كل ما يختص بحياتهن.

ويهتم المؤلف بالأكثر بإبراز العلاقة بين العلمانيين والإكليروس ولاسيما من جهة الأسقف. وفى الوقت ذاته يمنعهم من ممارسة أى عمل من أعمال الكهنوت.

ويُكرس الكتابان الثالث والرابع للأرامل والعذارى والأيتام والعبيد والمتبتلين. فقيام الكنيسة يعتمد على الإكليروس والعلمانيين معًا، وبدون أيهما لا تقوم الكنيسة.

ومعروف بحسب التقليد الذى صار مستقرًا منذ زمن بعيد أن النسَّاك أى الرهبان، والعذارى أى الراهبات، يدرجون فى طغمة مستقلة عن الشعب.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٧٧.

(٢) نفسه، ص ٧٨.

### ٩٠ ـ عنصرة Penticost [١]

«عنصرة» لفظة عبرانية معناها اجتماع أو محفل. واستخدمت كلمة «عنصرة لتشير إلى عيد الخمسين اليهودى الذى كان يجتمع فيه كل ذكر من اليهود من كل بقاع الأرض إلى أورشليم للاحتفال بالعيد.

كما أطلقت الكلمة أيضًا على عيد الخمسين المسيحى فصار يدعى فى العه الجديد «عيد العنصرة» فى العبرية، أو «عيد البنديكستى» فى اليونانية.

ويقع عيد الخمسين اليهودى بعد سبعة أسابيع كاملة من عيد الفصح اليهودى لذلك سمى «عيد الأسابيع». ويسمى أيضًا «عيد الباكورة» أى باكورة حصاد الحنط (القمح)، وكذلك يدعى «عيد الحصاد» أى إتمام حصاد الشعير، وبدء حصا الحنطة.

وعيد الخمسين عند اليهود هو أحد الأعياد الثلاثة الكبرى التى كان يتحتم عل كل ذكر من الشعب الإسرائيلى أن يذهب فيها إلى أورشليم.

### ٩١ ـ عيد Feast [٢]

كلمة «عيد» عبرية الأصل، دخلت اللغة العربية، وصارت إحدى الكلما الأساسية فيها. فكون «العيد» كلمة عربية فصحى فهى تعنى: «أى يوم فيه جمع واشتقاقه من عاد ـ يعود، أى ما يعود إليه الإنسان مرارًا متكررة. وقيل أيضًا أن اشتقا من العادة لأنهم اعتادوه. فهو «عيد» لأنه يعود كل سنة، وإن كان فى العودة تكرا فإنها فى العيد تجدد، وبهجة.

وفى كتاب العهد القديم، يلاحظ أن المذبح الذى بناه بنو رأوبين وبنو جاد ونص سبط منسى على الأردن فى الأردن غربًا سمى «عيد»، لأنه شاهد بين هذه الأسب وبقية أسباط إسرائيل الإثنى عشر. فجاءت كلمة «عيد» فى العبرية لتعنى «شاه

---

(١) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق، ص ٥٣٣. دائرة المعارف الكتابية: جـ ٣، ٣٥٦.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ص.. المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) توفى سنة ١٤٤١: المو والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جـ ٢، ص ٤٧٣.

ومنها الكلمة العبرانية «جلعيد» التى تعنى «رجمة الشهادة» وهو العمود الحجرى الذى أوقفه يعقوب «شاهدًا» أو «عيدًا» بينه وبين لابان خاله.

وأعياد اليهود كما يذكرها المؤرخ القلقشندى[1] فى كتابه: «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا»، والمقريزى فى كتابه: «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، قد قُسمت إلى قسمين هما:

أعياد شرعية.

أعياد محدثة.

أما الأعياد الشرعية فعددها خمسة، وهى ما نطقت به التوراة وهى:

عيد رأس السنة، ويسمونه «رأس هيشا» أى عيد رأس الشهر، ويحل فى شهر تشرين. ويذكر المقريزى أنه يُسمَّى عيد البشارة بعتق الأرقاء، فهو عيد عتق وحرية.

عيد الكيبور: وهو عيد الكفارة، ويقع فى العاشر من تشرين. ويُسمَّى أيضًا عيد «صوماريا» وجعل الربانيون مدة الصوم فيه خمسًا وعشرين ساعة، تبدأ قبل غروب شمس التاسع من شهر تشرين وتنتهى بعد مضى ساعة من غروبها فى اليوم العاشر. ومن لم يصم منهم هذا الصوم قُتل شرعًا. ويعتقدون أن الله يغفر لهم ذنوبهم فيه ما عدا الزنى بالمحصنات، وظلم الرجل لأخيه، وإنكار ربوبية الله تعالى.

عيد المظال: أو عيد المظلة، ويبدأ الاحتفال به فى الخامس عشر من شهر تشرين، وهو سبعة أيام. وفى اليوم الثامن عيد الاعتكاف. وفى ذلك العيد كان اليهود يجلسون تحت ظلال سعف النخل الأخضر وأغصان الزيتون، ونحوها من الأشجار التى لا يتناثر ورقها على الأرض، تذكارًا للغمام الذى أظلهم به الله تعالى فى التيه. ويصوم فيه القراؤون فى اليوم العشرين من هذا الشهر، ويعرف «بصوم كوليا». إما عند الربانيين فكان الصوم فى ثالثة.

عيد الفطير: ويسمونه «الفصح»، ويكون فى الخامس عشر من شهر نيسان. وهو سبعة أيام، وهى الأيام التى تخلصوا فيها من فرعون بعد أن أغرقه الله. ولا يصح أن

---

(١) القلقشندى (شهاب الدين أحمد بن على) توفى سنة ١٤١٨م: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ ٢، ص ٤٢٦.

يبدأ هذا العيد عند الربانيين يوم الإثنين أو الأربعاء أو الجمعة، وهو ما لم يتقيد ب
القراؤون.

ويعتبر هذا العيد عند اليهود من أعياد التضحية، ومواسم الحجز ففيه يح
القراؤون والربانيون إلى بيت المقدس، ويضحون فيه على الصخرة المقدسة.

عيد الأسابيع: ويكون بعد عيد الفطر بسبعة أيام، وهى عندهم الأسابيع التى أنزل
الله تعالى فيها على بنى إسرائيل الفرائض متضمنة الوصايا العشر المنسوبة إلى موسى
عليه السلام.

وهذا العيد يحل فى شهر سيوان من شهور اليهود، وفيه يأكلون القطائف، ويتفننو
فى عملها، ويأكلونها بدلًا من المن الذى أنزله الله عليهم فى هذا اليوم.

ويسمى هذا العيد أيضًا «عشرتا» بالعبرية ومعناه «الاجتماع»، ويجب ألا يبدأ هذ
العيد عند الربانيين أيام الثلاثاء والخميس والسبت، بينما لم يتقيد القراؤون بذلك ف
احتفالهم بهذا العيد.

أما الأعياد المحدثة زيادة على الأعياد الشرعية السابق ذكرها، فهى عيدان: «ع
الفوريم» و«عيد الحنكة».

عيد الفوريم: ويسمى أيضًا عيد «الفوز» ويبدأ فى الثالث عشر من آزار إلى الخام
عشر منه. ويسرد فيه المقريزى قصة أستير وعمها مردخاى وقتل هامان الوزير ب
الملك أحشويرش الذى يدعوه المقريزى «أردشير». ويقول المقريزى بعد أن يوض
أنه عيد خلاص اليهود من أعدائهم: «لذلك اتخذ اليهود من هذه المناسبة عيدًا ات
باللهو والخلاعة».

عيد الحنكة: وهو ثمانية أيام. وسبب اتخاذهم هذا العيد يرجع إلى ما تعرض
اليهود سنة ١٦٥ق. م، تحت حكم البطالمة فى بلاد الشام من إرغامهم على عب
الأصنام. ولكن اليهود استطاعوا من خلال قيام كاهنهم الأكبر يعاونه أبناؤه الثما
بحركة مضادة استردوا بعدها الهيكل من جيوش البطالمة فى الخامس والعشرين
كسلو، ونظف فهى الهيكل من التماثيل الإغريقية. ولكنهم لم يجدوا الزيت لإض
الهيكل، فوزعوا الوقود على عدد المصابيح التى يوقدونها على أبواب دورهم

ليلة حتى تنتهى الثمانى ليالى، ولذلك يعنى اسم «الحنكة» المرتبط بهذا العيد أى «التنظيف».

**٩٢ ـ غبطة** His Eminence–His Beatitude [١]

«الغبطة» هى السعادة والحبور والمسرة. وكلمة «غبطة» فى العبرية هى «أشير»، وهى المستخدمة فى مزمور (٤١: ٢). وترجمت هى ومشتقاتها إلى «طوبى» ومشتقاتها فى كثير من المواضع.

أما لفظة «غبطة» ومغبوط فترجمت فى العهد الجديد عن الكلمة اليونانية (مكاريوس) وهى نفس الكلمة المترجمة «طوبى» فى كثير جدًا من المواضع.

ولفظة «غبطة» لقب يطلق على بطاركة الكنائس المختلفة، فتقول: غبطة البطريرك فلان. أى صاحب الغبطة أو الطوباوى.

**٩٣ ـ فردوس** Paradise [٢]

كلمة «فردوس» مأخوذة عن الفارسية، وتكاد أن تكون اللفظ نفسه فى العبرية، وتعنى «جنة ذات أسوار». ودخلت الكلمة أيضًا إلى اللغة اليونانية، واستخدمت فى الترجمة السبعينية للإشارة إلى «جنة عدن»، وأصبحت تستخدم منذ القرن الثالث قبل الميلاد للدلالة على أى حديقة أو بستان عام.

**٩٤ ـ فريسكو** Fresco [٣]

الكلمة فى أصلها إيطالية، وهى أحد أنواع الرسم على الجدران.

**٩٥ ـ فسيفساء** Mosaic [٤]

الفسيفساء فن يختلف عن فن الموازييك القبطى. حيث تستخدم أشغال الفسيفساء مكعبات صغيرة مطلية بالميناء، وهى عجينة من الزجاج المعتم والملون بالأكاسيد

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٩٣.
(٢) نفسه، ص ١٠١.
(٣) نفسه، ص ١٠٣.
(٤) نفسه، ص ١٠٣.

المعدنية. وتصنع الفسيفساء المطلية بماء الذهب عن طريق صهر طبقتين رقيقتين من الزجاج، بينهما طبقة رقيقة من صفائح الذهب فوق مكعب من الخزف. وهو يعود إلى عصر جستنيان. ولا يعرف الأقباط استخدام عجائن الزجاج والأكاسيد المعدنية. وقد استعارت سوريا هذا الفن من البيزنطيين.

### ٩٦ ـ فصح Passover [(١)]

من الكلمة الأرامية «فصحة»، والتى تعنى «عبور» أى عبور الملاك المهلك على البيوت التى عليها دم خروف الفصح. واستعملت الكلمة فى العهد الجديد إشارة إلى عيد الفصح اليهودى، وعيد القيامة فى الكنيسة المسيحية، كما أطلقت الكلمة أيضًا على «مائدة الإفخارستيا».

### ٩٧ ـ القبلة المقدسة Kiss [(٢)]

طقس القبلة المقدسة هو طقس سحيق فى القدم، وكانت القبلة الليتورجية قبلة بالفم، كما تذكر قوانين الرسل والمراسيم الرسولية (الدسقولية). لذلك كانت القوانين تنص على أن الرجال يقبلون الرجال، والنساء يقبلن النساء، ولا يقبل الرجال النساء، ولا النساء الرجال، ويقبل الكهنة بعضهم بعضًا.

وفى الطقس القبطى يتصافح الشعب مع بعضه البعض بكلتا اليدين، وكذلك الإكليروس أصحاب الرتبة الكنسية الواحدة مع بعضهم البعض. أما فى الطقس السريانى فيأخذ الشمَّاس يدى الكاهن بين يديه ثم يمسح وجهه بيديه. وفى الطقس الأرمينى ينحنى كل واحد لرفيقه، وفى الطقس البيزنطى حين يخدم القداس أكثر من كاهن يقبل كل منهم الآخر.

### ٩٨ ـ قبة المذبح Canopy [(٣)]

وهى قبة محمولة على أربعة أعمدة تحيط بأربعة أركان المذبح، ويصل هذ الأعمدة ستائر تسدل على المذبح أثناء القسمة، طبقًا للطقس القبطى القديم.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ١٠٤.

(٢) أبى البركات المعروف بابن كبر: مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثالث (مخطوط)، الباد (١٧).

(٣) أثناسيوس: المرجع السابق جـ ٣ص ١٢١.

وهذه القبة التى تدعى «Canopy» (كانوبى) تصنع من القماش وتحمل على أربع ركائز من أطرافها لتغطى القرابين أثناء المواكب الاحتفالية فى بعض المناسبات الكنسية فى الكنيسة الغربية، وكانت فى الأصل بمثابة مظلة يسير تحتها بعض رجال الدرجات العليا من الإكليروس الغربى فى المواكب الرسمية الكنسية لتحميهم من أشعة الشمس أو من المطر.

**٩٩ ـ قداس** Mass [١]

من الكلمة السريانية «قداشا ـ «Kuddasha»، ظهرت الكلمة «قداس» فى لغة الكنيسة الطقسية منذ القرن الرابع. وينتشر هذا الاسم فى الكنيستين السريانية والقبطية على وجه الخصوص، أما فى الكنائس الشرقية الأخرى، فيعرف القداس باسم الليتورجيا أو الأنافورا.

**١٠٠ ـ القسمة** Fraction [٢]

«القسمة» هى «كسر الخبز» الطقسى القديم حسب كل كنيسة، والذى يتم فى جميع الليتورجيات شرقًا وغربًا قبل التناول «Communion». وهو يعود فى أصله إلى ما فعله السيد المسيح ليلة آلامه حين كسر الخبز وأعطاه لتلاميذه القديسين.

ومنذ البداية كان «كسر الخبز» هو التعبير المسيحى الأول عن «سر الإفخارستيا» قبل أن يعرف السر بهذا الاسم الأخير.

وتتميز الكنيسة القبطية عن بقية الكنائس الأخرى ـ ومعها كنيسة روما ـ بوجود صلاة قسمة. أما طقس روما القديم قبل القرن الثامن فلا توجد به أية إشارة أو حالة مصاحبة.

**١٠١ ـ قص الشعر** Hair cut [٣]

قص شعر الرأس طقس تمارسه الكنيسة فى رسامة الأغنسطس، والرهبان والراهبات. ويكون قص شعر الرجل على مثال صليب، أما فى رسامة الراهبات

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ١٢٢

(٢) نفسه، ص ١٣٣.

(٣) نفسه، ص ١٣٧.

فيكون بجزه. وفى أثناء هذه الممارسة الطقسية يعطى المرسوم اسمًا جديدًا، وذلك عند نطق الكاهن «ندوك (فلان)...»، أو «تدعوك (فلان)...». وقص الشعر يعنى رمزيًا ما ينطق به الكاهن فى تلك اللحظة.

**١٠٢ ـ قصلة**[1]

وهى رأس البرنس، يلبسها أساقفة القبط فوق العمامة، ويرجح أنها تعود إلى عصر البابا كيرلس الأول عمود الدين (٤١٢-٤٤٤م)البطريك الرابع والعشرين من باباوات الكرازة المرقسية، حين ترأس مجمع أفسس المسكونى الثالث سنة ٤٣١م أو «حسب الجزء»، وربما تعنى الكلمة أيضًا «فى أجزاء». والقطمارس هو الكتاب الذى يحوى فصول القراءات التى تقال فى «قداسة الكلمة» على مدار السنة الطقسية.

**١٠٣ ـ قلنسوة Cow Hood**[2]

«القلنسوة» أو «القلسوة» تسمى فى اليونانية «كوكوليون» أو «كوكولا» وتسمى فى القبطية (كلافت). وهى غطاء الرأس عند الرهبان الأقباط والسريان، تغطى الرأس والكتفين وجزءًا من الظهر. وهى مزدانة بالصلبان. ونرى هذه القلسوة مرسومة على رأس القديس أنبا أنطونيوس فى صورته بالهيكل البحرى فى كنيسة أنبا مقار. ويقرر إيفلين وايت أنه رأى بعض الرهبان الشيوخ يلبسونها فى وادى النطرون، وبالأخص فى رحلاتهم خارج الدير.

وكان المجمع المقدس للكنيسة القبطية قد قرر فى يونية سنة ١٩٩٦م، اعتبار القلنسوة زيًا رسميًا بالنسبة للأسقف فى الخدمة.

**١٠٤ ـ قنديل Candle**[3]

الكلمة العربية «قنديل» هى تعريب للكلمة الإنجليزية Candle وتعنى أيضًا «شمعة»، أما الكلمة اليونانية (لمباس) فجاءت منها الكلمة العربية «لمبة»، وهى

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ١٣٧.

(٢) البابا شنودة الثالث (١١٧): القرارات المجمعية فى عهد صاحب القداسة والغبطة البابا شنودة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٦م، ص ٦٨.

(٣) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ١٤٢.

الكلمة الدراجة لكلمة «مصباح». والقنديل هو الفتيل الذى يوقد باستخدام الزيت، ومن هذه الوجهة يمكن أن يسمى القنديل «مصباح»،كما نقرأ فى سفر أعمال الرسل: «وكانت مصابيح كثيرة فى العلبة التى كانوا مجتمعين فيها» (أعمال ٨:٢٠). ويمكن طقسيًا أن تحل الشمعة محل القنديل أو العكس.

وتُستخدم الشموع والقناديل كثيرًا فى العبادة المسيحية فى الشرق والغرب ولاسيما فى الخدمة الليتورجية أى القداس وصلوات رفع البخور، بالإضافة إلى كل الصلوات الطقسية الأخرى. ويكثر استخدامها على وجه الخصوص فى الهيكل حيث المذبح المقدس. ووضع الشمعدانات على الأرض جوار المذبح من جهتيه البحرية والقبلية هو تقليد سحيق فى القدم، قبل أن توضع الشمعدانات فيما بعد فوق المذبح نفسه.

ويُضاء قنديل بصفه مستمرة فى شرقية الهيكل المقدس فى الكنيسة ويسمى «القنديل الذى لا ينام»، وهو يرمز إلى النجم.

**١٠٥ ـ قيامة** Resurrection [١]

«عيد القيامة»، هو أعظم أعياد الكنيسة قاطبة، وعيد أعيادها، ومحور سنتها الليتورجية، وسر تسبيحها وبهجتها، ومحور ارتكاز كرازتها والقداس فى الكنيسة هو عيد للقيامة حاضرًا دومًا أبدًا. ويوم الأحد هو عيد القيامة الأسبوعى.

وفى الثلاثة قرون الأولى لم تتفق الكنائس على تحديد يوم واحد للاحتفال بالعيد، فبينما احتفل البعض به فى ١٤ نيسان مع اليهود اعتمادًا على تقليد يظن أن القديس بوليكاربوس أسقف أزمير قد نقله عن القديس يوحنا الحبيب، وتزعَّم هذا الاتجاه بعض كنائس آسيا الصغرى وضواحي أفسس، احتفل البعض الآخر بالعيد فى الأحد الذى يلى ١٤ نيسان القمرى، وتزعَّم هذا الاتجاه كنائس الإسكندرية وأورشليم وروما.

ولم يتوحد الاحتفال بالعيد إلا بعد المجمع النيقاوى الأول سنة ٣٢٥م، حيث قرر المجمع أن يكون يوم الاحتفال بالعيد مرتكزًا على ثلاثة مبادئ:

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ١٥٠.

* أن يكون يوم الأحد.

* الواقع بعد البدر الكامل للقمر فى ١٤ نيسان/ أبريل.

* الذى يأتى بعد الاعتدال الربيعى فى ٢١ آذار/ مارس.

**١٠٦ ـ قيم الكنيسة** [١]

«القيم» أو «القوام» ـ وجمعها «قوامون» ـ هو المتكفل بالأمر أى متوليه، كق الوقوف ونحوه. وقيم المرأة هو زوجها. أما قيم الكنيسة فهو المتكفل بأمور الكني من جهة تنظيفها، ودق الجرس لإعلان بدء الصلاة، وعمل القربان، إلا أن عم الأساسى قد انحصر فى هذا العمل الأخير.

فالقيم هو من يقوم بعمل الربان، أى عجنه وخبزه وختمه وبختشته، أى تجهي طبقًا لمراحل متتابعة معروفة بالتسليم من جيل إلى جيل، ليقدم حملًا فى القداس وذلك فى فرن ملحق بالكنيسة، يوقد غالبًا بكسر الخشب وفروع الأشجار والكت الكنسية المطبوعة القديمة التالفة، وليس فى الغالب بوسائل تقنية حديثة، ففرن القرب يحتاج إلى بلاطة فخارية بالتحديد وليس من نوع آخر كالحديد الزهر مثلًا، وأيضًا ة القرن يلزم أن يكون على شكل طاقية لضمان توزيعٍ جيدٍ للحرارة.

**١٠٧ ـ كاتدرائية Cathedral** [٢]

الكلمة اليونانية (كاتدرا) تعنى «كرسى»، وهى فى اللاتينية أيضًا «Cathedra». أ مقر الأسقف أو محل إقامته فيعرف فى اللاتينية باسم «Sedes». لذلك فإن الكاتدرا هى الكنيسة التى يوجد فيها كرسى الأسقف أو مقر كرسيه. والمقصود هنا هو كرس التعليم، أى الكرسى الذى يجلس عليه الأسقف يعلم شعبه. وليس بالضرورة تكون الكاتدرائية هى أكبر أو أفخم كنيسة فى الإيبارشية. فمثلاً كاتدرائية الفاتيك فى روما هى كاتدرائية القديس يوحنا لاتيران «Lateran» رغم فخامة وأبهة بازيلي الفاتيكان، أى كنيسة القديس بطرس.

---

(١) يوحنا بن أبى زكريا بن السباع: كتاب الجوهرة النفسية فى علوم الكنيسة، حققه الأب فيكتور منص ستريح الفرنسيس، مؤلفات المركز الفرنسيسكانى للدراسات الشرقية المسيحية، طبعة القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٧٩.

(٢) انظر فى ذلك: Cross, F. L., Livingstone, E. A:, OP. CIT. 2nd Edition. P.353.

وفى حالات نادرة يكون للأسقف كرسيان فى إيبارشيته، وبالتالى كاتدرائيتان أيضًا.

وفى الأصل كانت الكاتدرائية قريبة من مكان إقامة الأسقف، حيث كان هو المنوطة به الخدمة فيها، ولكن بعد أن اتسعت مسئوليات الأسقف وتعددت واجباته، وتشعبت أوجه العبادة فى الكاتدرائية، انتقلت تدريجيًا مسئولية الخدمة فى الكاتدرائية من الأسقف مباشرة إلى الكهنة المساعدين له فى الخدمة، ومعهم الشمامسة. وصار الأسقف حاليًا يصلى صلواته الخاصة فى كنيسة صغيرة «Oratory» خاصة به. وينتقل ليصلى فى الكاتدرائية فى المناسبات الرسمية والأعياد الكنسية الكبرى.

**١٠٨ ـ كاهن** Priest [(١)]

«كاهن» ـ وجمعها «كهنة وكهّان» ـ لفظة ليست عربية الأصل، لأنها تأتى إما من «كهين» العبرانية، أو «كهنا» السريانية. والكهانة أو الكهنوت هى حرفة الكاهن ووظيفته. وسر الكهنوت هو أحد أسرار الكنيسة.

ونقول: كهُن (بضم الهاء)، يكهُن (بضم الهاء)، كهانة. ولا نقول: كهن ( يفتح الهاء)، يكهَن (يفتح الهاء)، كهانة. لأن «كهُن ـ يكهُن ـ كهانة» أى صار كاهنًا، أما «كهَن ـ يكهَن ـ كهَانة» فتعنى تكهَّن أى قضى بالغيب وتحدث به.

وفى المصطلح الطقسى هناك «كاهن خديم» أى «كاهن خادم»، وهو الكاهن الذى يقوم بخدمة الأسرار، و«كاهن شريك Assistant presbyter» أى الكاهن المساعد للكاهن الخديم فى الصلاة فى بعض أجزاء الصلوات المسموح له بالاشتراك فيها إذا لم يصلها الكاهن الخديم.

فالكاهن الخديم هو الذى يقوم باختيار الحمل وتكميل كل صلوات حتى وضع الإبروسفارين على القرابين بعد انتهاء صلاة الشكر وأوشية التقدمة. وهو المنوط به أن يصلى صلاة الحجاب.

أما الكاهن الشريك، فله أن يصلى صلاة تحليل الخدام، إذا لم يكن الأب البطريرك أو الأسقف حاضرًا.

---

(١) قاموس المنجد فى اللغة الأعلام: المرجع السابق، ص ٧٠١..

## ١٠٩ ـ كرازة Proclamation [١]

الفعل اليونانى (كيريسسو) أى «يكرز ـ ينادى ـ يبشر ـ يهتف»، جاء منه الاسم (كيريجما) أى كرازة.

والفعل «كرز» هو سيرانى الأصل يعنى وعظ. و«الكرازة» هى الوعظ والتبشير علانية بالحقائق الإنجيلية خصوصًا والمسيحية عمومًا. والكارز أو الكاروز هو الواعظ أو المنادى بهذه البشارة.

والقديس مرقس الرسول أحد السبعين رسولًا يُدعى «كاروز الديار المصرية» لأنه هو الذى أسس الكنيسة فى مصر وهى الكنيسة التى تدعى كنيسة الإسكندرية وإلى زمن قريب كان يوسابيوس القيصرى (٢٦٠-٣٤٠م) هو المصدر المبكر الذى أشار إلى كرازة القديس مرقس بالمسيحية فى مصر. حين يتحدث عن نشاط القديس مرقس فى الإسكندرية بعد ذكره نشاطه حينما كان مرافقًا للقديس بطرس فى روما، فيقول: ويقولون إن مرقس هذا كان أول من أرسل إلى مصر، وأنه نادى بالإنجيل الذى كتبه، وأسس الكنائس فى الإسكندرية.

ويشير يوسابيوس أيضًا إلى إقامة أنيانوس «Annianus» سنة ٦٢م، كما يلى «وفى السنة الثامنة من ملك نيرون سلمت إلى أنيانوس إدارة إيبارشية الإسكندرية خلفًا لمرقس الإنجيلى» (٢:٢٤).

هذا ما يذكره يوسابيوس عن نشأة الكنيسة المسيحية فى مصر بكرازة القديس مرقس البشير. ولكن لدينا الآن خطابًا وثائقيًا أقدم من شهادة يوسابيوس، وهو للعلامة كليمندس الإسكندرى (١٥٠-٢١٥م) نشره العالم مورتن سميث «Morton Smith»، ونعرف منه أن القديس مرقس كتب إنجيله أثناء إقامة القديس بطرس فى روما، وبعد استشهاد القديس بطرس جاء القديس مرقس إلى الإسكندرية. وفى مصر استفاض فى كتابة إنجيله الروحانى معتمدًا على نفسه، وعلى مذكرات القديس بطرس، لتستخدمه كنيسة الإسكندرية.

---

(١) يوسابيوس القيصرى: تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقس داود، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٩م، ٢، ص ١٦. Morton Smith:. Clement of Alexandria and a secret Gospel of Mark Cambridge. Harvard University press. 1973.

Birger. A. Pearson:. Earliest Christianity in Egypt. some Observations. U.S.A. 1968. p. 143

أما تفصيلات قصة دخول القديس مرقس إلى الإسكندرية وكرازته بالمسيح فيها فأقدم وثيقة تتحدث عن ذلك تدعى «أعمال مرقس»، ويرجعها بعض العلماء أمثال بريكولى «F. Pericoli»، وريدروفينى «Ridorfini» إلى أواخر القرن الرابع أو أوائل الخامس للميلاد. وهذه الوثيقة توجد فى نصين باليونانية «Two Greek Recessions» وقد ترجمت إلى عدة لغات أخرى.

**١١٠ ـ كرسى الأسقف** (١)

كرسى الأسقف فى الكنيسة هو الموضع الذى يجلس عليه الأسقف ليعلم شعبه أثناء تأدية الخدمة الليتورجية. وتكتمل رسامة الأسقف بتجليسه على كرسيه فى إيبارشيته.

وكان كرسى الأسقف فى عصور الكنيسة الأولى فى مكان مرتفع على درج فى منتصف شرقية الهيكل الرئيس. فكان جلوسه متجهًا إلى الغرب فى مواجهة الشعب عبر مذبح الهيكل. ومن حوله عن يمينه ويساره يجلس الكهنة. وفيما بعد انتقل كرسى الأسقف إلى مقدمة صحن الكنيسة. وبعد الخوروس الأول مباشرة.

**١١١ ـ كرسى مارمرقس** See of St. Mark (٢)

«كرسى مارمرقس» أى مقر رئاسة كنيسة الإسكندرية التى أسسها القديس مرقس البشير، أى «مقر البطريركية». فكرسى مارمرقس يكون حيث يكون بطريرك كنيسة الإسكندرية، لأنه خليفة القديس مرقس الرسول. ودعى فيما بعد «الكرسى البابوى». ولقد انتقل كرسى مارمرقس من موضع إلى آخر مع تغير مقر إقامة البطاركة الأقباط، ولكن ظل التقليد حافظًا حتى اليوم الاسم القديم لبطريرك الكنيسة القبطية وهو «بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية» مهما تنقل مقر إقامته، لأنه يرسم أولًا أسقفًا على مدينة الإسكندرية، وبالتالى يصير باب وبطريرك ورئيس أساقفة الكرازة المرقسية.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ٣، ص ١٦٦.

(٢) ساويرس بن المقفع (أسقف الأشمونين): تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف دبسير البيعة المقدسة، المجلد الثانى ت، جـ١، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، ١٩٤٣م، ص ١١.

كان كرسى مارمرقس فى البداية فى مدينة الإسكندرية حتى منتصف القرن التاسع الميلادى، فقد ظل الكرسى البابوى موجودًا بها حتى زمن البابا خائيل الثانى (٨٤٩-٨٥١م) الـ٥٣. أما البابا قسما الثانى (٨٥١-٨٥٨م) الـ ٥٤، فسكن فى البلدة المعروفة بدميرة. وسكن البابا خائيل الثالث (٨٨٠-٩٠٧م) الـ ٥٦ فى كنيسة السيدة العذراء بقصر الشمع (المعلقة) لأنه لم يكن أحد من البطاركة مقيمًا بالإسكندرية بعده.

**١١٢ ـ كنيسة Church** [١]

«كنيسة» تعريب للكلمة الأرامية «كنيشتا»، وتعنى «مجمع»، والجمع هو مكان الاجتماع، ولقد أطلق هذا الاسم «مجمع» على مكان العبادة عند اليهود فى أواخر أيامهم فى فلسطين أو خارجها. وتذكر المشنا كلمة «بيت هاكنيشت» أى مكان الاجتماع للدلالة على المجمع. وفى الترجوم والتلمود نجد كلمة «بيكنيشتا» أو «كنيستا». وكانت أماكن الاجتماعات المسيحية فى أول وجودها مقامة على نمط المجامع اليهودية.

وكلمة «كنيسة» فى كتاب العهد الجديد مترجمة عن الكلمة اليونانية (إكليسيا) والكلمة اليونانية تعنى عمومًا أى جماعة تدعى لغرض معين، ولذلك فقد ترجمت الكلمة اليونانية نفسها فى كتاب العهد الجديد إلى «محفل» أى اجتماع عام.

وبرغم انتشار الكنائس وتباعدها جغرافيًا فهى كنيسة واحدة مقدمة جامعة رسولية فإن انقسامًا حدث بين أعضائها قسَّمها إلى مذاهب وطوائف، ومازالت الكنيسة تصلى أن تعود إليها وحدانية القلب التى للمحبة.

**١١٣ ـ كيرياليسون God Have Mercy** [٢]

«كيرياليسون» تعريب للكلمة اليونانية، وهى تتكون من مقطعين: (كيريى) أى «يارب»، و(إليئيسون) أى «ارحم».

والرد «يارب ارحم» ـ من المرد «آمين» ـ هو أقدم مرد عرفته الكنيسة المسيحية فى صلواتها الليتورجية. ومازال مردًا شهيرًا تعرفه كل الطقوس الشرقية والغربية.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ١٧٤.

(٢) نفسه، ص ١٧٥.

وفى صلوات الأجبية فى الطقس القبطى تقال «كيرياليسون» ٤١ مرة. وهذا الرقم (٤١) أحد السمات التى تميز التقليد القبطى دون غيره من التقاليد الأخرى.

**١١٤ ـ لحن** Hymn [١]

تمثل الألحان جانبًا أساسيًا فى العبادة المسيحية شرقًا وغربًا. بل إن جل العبادة المسيحية يتمم من داخل الألحان. وهى فى مضمونها إما صلوات وتضرعات، وإما مقطوعات شعرية أو نثرية تشرح وتؤكد الجانب العقيدى للكنيسة فى قالب موسيقى، لترسيخ المعنى فى الذهن وبوسيلة مؤثرة هى الموسيقى.

وفى البداية استُخدمت ألحان الهيكل اليهودى ومن بعده المجمع اليهودى فى صلوات الكنيسة المسيحية الأولى ولاسيما الترنم بسفر المزامير. ولقد سبَّح السيد المسيح مع تلاميذه فى ليلة العشاء الأخير، والغالب على الظن أن تسبيحهم كان هو المزمور (١٣٦)، الذى يسمى «اللهليل الكبير ـ great hallel».

ومع المزامير دخلت أيضًا التسابيح والأغانى الروحية. ومن الثابت أن كثيرا من أسفار العهد الجديد تحوى أجزاء من تسابيح وألحان الكنيسة الأولى، وقد اشتهرت هذه التسابيح فى الكنيسة بعناوينها اللاتينية وهى:

تسبحة البشارة Annunciation.

تسبحة العذراء Magnificat.

تسبحة زكريا الكاهن Benedictus.

تسبحة الملائكة Gloria in Excelsis.

تسبحة سمعان الشيخ Numc Dimittis.

**١١٥ ـ الليتورجية** Liturgy [٢]

كلمة «ليتورجية» تتكون من مقطعين هما: (ليؤس) أى شعب، (إرغون) بمعنى عمل، فيكوم معنى الكلمة «عمل شعبى» وهكذا استخدمت الكلمة لتفيد أى عمل

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ٣، ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) نفسه، ص ١٩٤.

شعبى من أى نوع وليس الدينى فقط، ولقد استخدمت الكلمة خصيصًا لتحمل معنى الخدمات التى كانت تقدم فى الهيكل اليهودى.

### ١١٦ ـ مار[١]

«مار» كلمة سريانية معناها «سيد»، والمؤنث لها هو «مرت» (بضم الميم وسكون الراء) أى «سيدة». أما «مارى» فتعنى «سيدى». وانتقلت هذه الكلمات السريانية إلى الأقباط وانتشرت بينهم بوصفها لقبًا للشهداء والقديسين، كقولنا مرت مريم، ومارمرقس، ومارى جرجس. وفى التقليد السريانى تطلق الكلمة أيضًا على البطاركة والأساقفة.

### ١١٧ ـ المجمع اليهودى[٢]

وهو مكان العبادة عند اليهود. فبرغم وجود الهيكل فى أورشليم كانت توجد أيضًا عدة مجامع يهودية، بل كانت المدن الكبرى تضم أحيانًا أكثر من مجمع. لكن ازدادت أهمية المجمع بعد خراب هيكل أورشليم سنة ٧٠ ميلادية. وقد بدأت المجامع اليهودية تاريخيًا منذ وقت السبى وعزرا، وإن كان اليهود يحاولون إرجاعه إلى مدارس الأنبياء. بل كان بعضهم يعتقدون أن موسى نفسه هو الذى أسسها وتكشف أوراق البردى المكتشفة حديثًا أنه كانت هناك مجامع يهودية فى مصر منذ عهد بطليموس يورجيتوس (٢٤٧-٢٢١ ق.م.).

وكان لكل كنيس مهما صغر مجمع خاص به، يختار عادة قرب نهر أو شاطئ بحر لتسهيل الغسلات الطقسية. ويبنى على أعلى بقعة فى المنطقة. ولم يكن مسموحًا لأى منزل أن يتجاوز فى ارتفاعه ارتفاع المجمع. وفى حالة عدم وجود أرض مرتفعة لإقامة المجمع عليها، كان يُثَبَّت عمود خشبى طويل فى سقف البناء، لكى يجعله ظاهرًا. ووفقًا للتقليد اليهودى كان يكفى وجود عشرة رجال فى مكان ما ليؤسسوا اجتماعًا دينيًا وكانت إقامة مجمعٍ تعد عملًا صالحًا.

وكان المجمع اليهودى فى عصر السيد المسيح من أهم المؤسسات الدينية

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٢٥٠.

(٢) نفسه، ص ٢٠٨.

عند اليهود، وفى أورشليم وحدها كان يوجد نحو ٤٠٠ مجمع للطوائف المختلفة واليونانيين من الأقطار الأخرى. فلقد تطور المجمع باعتباره بديلًا للنظام الكهنوتى فى الهيكل، إلا أنه لم يكن هناك كهنة بالمعنى المعروف. وأصبحت الاجتماعات التى كانت تُعقد فى المجمع فى السبوت والأعياد تعقد أيضًا فى أيام أخرى وفى ساعات الخدمة نفسها التى كانت تقام فى الهيكل. وكان الهدف الأساسى من المجمع ليس الصلاة، بل تعليم الناموس، ويطلق فيلو على المجامع اسم «بيوت التعليم».

وكان المجمع اليهودى يحوى مقاعد للرجال فى جهة ومقاعد للسيدات وراء حاجز فى الجهة الأخرى، وهن ملثمات بحجب طويلة. وفى جانب من المجمع كانت «الطبهة» أو التابوت الخشبى الملون الذى يحوى الأسفار المقدسة. وفى الجانب الآخر «البيما» أو المقعد العالى للقارئ أو الواعظ. وكان هناك ضوء مقدس يحتفظ به مشتعلًا دائما رامزًا للناموس المقدس. ويوجد صندوقان للعطاء موضوعان بجوار الباب، أحدهما لفقراء أورشليم، والآخر للإحسانات المحلية.

وكان يجلس على الكراسى العشرة الأولى متقدمو الرجال أو متقدمو الشيوخ، وكان لهم فى مجمع الإسكندرية ٢١ كرسيًا مذهبًا ذا مساند، ويواجهون المجتمعين وفى مقدمتهم رئيس المجمع ويسمى «روش هاك كنيسيث». ويلى هؤلاء فى المكانة «الخازن» أو الكاتب الذى يحفظ الكتب المقدسة. ثم «الشيلاك» أو «حامل الصولجان» و«البرناسيم» أى الرعاة، وكانت وظيفتهم تشبه فى بعض الوجوه الشمامسة. و«المترجم» وقد بُدئ فى استخدامه عقب العودة من السبى البابلى، لترجمة الدروس من العبرية إلى الكلدانية أو الآرامية أو اليونانية أو اللغات الوطنية الأخرى.

وفى خدمة المجمع كان يُقرأ دائمًا فصلان، واحد من الناموس ويدعى «براشاه» والآخر من الأنبياء ويدعى «هافتراه» وكان يمكن لأى شخص كفء أن يأخذ الإذن من رئيس المجمع ويتقدم للقراءة والوعظ.

وكانت أيام الخدمة العامة هى: السبت والإثنين والخميس، وساعات الصلاة هى الثالثة والسادسة والتاسعة بالتوقيت العبرى.

## ١١٨ ـ المجموع المسكونى Ecumenical Council [١]

هو اجتماع أساقفة المسكونية شرقًا وغربًا لبحث أمر جلل فى الكنيسة. ونادرًا حدث اتفاق حول قرارات هذه المجامع بين الشرق والغرب. ولقد عقد فى الشر سبعة مجامع مسكونية كان آخرها مجمع نيقية المسكونى الثانى سنة ٧٨٧م. أ الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة فهى لا تعترف إلا بالثلاثة مجامع الأولى من فقط. أما فى الكنيسة الغربية فقد عقد بها كثر من المجامع ولا تزال تعقد.

## ١١٩ ـ مخطوطات البحر الميت Manuscripts of The Dead Sea [٢]

وهى ترجع فى أصلها إلى جماعة دينية قديمة عاشت بالقرب من البحر الميت وكان أول اكتشاف لهذه المخطوطات حوالى سنة ١٩٤٧م فى أحد كهوف واد قمران الذى يقع شمال البحر الميت، وعلى مسافة حوالى ١٣ كيلومترًا جنوب أريح حين تعثرت قدم واحد من البدو فى إحدى الجرار بينما كان يبحث عن شاته الضال وكانت الجرار تحوى رقوقًا من الجلد ملفوفة فى نسيج من الكتان.

وصل بعضها إلى رئيس دير السريان الأرثوذكس فى أورشليم، ومن ثم انكب الجامعة العبرية فى أورشليم والمعاهد الأمريكية المختصة بالدراسات الشرقية عل فحص هذه الرقوق، وقرر العالم أولبرايت أنها أهم كشف لمخطوطات العهد القد لأن النصوص العبرية التى تحويها هذه المخطوطات تقدمت بها إلى ألف عام ساب لما كان معروفًا بين أيدينا، فقيمتها لا تقدر بثمن. كما أن مخطوطات وادى قمرا بالغة الأهمية فى الدراسات الكتابية للفترة بين العهدين القديم والجديد، وفى تحقي نصوص العهد القديم.

وبدءًا من سنة ١٩٤٩م توالت الاكتشافات، حيث اكتشفت سنة ١٩٥١ مخطوطات أخرى تعود إلى العصر الرومانى، فى كهوف وادى المربعات عل بعد حوالى ١٨ كيلومترًا جنوب الكهف الأول. وخلال الفترة من سنة ١٩٥٢ إل سنة ١٩٥٦م تم اكتشاف أحد عشر كهفًا فى وادى قمران. وكل مخطوطات واد قمران سواء كانت أصول مخطوطات أو نسخًا منقولة عن الأصول ترجع إلى فت

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٢١٠.

(٢) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٢١٢.

تاريخية بدأت نحو سنة ٢٥٠ق. م وانتهت بهجران موقعهم فى هذا الوادى سنة ٦٨م.

ويبدو أن جماعة قمران هى جماعة منشقة عن اليهودية بدأت منذ الأرجح فى أيام أنطيوخوس أبيفانس (١٧٥-١٦٣ق.م)، وهم الذين دونوا هذه الوثائق، وكانوا جماعة من الكهنة والعلمانيين يحيون مشتركين. ومؤسس هذه الجماعة يدعى «المعلم البار».

**١٢٠ ـ مذبح Altar–Sanctuary**[1]

«المذبح» فى اليونانية (ثيسياستيريون) وفى القبطية (مانيرشوأوشى)، ويعنى «موضع الذبيحة». هو فى اللاتينية «Sancta Mensa». ويُسمَّى أيضًا فى الكنيسة اليونانية «المائدة المقدسة. كما ذكرته أيضًا قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية. وهو عند القديس إغناطيوس الأنطاكى (٣٥-١٠٧م) والقديس كبريانوس الشهيد (٢٨٥م) «مائة الإفخارستيا»، وهو الاسم الذى تعمم فى الكنيسة الجامعة فيما بعد.

كانت المذابح فى العصور المبكرة تصنع من الخشب كما يذكر البابا أثناسيوس الرسولى (٣٢٨-٣٧٣م)، والقديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م)، وآخرون فى القرنين الرابع والخامس للميلاد.

أما عادة إقامة الإفخارستيا على مقابر الشهداء فى البداية فقد ساعدت على ظهور المذابح الحجرية، التى صارت فيما بعد تحوى رفات أحد الشهداء أو القديسين. وبظهور المذابح الحجرية أو الرخامية تلاشت المذابح الخشبية، وأصبح استعمالها ممنوعًا قانونًا فى أى ركن من أركان العالم المسيحى بدءًا من القرن الخامس الميلادى. أما الكنيسة الآشورية فقد منعت استخدامها إلا عند الضرورة، والتقليد الأنجلوساكسونى كان يمنع صراحة تدشين المذابح الخشبية.

وفى البداية كان هناك مذبح واحد لكل كنيسة، ولكن لسبب القداسات الخاصة التى ظهرت أولًا فى الغرب «private mass»، وبسبب نظام الكنائس الشرقية الذى لا يسمح بإقامة أكثر من قداس واحد على المذبح الواحد فى اليوم الواحد.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٢١٤.

وفى معظم كنائس الأقباط توجد ثلاثة مذابح لكل كنيسة، حيث تكرس المذابح الفرعية بأسماء شهداء أو قديسين غير اسم الشهيد أو القديس الذى كرست الكنيسة على اسمه. وهو نفس ما يراعيه الأرمن أيضًا، فلديهم ثلاثة مذابح فى الكنيسة، ولكن من اختلاف أن المذابح الجانبية عندهم تقع أمام الهيكل أو فى مكان آخر، ولكن ليس على خط واحد من المذبح العالى، وخلف حاجز واحد متصل، كما هو الحال فى الكنائس القبطية. وباستثناء الكنائس اليونانية يندر أن توجد كنيسة واحدة فى الشرق كله بها مذبح واحد، باستثناء الكنائس الصغيرة فى حصون الأديرة، وكنيسة التسعة والأربعين شيخًا شيوخ شيهات بدير أنبا مقار.

وفى جميع الطقوس الشرقية يلزم أن يوضع المذبح فى منتصف الهيكل ليسهل التحرك حوله. وفى الأصل كان الكاهن المحتفل بالإفخارستيا يقف فى الجانب الأبعد من المذبح فى مواجهة الشعب. ولكن فيما بعد وفى أماكن كثيرة ـ كما فى الكنيسة القبطية ـ تحول وضع الكاهن حيث صار مكانه فى الجانب الغربى من المذبح.

ويغطى المذبح بثلاثة أغطية كما فى الطقسين القبطى والبيزنطى، وفى الطقس الغربى القديم أيضًا. أما الغطاء الأول فيصل إلى الأرض من جوانب المذبح الأربعة والغطاء الثانى يتدلى بحوالى ١٥-٢٠ سنتيمترًا من كل جانب، أما الغطاء الثالث فهو الإبروسفارين الذى يغطى كرسى الكأس ويتدلى قليلًا على الجدارين الشرقى والغربى للمذبح. وقد ظهرت عادة تغطية المذبح منذ حوالى القرن التاسع. وحديثًا قد اكتفى بغطاء واحد فقط فى الطقس الغربى.

وتوقد حول المذبح شمعتان من جهتيه البحرية والقبلية عند بدء الخدمة الليتورجية. ولم يكن يسمح بوضع حامل الشموع فوق المذبح مباشرة، ولكن على الأرض مجاورًا للمذبح، فليست هناك أى شواهد قبل سنة ١١٧٥م نلحظ منها على وضع حامل الشموع فوق المذبح.

### ١٢١ ـ مسيحى Christian [١]

«المسيحى» هو من دعى عليه «اسم المسيح». وترد كلمة «مسيحى» أو «مسيحيين» ثلاث مرات فى العهد الجديد.

### ١٢٢ ـ مِطران Metropolitan [٢]

«المطران» (بكسر الميم) أو «المتروبوليت» تعريب للكلمة اليونانية (متروبوليتيس). والكلمة اليونانية تعنى فى أصولها الأولى «مواطن فى المدينة الأم ـ Citizen of Metropolis». والمدينة الأم أى عاصمة المقاطعة. وأصبحت الكلمة فى المصطلح الليتورجى تعنى: «أسقف المدينة الأم»، والذى تمتد رئاسته الكنسية لأكثر من إيبارشية واحدة، أو لأكثر من مدينة واحدة مع تخومها. وقد تحددت هذه الصلاحيات كعادات محلية للكنائس المختلفة قبل مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥م، الذى قننها كنسيًا بقانون مجمع مسكونى. ففى قانونه الرابع تظهر لأول مرة كلمة «مطران» أو «متروبوليت»، وصارت الكلمة فى القرنين الرابع والخامس مرادفًا لكلمة «رئيس أساقفة Archbishop». ثم صار رئيس الأساقفة فيما بعد هو «البطريرك».

ولقد اختلفت واجبات وحقوق المطران من مكان لآخر ومن زمان لآخر. وحاليًا فى كلٍ من الشرق والغرب أصبحت رتبة «المطران» رتبة شرفية، تعطى للأسقف الذى يرعى إيبارشية متميزة كنسيًا. والآن كل إيبارشيات الأساقفة فى الكنيسة البيزنطية تسمى «مطرانيات».

### ١٢٣ ـ معمودية Baptism [٣]

تأتى كلمة «معمودية» فى العهد الجديد بلفظيها •بابتيزما)، أو (بابتيزموس) بمعنى: معمودية أو صبغة أو غسل. وهناك أنواع معموديات كثيرة هى:

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٢٢٩.

(٢) نفسه، ص ٢٣١.

(٣) فى صفحة من مخطوط بنسب للقرن ١٦، برقم سجل (ق ٢) محفوظ بمكتبة دير القديس أنبا مقار، سجل الناسخ فى إحدى ورقاته تأملاته الخاصة، عدد تسع معموديات.

استخدامات فى الديانات الوثنية.

وضوءات الديانة اليهودية، التى عرفت بمعمودية موسى.

معمودية المتهودين أو المهتدين.

معمودية يوحنا المعمدان.

معمودية فى مياه الأردن.

معمودية فى التلاميذ.

معمودية الماء والروح.

معمودية الدم والشهادة.

**١٢٤ ـ موسيقى قبطية Christian** [١]

الموسيقى القبطية بحسب التقليد هى موسيقى دينية صوتية، آلتها هى الأحبا الصوتية، وقد وصلت إلينا عبر التلقين والتسليم الشفهى وليس التدوين. وبالرغ من أن الألحان والموسيقى القبطية لم تدونا موسيقيًا، فإن الأقباط قد حافظوا عل موسيقى اللحن الكنسى على مدى عشرات القرون، وهذا ما يجعل المصريي فخورين بهذا.

**١٢٥ ـ ميرون Chrism** [٢]

الكلمة «ميرون» تعنى «زيت نقى ـ Sweet oil»، وتعنى «بلسم» أو «مرهم Unguent». والاسم الشائع فى الكنيسة القبطية هو «ميرون»، أما فى الكنيسة البيزنط فهو (كريسما) من الفعل اليونانى (كربؤ) أى «يدهن».

وزيت الميرون هو خليط من زيت الزيتون النقى والبلسم وإضافات أخرى كثي فى الكنيسة القبطية، والكنيسة الآرمينية، وأكثر منهما فى الكنيسة اليونانية.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٢٤٤.

(٢) نفسه، ص ٢٥٦.

### ١٢٦ ـ ناموس Law [١]

كلمة «ناموس» تعريب للكلمة اليونانية (نوموس)، أى قانون أو شريعة. ويقابلها فى العبرية كملة «توراة»، والتى تفيد معنى التوجيه أو الإرشاد أو التعليم. ويكثر ذكر الكلمة فى العهدين القديم والجديد. ومن أكثر الأسفار التى أوردت الكلمة، سفر المزامير فى العهد القديم.

### ١٢٧ ـ نبى Prophet [٢]

النبى هو من ينبئ بأمور آتية، وهو نفسه «الرائى» الذى يرى ما لا يقع فى دائرة البصر الطبيعى.

### ١٢٨ ـ نسَّاك Ascetics [٣]

النسَّاك هو الاسم القديم للرهبان، قبل أن تعرف الرهبنة كنظام يتبع الكنيسة، ويخضع لها. ومازال النسك أحد السمات الأساسية للحياة الرهبانية. وجدير بالذكر أن مؤلف المراسيم الرسولية (الدسقولية العربية) لم يشر إلى الحياة الرهبانية، إذ يبدو أنه حتى زمن تأليف المراسيم الرسولية (النصف الأول من القرن الرابع) كانت الحياة الرهبانية فى سوريا فى طورها البدائى الأولى، وهذا ما نستطيع أن نستشفه من النصوص التى وردت عن هؤلاء النساك.

### ١٢٩ ـ وقوف للصلاة Standing for prating [٤]

ويكون ذلك طبقًا لنداء الشماس للشعب «للصلاة قفوا»، أو «أيها الجلوس قفوا»، أو «قفوا». ونداء الشمَّاس بالوقوف لا يعنى أن الشعب كان جالسًا قبل هذا النداء، ولكنه تحذير لرفع درجة الانتباه إلى غايتها، فالوقوف هنا ليس وقوفًا عاديًا بل وقوفًا للصلاة، أو للإصغاء إلى كلمة الإنجيل، والفرق كبير بين الحالين.

---

(١) أثناسيوس: المرجع السابق، جـ ٣، ص ٢٦١.
(٢) نفسه، ص ٢٦٢.
(٣) نفسه، ص ٢٦٥.
(٤) نفسه، ص ٢٨٥.

## الخاتمة والنتائج

يتضح مما سبق ذكره من موضوعات تتعلق بنظام الوقف الإسلامى، أنه يعد أحـ
أبرز النظم المؤسسية التى أسهمت إلى حد كبير فى تحقيق المقاصد العامة للشريـ
الإسلامية، وذلك من خلال إبراز جوانب السماحة والرحمة والبر والإحسان للفقرا
وأبناء السبيل، وأهل الذمة، والرهبان، ومقيمى الشعائر الدينية والمنقطعين للعبا
وذوى الحاجة، وغيرهم.

ومن خلال استعراض نموذج حى مازال قائمًا حتى اليوم وهو «دير سانت كاتريـ
بشبه جزيرة سيناء»، وما تم وقفه من أوقاف خيرية فى العصور الوسطى من خلا
وثائق تاريخية مازالت محفوظة فى مكتبة الدير حتى اليوم، ويتضح أنه شاهد حـ
وثابت على عظمة الحضارة الإسلامية وعنايتها ورعايتها الفقراء والمحتاجين وأبنـ
السبيل وأهل الذمة وغيرهم، وهى جميعًا تُعد من أبرز المقاصد العامة للشريـ
الإسلامية؛ كما بينتها فى الفصل الأول من هذه الدراسة.

والمتأمل فى نصوص بعض فقرات الوثائق التاريخية التى استشهدت بها فى ثنـ
هذه الدراسة، يلاحظ أنها صدرت زمن الحروب الصليبية بحملاتها الشرسة الثمانيـ
والتى سبقتها حملة أخرى أطلق عليها (الحملة الشعبية) التى بدأت سنة١٠٩٥
بقيادة «بطرك الناسك»، ثم الحملات الثمانى التى عاثت فى أراضى المسلميـ
فى مصر والشام فسادًا، وأغارت على الأراضى المقدسة سنة ١٠٩٦م واستمر
قرابة القرنين من الزمان، خلفت ورائها العديد من المآسى فى بلاد المسلمين؛ مـ
قتل وسلب ونهب وتشريد وهتك أعراض واعتداء على المقدسات فى القدس
الشريف، وكذلك هدم المساجد والمدارس والدور والمستشفيات، وغيره

وفى هذا التوقيت، سلك خلفاء وسلاطين وأمراء المسلمين مسلكًا مختلفًا تمامًا، فاعتنوا بأهل الذمة وأوقفوا لفقرائهم وضعفائهم هذه الأوقاف الخيرية. مثلما أوقفوا أيضًا منشآت أخرى للمسلمين مثل المدارس والأسبلة والكتاتيب والبيمارستانات والخانقاوات... وغيرها كثير، بعضها مازال قائمًا حتى اليوم فى مصر والشام، لعل أبرزها تلك المنشآت المملوكية فى مصر مثل المجموعة المعمارية المتنوعة المنافع للسلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٨٠-١٢٩٠م) ومجموعة السلطان قنصوة الغورى (٩٠٦-٩٢٢هـ / ١٥٠١-١٥١٦م) وغيرها.

ويلاحظ أن الأوقاف المملوكية والمحفوظة حاليًا فى العديد من المكتبات والمتاحف فى مصر والعالم، أبرزها مجموعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، والبعض الآخر محفوظ فى مكتبة وزارة الأوقاف المصرية، والآخر محفوظ فى مكتبة دير سانت كاترين، كما ذكرت من قبل، وتحتوى جميعها على معلومات بالغة الأهمية من أوجه إنفاق الأموال وبذلها فى سبيل الله وتخصيص أجزاء منها لطلاب العلم والمعلمين فى المدارس والكتاتيب، ومنها كذلك أموال كانت تنفق على شراء الكتب والكسوة والأطعمة وغيرها. ومن ناحية أخرى حملت العديد من نصوص الأوقاف المملوكية معلومات مهمة عن عناية سلاطين وأمراء هذه الدولة بالفقراء واليتامى والضعفاء وأبناء السبيل سواء من المسلمين أو من أهل الذمة، وذلك اقتفاء واقتداء بتعاليم رسولنا الكريم ﷺ وصحابته من بعده رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ولعل الدليل على ذلك ما ورد من نصوص بعض هذه الوثائق والأوقاف المملوكية التى أشارت إلى وقف المنشآت من عقارات ومبان وتقديم خدمات للدير ورهبانه وزواره وقاصديه، خاصة أنه يقع فى منطقة صحراوية نائبة.

ويلاحظ أن الأوقاف الإسلامية على الدير ورهبانه شملت العديد من العصور: (فاطمية، أيوبية، مملوكية، عثمانية)، فما أحرانا أن نقتفى أثر سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ولا نبخل بالوقف خاصة فى المجتمعات الغربية فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وغيرها، وبالتحديد على مراكز وتجمعات الشباب المسلم فى هذه المجتمعات، ويتمثل ذلك بإنشاء المساجد والمصليات ودعمها بالكتب والمراجع العلمية وكذلك بالدعاة المؤهلين لنشر دين الله وربط هؤلاء الشباب المسلم وأسرهم بأوطانهم، وكذلك تقديم المنفعة والخدمة البحثية

وتعليم اللغة العربية سواء لغير الناطقين بها من الغربيين أو من المسلمين الذين ا
يتقنون اللغة العربية. وأعتقد أن هذا الإنفاق الخيِّر سيسهم ـ بمشيئة الله تعالى ـ في
إقبال العديد من غير المسلمين على اعتناق هذا الدين الحنيف، كما سيساهم أيض
فى تقديم صورة حسنة وطيبة ورائدة عن الإسلام وأهله، مثلما فعل السلف الصالح
رضوان الله تعالى عليهم.

واعتقد أن مثل هذه الأوقاف لو تمت ـ بمشيئة الله تعالى ـ فستكون من أبر
المقاصد العامة لشريعة ديننا الإسلامى الحنيف، وستكون أيضًا علامة بارزة على
أن المجتمعات الإسلامية، مجتمعات بناءة وهادفة، وليست كما يظن ويعتقد بعض
متطرفى الغرب، أنها مجتمعات تضم عناصر وبؤرًا إجرامية متطرفة. فلا يعقل إطلاق
أن تُبنى منشآت خيرية وتربوية وتعليمية وتدريسية للجاليات العربية فى الغرب، ث
يُطلقوا على أهلها أنهم إرهابيون أو متطرفون. وعلى ذلك فإن من أسمى المقاص
العامة للشريعة الإسلامية تخصيص أوقاف خيرية للمنفعة العامة يستفيد منها المسل
والذمى على حد سواء مثلما فعل خلفاء وسلاطين وملوك وأمراء المسلمين في
العصور الوسطى، ويعتبر دير سانت كاترين ورهبانه والمسجد الفاطمى الذي
شيِّد بداخله، والأوقاف التى أوقفت على الدير ومنشآته خير دليل على ذلك، كم
استعرضنا فى الدراسة السابقة.

أيضًا تضمنت الدراسة ذكر عدد من الوثائق التاريخية المحفوظة بمكتبة الدير
بعضها عقود تتعلق ببيع عقارات ببندر الطور بشبه جزيرة سيناء، أحداها عقد بيع
نصف دار مؤرخ بشهر جمادى الآخرة سنة ٨٦٧ هـ طرفى البيع والشراء من النصارى
المقيمين بهذه المنطقة، وعقد آخر ببيع حانوت ومخزن ببندر الطور أيضًا مؤر
بشهر جمادى الآخرة سنة ٨٩٢هـ وغيرها من العقود. وجميع هذه العقود تشير إل
أهمية مكتبة الدير والعناصر الفنية والمقتنيات الأثرية والعقود الوثائقية بالغة الأهم
للطلاب والباحثين والدارسين فى مجال الحضارة والفكر والفنون واللغة والنق
والآثار والدراسات الإسلامية، خاصة أن هذه الوثائق التاريخية إنما تكشف عن مد
ما تمتع به أهل الذمة (يهودًا ـ نصارى) من عدالة وإنصاف فى ظل الحكم الإسلام
فى العصور الوسطى.

أيضًا رغبت فى إضافة (فهرس مختصر) لبعض المصطلحات الكنسية الشا

تداولها سواء فى الأوساط المسيحية أو الإسلامية على السواء، ولاحظت أنها بالغة الأهمية أيضًا لأنها تلقى الضوء على معلومات وبيانات وإحصاءات يتعذر فهمها لدى بعض الباحثين، ورأيت أنه من المناسب جدًا أن أرفق بكل معلومة مصدرها ومرجعها الذى استقيت منه بعض هذه المعلومات وهى شاملة جميع المعلومات الرئيسة المتداولة فى أروقة الكنائس وفى الصلوات والطقوس، وتضمنت معلومات عن رجال الدين المسيحى ومظاهر طقوسهم وعبادتهم وملابسهم، وغيرها من المعلومات الأخرى المهمة التى ربما لا يعرف مضمونها بعض الباحثين غير المتخصصين فى هذا المجال، وراعيت أن استمدها من مصادرها الأصلية ومراجعها العلمية فى الكنائس والمعاهد القبطية المعنية بهذه الدراسات.

آمل أن أكون قد وفِّقت فى إنجاز هذا العمل على الوجه المطلوب، سائلًا المولى تبارك وتعالى أن ينفع به الباحثين والدارسين العرب، وذلك فى ضوء حضارتنا العربية والإسلامية العريقة التى عاش فى كنفها أهل الذمة (يهودًا ـ نصارى) فى حرية وأمن وأمان.

**والله الموفق**

## النتائج

أبرزت الدراسة أن سماحة الإسلام تعتبر من أكبر مقاصد الشريعة، ومن خلا
هذه السماحة انتشر هذا الدين فى العديد من ربوع العالم شرقية وغربية، وليس أد
على أن السماحة من أبرز سمات هذا الدين الحنيف من قول رسولنا الكريم ﷺ (إ
بعثت بالحنيفية السمحة)، ومن خلال هذه السمة الفردية التى تميز بها هذا الدي
سعى العديد من خلفاء وسلاطين وملوك وأمراء المسلمين إلى تقديم خدماته
وأوقفوا أوقافهم الخيرية على المسلمين وأهل الذمة.

أوضحت الدراسة الرؤية النافذة لولاة أمور المسلمين فى العصور الوسطى
عندما أدركوا أن العديد من القوافل التجارية والحجاج والمعتمرين القاصدين بي
الله الحرم ومسجد رسوله الكريم فى الأرضى المقدسة بجزيرة العرب، يمرون ذه
وإيابًا على هذا الدير، الذى أنشئ قبل الإسلام بسنوات عديدة، والذى يتعرض ب
الحين والآخر لاعتداءات البدو والعربان، الذين يتعرضون أيضًا لقوافل التجا
والحجاج والقاصدين بين الله الحرام، فعمدوا إلى وقف الأوقاف للإنفاق على الد
ورهبانه وتأمين المسلمين المارين عبر هذه الفيافى الشاسعة. وهى فى واقع الأ
سياسة بعيدة النظر، رامية إلى بسط سيادة الدولة على كامل أراضيها فى مصر والشا
ثم هى إثبات عملى على تطبيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، بتنويع أو
الإنفاق على كل المستحقين من مسلمين وأهل ذمة وأبناء سبيل وغيرهم.

كشفت الدراسة مدى إدراك خلفاء وسلاطين وملوك وأمراء المسلمين فى العص
الوسطى ضعف رهبان الدير، حيث أشارت بعض الوثائق الوقفية إلى أنهم مساك
عاجزون وعميان وأنهم صعاليك منعزلون ومنهم كُسحان ومُقعدون ومنقطع

وليس لهم ما يقتاتون به، وما يقيم أودهم سوى ما يستقطعونه من صدقات النصارى، وأنهم يكفلون الواردين إليهم من الحجاج المسلمين، ويقدمون لهم المأوى والمؤونة ويحسنون إليهم. فعمد بعض هؤلاء الحكام إلى تقديم المعونة لهم ومساعدتهم عملًا بقوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾.

أثبتت الدراسة بما لا يدع مجالًا للشك من خلال استعراض فقرات مطولة من بعض وثائق وأوقاف خلفاء الفاطميين وسلاطين آل أيوب والمماليك أهمية (نظام الوقف)، الذى يُعد أحد أهم النظم المؤسسية الإسلامية التى أسهمت ومازالت تسهم بشكل فعَّال فى تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، وذلك من حيث تقديمها المنفعة والخدمة لمستحقيها دون النظر لمذهب أو جنس أو لون الشخص المقصود بالمنفعة.

عالجت الدراسة من خلال استعراض بعض الوثائق الوقفية الفاطمية والمملوكية مدى عناية خلفاء وسلاطين المسلمين بأمور العبادة، وذلك من خلال وقف بعض العقارات والمنشآت على الدير ورهبانه، وكذلك المسجد الفاطمى الذى شيِّد داخل الدير، حيث عينت إمامًا له يقوم على خدمته، حتى يكون رمزًا دينيًا إسلاميًا ومقصدًا روحيًا للمسلمين العابرين فى هذه الصحراء وقاصدى الأراضى المقدسة ذهابًا وإيابًا لأداء مناسك الحج والعمرة، وأيضًا ليكون منارة على الرغم من صغر مساحته للمسلمين المقيمين بجوار الدير من بدو وعربان وغيرهم، ولعل هذا ما جعل العديد من حكام وولاة أمور المسلمين يقومون على خدمة هذا المسجد، ولعل الدليل على ذلك ما يحتويه المسجد من عناصر فنية وزخرفية فى المنبر والمأذنة وتصميمه الداخلى، وكذلك ما ورد بشأنه من معلومات وأوقاف خاصة بخدمته والإنفاق عليه فى بعض الوثائق.

بينت الدراسة أهمية هذا الدير وما يقتنيه من تحف ومخطوطات ووثائق وأوقاف بشتى لغات العالم، الأمر الذى يكشف عن مدى سعة صدر وسماحة ولاة أمور المسلمين الذين فتحوا أبوابهم وصدورهم لأهل الذمة من شتى بقاع العالم للإقامة والتعبد والدراسة فى رحاب هذا الدير، بل إن بعض الحكام والسلاطين والأمراء قدموا خدماتهم ورعايتهم للدير ورهبانه وزواره وقاصديه، وأعتقد جازمًا أن هذه

المقتنيات التى تم استعراض بعضها والتى كتبت بشتى لغات العالم، تُعد رسالة حضارية للعالم أجمع بأن الإسلام وأهله أحرص الناس على رعاية أهل الذمة وحفظ أرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم وعبادتهم، وهى من أسس وتعاليم شريعة الإسلام: عملًا بقوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

كشفت الدراسة حرص ولاة أمور المسلمين على حل مشكلات الدير ورهبانه والتى لم تكن جميعها تتعلق باعتداءات البدو والعربان، كما هو شائع فى بعض المصادر التاريخية، ولكن كشفت نصوص بعض الأوقاف والوثاق أن شكاوى الرهبان تضمنت أيضًا اعتداءات من بعض رجال الدين المسيحى على ممتلكات الدير فى القاهرة والطور وغيرها، ومنها وقفية خاصة بالسلطان قنصوة الغورى ٩٠٦- ٩٢٢هـ / ١٥٠١-١٥١٦م والتى ذكرها بعض رهبان الدير من حيث محاولة بطرك النصارى بالقاهرة الإقامة فى وقف لرهبان الدير بالقاهرة عنوة، دون استئذان من أسقف الدير. وهناك أيضًا تظلمات وشكاوى بين الرهبان والأساقفة بعضهم البعض ومن ثم تدخل الحكام والسلاطين وولاة أمور المسلمين لحلها وفق شريعة الإسلام التى ارتضاها الرهبان وغيرهم.

أكدت الدراسة عالمية شريعة الإسلام واستيعابها كل الحقوق والمصالح البشرية فهى شريعة غراء، مستمدة من كتاب الله تعالى عملًا بقوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء﴾ وقوله تعالى: ﴿أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيمًا﴾ ولتأكيد هذا المفهوم والمعنى، قام بعض أهل الذمة النصارى بوقف بعض أوقافهم على الدير ورهبانه وزواره وقاصديه وذلك وفق شريعة هذا الدين الحنيف، ومنها الوقفية النادرة التى أوقفها رجل نصرانى يدعى (غنيم بن سالم بن إلياس النصرانى الملكى الشوبكى) والمؤرخة بشهر ربيع الآخر سنة ٨٨٢ هـ والمحفوظة بمكتبة الدير، والتى احتوت عددًا من آيات القرآن الكريم، وتضمنت كذلك عبارة الصلاة والسلام على رسولنا الكريم ﷺ، هذا بالإضافة لجميع الصيغ والعبارات الإسلامية الدالة على أن الوقف يعتبر من أكبر مقاصد الشريعة الإسلامية خاصة عبارة السطرين (١٠-١١). ونصها: «ووقع أجـ

هذا الواقف المذكور على الله سبحانه وتعالى يوم يجزى المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين».

ناقشت الدراسة موضوع «عهد الأمن والأمان» الذى يزعم ويعتقد رهبان الدير وأساقفته أنه صادر عن رسولنا الكريم ﷺ لرهبان الدير فى أوائل سنوات الهجرة، بغرض حمايتهم والدفاع عن كنيستهم ودور عباداتهم، ولقد تضمن العهد كذلك منع فرض الجزية والمغارم على الدير ورهبانه.

أشارت الدراسة إلى رغبة وحرص بعض سلاطين المماليك فى أوقافهم الخيرية على إسلام أقاربهم المنحدرين من أصول (جورجانية) تدين بالديانة النصرانية مثلما فعل الأمير قرقماس ١٥٤٤-١٥٨٥م فى وقفيته التى أورد فيها أحقية أخيه النصرانى ويدعى (بشى) وكان مازال موجودًا فى بلاد جركسى (الكرج) ورغب فى اعتناق أخيه الإسلام، ومن ثم النظر فى أوقافه على دير سانت كاترين. وهى المرة الأولى التى يتم التعرض لهذه الوثيقة وتحليلها وإبراز هذه الحقيقة من حرص هذا الأمير على توليه شقيقة النصرانى أوقافه بعد دخوله الإسلام.

كشف الفهرس المختصر الوارد ذكره فى آخر هذه الدراسة معلومات مهمة عند مدى ما تمتع به اليهود والنصارى فى ظل الحكم الإسلامى من عدالة وإنصاف، فلم نجد فيه أى مصطلح يفيد البطش والغدر من قبل المسلمين حكامًا ومحكومين.

أوضحت بعض المصطلحات الواردة فى نهاية هذه الدراسة خاصة تلك المعنية بالطقوس الدينية والصلوات والعبادات المسيحية داخل الكنائس ـ مدى ما تمتع به النصارى والرهبان وجميع رجال الدين المسيحى من حرية عبادة وتنقل واعتقاد وبيع وشراء وغيرها.



# الصور



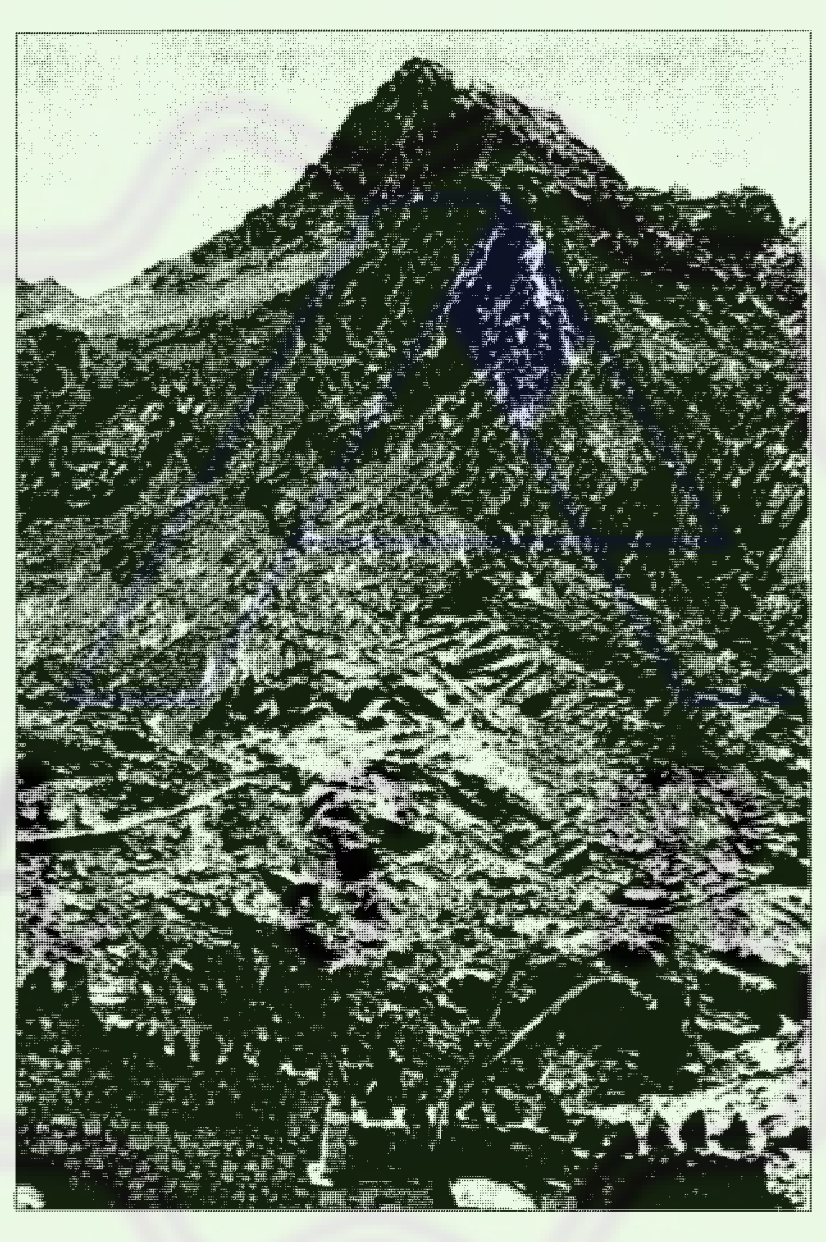
١ . موقع شبه جزيرة سيناء من مصر. صورة ملتقطة بالأقمار الصناعية



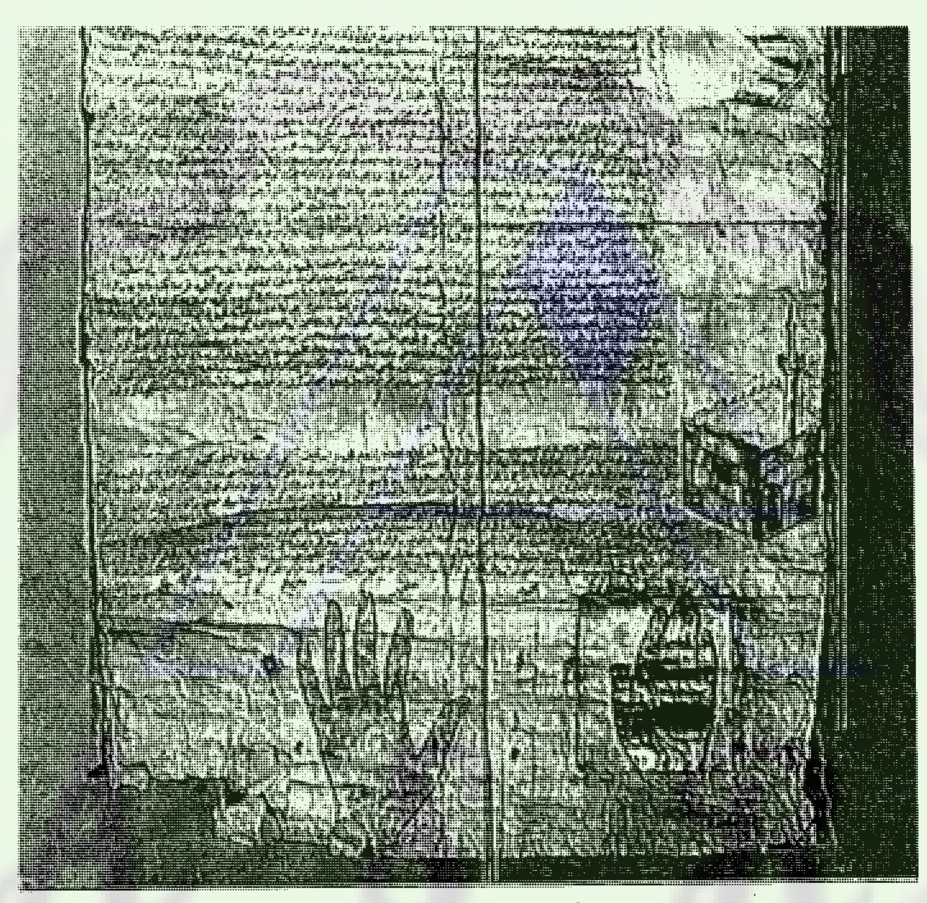
٢ . دير سانت كاترين وأسواره الخارجية.



٣. مئذنة المسجد الفاطمي، الملاصقة لبرج كنيسة البازيليكا.



٤ . جبل طور سيناء، المذكور في القرآن الكريم.



٥. صورة عهد الأمن والأمان المحفوظ بمكتبة الدير، والذي يعتقد الرهبان أنه صادر عن رسول اللـه ﷺ.



٦. جزء من وثيقة فاطمية (منسوبة للخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله) محفوظة في مكتبة الدير برقم سجل (١٠)

٧. جزء من وثيقة وقف تنسب للعهد الأيوبي. محفوظة في مكتبة الدير برقم سجل (١٢)



٨. جزء من وثيقة مملوكية (منسوبة للسلطان المنصور قلاوون) محفوظة في مكتبة الدير برقم سجل (٢٢)



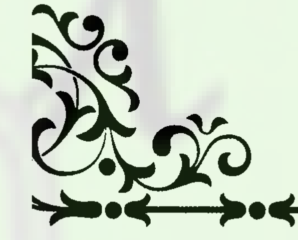
**١١. صورة وثيقة محفوظة بمكتبة الدير، برقم سجل (٢٧٧)، تتعلق ببيع نصف دار بمدينة الطور. مؤرخة بشهر ربيع الآخر سنة ٨٦٧ هـ.**

١٢ ـ أ . صورة وثيقة محفوظة بمكتبة الدير، برقم سجل (٣٠٦)، تتعلق ببيع حانوت ومخزن ببندر الطور. مؤرخة بشهر ربيع الآخر سنة ٨٦٥ هـ.

١٢ ـ ب. صورة وثيقة هامشية بنفس رقم سجل الوثيقة السابقة (٢٠٦
محفوظة بمكتبة الدير، تتعلق ببيع نفس الحانوت والمخزن ببندر الطور.
بشهر جمادى الآخرة سنة ٨٩٢ هـ.

# الفهرس

هذا كتاب مهم؛ إذ يقدم صورة متميزة من صور التسامح الإسلامي مع غير المسلمين في العصور الوسطى. فمن المعروف أن الحصول على الوثائق التاريخية التي تتعلق بنظام الوقف الإسلامي على رهبان دير سانت كاترين في العصر الوسيط، باعتبار أن هذا الوقف يمثل إحدى العلامات البارزة في تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية الغَرَّاء، يُعتبر أمرًا صعبًا بعض الشيء.. غير أن مؤلف الكتاب قد سعى ـ بحكم عمله في مجال الآثار والوثائق الإسلامية، وكذلك من خلال زيارته لهذا الدير العريق ـ للاطّلاع على بعض النصوص الوثائقية المتعلقة بأوقاف هذا الدير، فألقى الضوء على تلك الأوقاف التي أوقفها سلاطين وخلفاء وولاة أمور المسلمين في العصور الوسطى لرعاية هذا الدير ورهبانه، وهي جميعًا أوقاف خيرية، توضح الفارق بين ما فعله المسلمون لأهل الذمة، وما يفعله الآن الغرب (المسيحي) بالمسلمين في العديد من بلدان العالم!.. كما ألحق المؤلفُ بنهاية كتابه فصليْن، يتعلق أحدُهما بعرض صور من التسامح الإسلامي من خلال عقود بيع وشراء بين أهل الذمة الأقباط وإخوانهم المسلمين في مصر، ثم يَسْرُدُ الفصلُ الآخرُ معجمًا مختصرًا ببعض المصطلحات الكَنَسية المهمة التي لا تزال متداولةً حتى اليوم بين أروقة الكنائس.





ISBN 978-977-495-127-5

9 789774 951275

